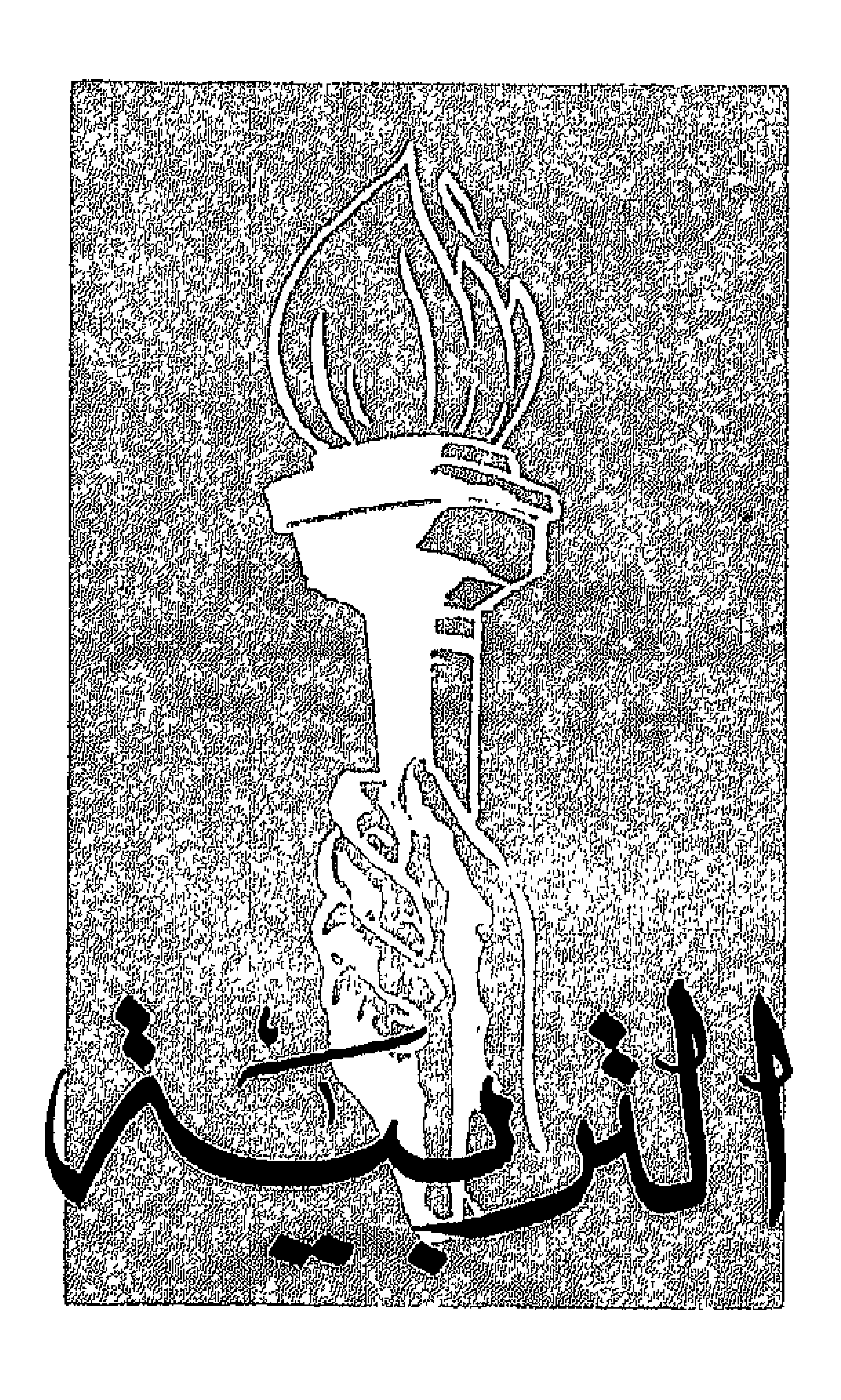

التربية
الحقيقية

التربيــة

الاهـــداء

هذا الكتاب ُمهدى الى الوالدين والمعلمين والطلبة وكل تلاميذ المدارس الاعدادية فى جميع انحـاء الارض . لعله يعينهم على احراز اعظم هبات الحياة ، والنضج والفرح فى الخدمـة هنا ، مما يؤهلهم لتلك الخدمـة الاوسـع و « المضمار الاسمى » المفتوح امام كل انسان فى مدرسة الحياة الآتية



بقلم السيدة الن هوايت

دار الشرق الاوسط للطبع والنشر
بيروت - لبنان

طبع في لبنان عام ١٩٧٠



المقدمة

ما اقل وما اندر الكتب المخصصة لموضوع التربية التي تقرأ على اوسع مدى او التي صمدت امام محن الزمن مثلما صمد هذا الكتاب . ان المبادىء الاساسية الصحيحة التي يعالجها هذا الكتاب جعلته الكتاب المختصر الذي يعتز به آلاف ألوف الوالدين والمعلمين فى حقبة من الزمن تزيد على اربعين عاما

يجب على كل شاب وشابة ان يتأهب لمواجهة حقائق الحياة العملية ـ فرصها السانحة ومسؤولياتها وهزائمها ونجاحاتها ونصراتها. اما كيف يواجه الانسان هذه الاختبارات ، وما اذا كان سيصير سيدا للظروف او ضحية لها فذلك يتوقف بالاكثر على استعداده وتأهبه لمواجهتها

التربية الحقة معرّفة وموصوفة بانها النضج المتناسق لجميع القوى ـ استعداد كامل لهذه الحياة وللحياة الابدية القادمة . فالتربية التي يتلقاها الاطفال فى سنيهم الباكرة فى البيت وفى سنوات العمل المدرسي الرسمي الذي يتلوها هي من الامور الاساسية للنجاح فى الحياة. ومن الامور

الجوهرية فى مثل تلك التربية ان ينضج العقل ويكتمـل الخلق

ان مؤلفة هذا الكتاب ، اذ كانت تـدرك ادراكا قويـا وسليما ، القيم الخالدة اللازمة لما يكون التربية الحقة فى أكمل معنى لها ، فهي ترينا الطريق الى تحقيقها . لقـد حددت ورسمت التربية الني فيها تنضج قوى العقل بكل وضوح. وقد أكدت التربية التي فيها تصير الايدي ماهرة فى الحرف النافعة. وقد أمتدحت التربية التي تعترف بالله عى انه نبع كل حكمة وفهم ، بكل غيرة

والهدف الذي حفز الكاتبة فى كل كتاباتها العديدة عن موضوع التربية هو ان يتأهب الشباب وهم على اعتاب الحياة لان يتبوأوا مكانهم كمواطنين صالحين ، وقد أعدوا اعدادا حسنا لاختبارات الحياة العملية ، ونمت اجسامهم نموا كاملا وهم يخافون الله ويتقونه ولهم اخلاق طاهرة لا غبار عليها ، وقلوب امينة ومخلصة للمبدإ. ان هذا الكتاب هو اعظم الكتب بين هذه المجموعة من الكتب التي بسطت فيها المبادىء الجوهرية ليتفهمها مرشدو الشباب فى البيت وفى المدرسة

لقد عرفت مؤلفة هذا الكتاب من اختبارها الشخصي مشاكل الأم. فكصديقة للشبان والشابات ، واذ كانت مدى سنين كثيرة على اتصال وثيق بمعاهد العلم ، كانت على دراية كاملـة بمشاكل الشباب فى التاهب للاضطلاع بعملهم فى الحياة. وفوق الكل فقد كانت مزودة بمعرفـة ومهارة فوق العادة ككاتبة وخطيبـة

وكون هذا الكتاب يتناول بالبحث المبادىء العظيمـة

المرشدة دون الاهتمام بتفاصيل البرامـج الدراسية او تفضيل الواحد منها على الآخر فقد انتشر على نطاق عالمي اذ قد ُطبـع ونشر فى عدد مـن امهات اللغات فى آسيا واوروبا والاميركتين . واننا لنرجو رجاء حارا ان يذيع هذا الكتاب مبادىء تربية الخلق بين الناس ـ هذا ما يرجوه الناشـرون

وكلاء مطبوعات الن ـ ج ـ هوايت

محتويات الكتاب

القسم الاول ـ مبادىء اساسية

القسم الثاني ـ امثلة

القسم الثالث ـ معلم المعلمين

القسم الرابع ـ تعليم الطبيعة

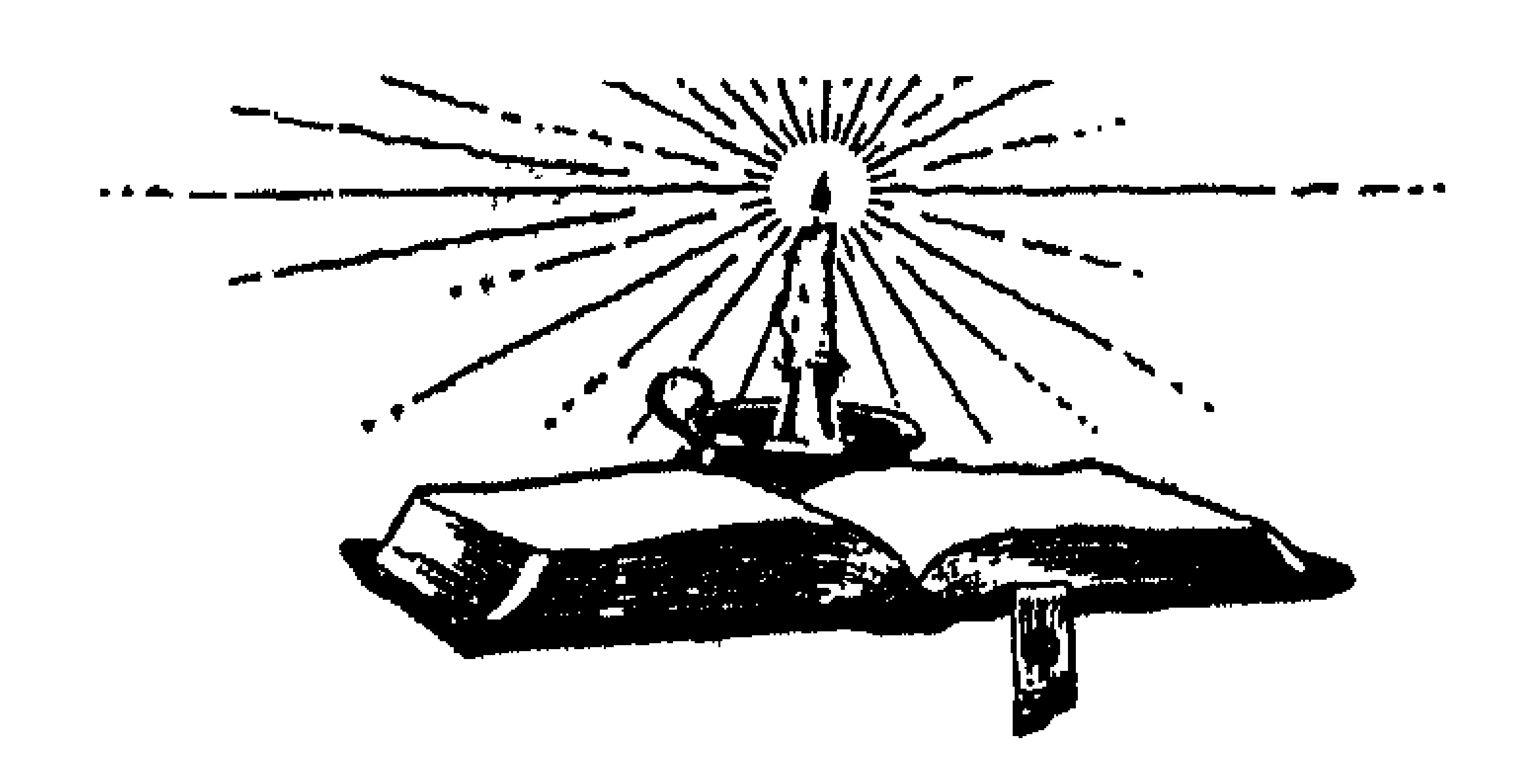
القسم الخامس ـ الكتاب المقدس كمربٍ

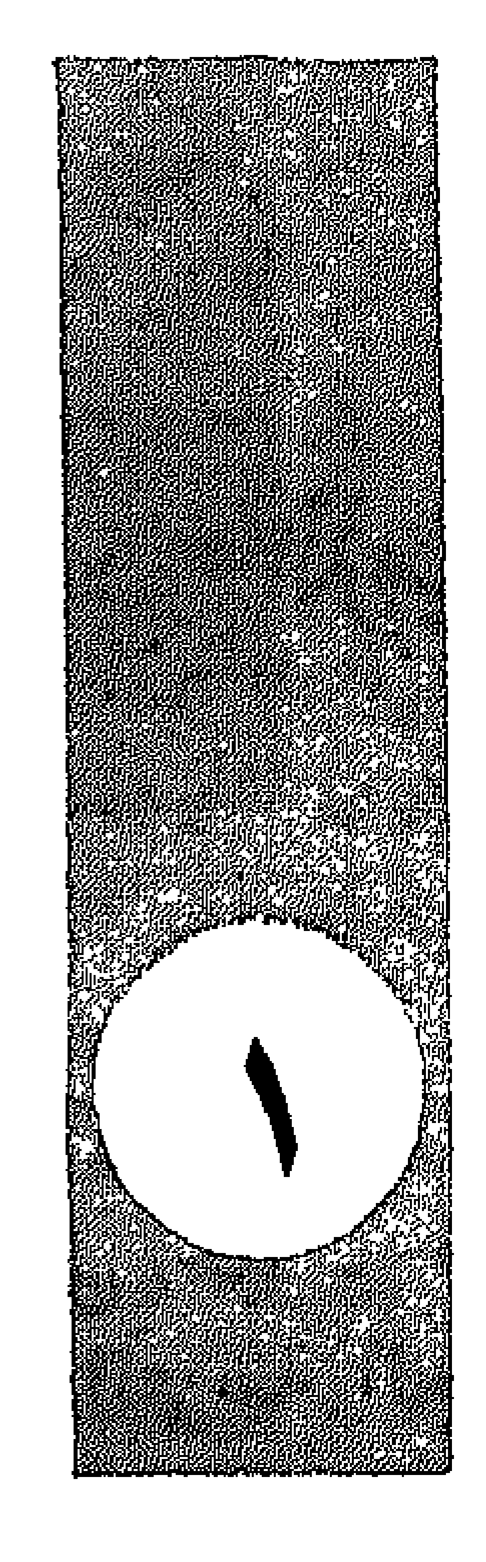
القسم السادس ـ التربية البدنية

القسم السابع ـ بناء الخلـق

القسم الثامن ـ المعلم المساعد

القسم التاسع ـ الدراسة العليا





القسم

المبادئ الأساسيّة



التربية الحقة - مصدرها وهدفها

ان آراءنا عن التربية تستوعب مجالا منخفضا وضيقا الى اقصى حد . فالحاجة هي الى مجال اوسع وهدف اسمى. التربية الحقة تعني شيئا اكثر من مجرد متابعة منهج خاص للدراسة ، وهي تعني شيئا اكثر من مجرد الاعداد للحياة الحاضرة. ان لها دخلا فى الكيان كله وفى كل فترة الوجود الممكنة للانسان. انها النمو المتناسق لقوى الجسم والعقل والروح ، وهي تعد الطالب لفرح الخدمة فى هذا العالم وللفرح الاسمى للخدمة الاوسع مجالا فى العالم الآتي

ومصدر مثل هذه التربية يعرض امامنا فى هذه الاقوال الالهية المقدسة التي تشير الى الاله السرمدي قائلة : « المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم » (كولوسي ٢ : ٣) « له المشورة والفطنة » (ايوب ١٢ : ١٣)

لقد كان فى العالم معلمون عظام ورجال كانوا جبابرة

العقول وواسعي الاطلاع والبحث والاستقصاء ، رجال نبهت اقوالهم الافكار وكشفت للعيون عن مجالات واسعة للمعرفة ، وقد ظفر هؤلاء الرجال بالكرامة كمن هم قادة وذوو فضل على جنسهم ، ولكن يوجد ذاك الذي هو اسمي من اولئك جميعا. اننا نستطيع ان نتتبع سلسلة معلمي العالم منذ بدء التاريخ. ولكن النور كان قبلهم. فكما ان القمر والنجوم فى نظامنا الشمسي تضيء بالنور المنعكس عليها من الشمس هكذا ، على قدر ما يكون تعليمهم صادقا وصحيحا ، فان مفكري العالم العظام يعكسون اشعة نور شمس البر. كل شعاعة من اشعة الفكر وكل ومضة من ومضات الذكاء مقتبسة من ذاك الذي هو نور العالم

فى هذه الايام يقال كلام كثير عن طبيعة « التربية العالية » واهميتها. ان « التربية العالية » الحقة هي تلك التي يمنحها ذاك الذي « عنده الحكمة والقدرة » (ايوب ١٢ : ١٣) ، والذي « من فمه المعرفة والفهم » (امثال ٢ : ٦)

المعرفة والنضج الحقيقيان مصدرهما معرفة الله . فاينما نتجه فى المجال البدني او العقلي او الروحي ، وفى كل ما نشاهده بعيدا عن ضربة الخطية ، تعلن لنا هذه المعرفة. ومهما يكن ما نتتبعه من بحوث ، متى كان عندنا الاخلاص فى القصد للوصول الى الحق ، فاننا نصير على اتصال بالعقل والذكاء الجبار غير المنظور الذي يعمل فى الكل وعن طريق الكل. فيصير عقل الانسان فى شركة مع فكر الله ، المحدود مع اللامحدود . ولن يمكن للانسان

تقدير قيمة تأثير مثل هذه الشركة فى جسمه وعقله ونفسه

وفى هذه الشركة توجد اسمى تربية. تلك هي طريقة الله في الانماء. « تصرّف به » (ايوب ٢٢ : ٢١) — هذه هي رسالته لبني الانسان. فالاسلوب الملخص فى هذه العبارة كان هو الاسلوب الذي اتبع فى تربية ابي جنسنا. ان آدم عندما كان فى مجد رجولته البارة هكذا علمه الله

فلكي ندرك ما يشتمل عليه عمل التربية نحتاج الى ان نفكر فى طبيعة الانسان وقصد الله من خلقه. وعلينا ان نتأمل ايضا فى التبدل الذي حدث فى حياة الانسان بواسطة دخول معرفة الشر ، وتدبير الله لاجل اتمام غرضه المجيد فى تربية الجنس البشري

عندما برز آدم من يد الخالق كان يحمل فى طبيعته الجسمية والعقلية والروحية مشابهة لجابله : « فخلق الله الانسان على صورته » (تكوين ١ : ٢٧) ، كان قصده انه على قدر ما تطول ايام حياة الانسان يزداد اعلان هذه الصورة بكيفية اكمل ، ويزداد كذلك انعكاس مجد الخالق. كانت كل قوى عقله قابلة للتطور والنضوج ، وكانت قابليتها ونشاطها ستزيد باستمرار. وكان المجال المقدم لاجل تدريبها واسعا ، والميدان المفتوح لبحثها واستقصائها مجيدا. ثم ان اسرار الكون المنظور — « معجزات الكامل المعارف » (ايوب ٣٧ : ١٦) اجتذبت الانسان للدرس . ان اسمى امتياز للانسان كان تمتعه بالشركة مع صانعه وجها لوجه وقلبا لقلب. فلو ظل على ولائه لله لكان يتمتع بكل هذا الى الابد. وكان ، طوال دهور الابد ، يظل يقتبس

من كنوز المعرفة ويكتشف منابع جديدة للسعادة ويحصل على استيعابات اوضح واوضح للحكمة والقدرة والمحبة الالهية ، وكان يتمم الغاية من خلقه بكيفية اكمل وكان يعكس مجد الخالق بكيفية ابهى واشمل

ولكنه خسر كل هذا بسبب العصيان. فقد شوهت الخطية صورة الله وكادت تمحوها . وقد ضعفت قوى الانسان البدنية ، وضعفت وتضاءلت امكانياته العقلية ، وتبدلت واظلمت بصيرته الروحية · وأمسى عرضة للموت. ومع ذلك فان الجنس البشري لم يُترك بلا رجاء. لقد كان تدبير الخلاص مدبرا بمحبة ورحمة لامحدودتين. ومنح الانسان فرصة امهال فى زمان الرحمة. فلكي يعيد للانسان صورة جابله ، ولكي يعاد الى حالة الكمال التي خُلق فيها ، ولكي يرقى من نضوج الجسم والعقل والنفس حتى تتحقق غاية الله من خلقه ـ ذلك كان القصد من عمل الفداء . وذلك هو غرض التربية ، غاية الحياة العظمى

ان المحبة التي هي أساس الخلق والفداء هي اساس التربية الحقة . هذا موضح فى الشريعة التي قد اعطاها الله لارشاد الحياة . ان الوصية الاولى والعظمى هي : « تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك » (لوقا ١٠ : ٢٧). ان محبته هو السرمدي العليم بكل شيء بكل القدرة والفكر والقلب معناها اسمى نضوج لكل القوى. ومعنى هذا ان صورة الله يجب ان تعود الى كل الكيان ـ الجسم والعقل والنفس كذلك

15,16

وكالوصية الاولى كذلك الثانية : « تحب قريبك كنفسك » (متى ٢٢ : ٣٩). ان شريعة المحبة تتطلب تكريس الجسم والعقل والنفس لخدمة الله وخدمة بني جنسنا . وهذه الخدمة فى حين انها تجعلنا بركة للآخرين تجلب علينا اعظم بركة. ان الايثار هو اساس كل نضوج حقيقي. فعن طريق الخدمة الخالية من الانانية نحصل على أسمى تهذيب لكل القوى. واننا نصير اكثر فاكثر شركاء الطبيعة الالهية ونصير مؤهلين للسماء لاننا نقبل السماء فى قلوبنا

وحيث ان الله هو نبع كل معرفة حقيقية فكما قد راينا ان اول هدف لاتربية هو توجيه عقولنا الى اعلانه عن نفسه. ان آدم وحواء قد حصلا على المعرفة بواسطة الشركة المباشرة مع الله والعشرة معه وقد تعلما عنه عن طريق اعماله. وكل الخلائق كانت فى كمالها الفطري تعبيرا عن فكر الله . وبالنسبة الى آدم وحواء كانت الطبيعة ملأى بحكمة الهية ، ولكن بسبب العصيان ُحرم الانسان من التعلم عن الله بواسطة العشرة المباشرة ، وعن طريق اعماله الى حد كبير. ان الارض ، وقد شوهتها ونجستها الخطية ، تعكس مجد الخالق بغير وضوح. نعم ان امثاله لم تطمس ولا محيت آثارها. فعلى كل صفحة من صفحات ذلك المجد العظيم المشتمل على اعمال خلقه لا تزال ُترى كتابته. فالطبيعة لا تزال تتحدث عن خالقها. ومع ذلك فان هذه الاعلانات جزئية وناقصة. ونحن فى حالتنا الساقطة بقوانا الضعيفةورؤيانا المحصورة القاصرة غير كفاة لان نفسر

تفسيرا صائبا. فنحن بحاجة الى الاعلان الاكمل الذي قد اعطاه لنا الله عن نفسه فى كلمته المكتوبة

ان الكتب المقدسة هي المقياس الكامل للحق ، وهي بهذه الصفة يجب ان يعطى لها اسمى مكان فى التربية . فلكي نحصل على التربية الجديرة بهذا الاسم يجب ان نحصل على معرفة الله الخالق والمسيح الفادي كما هما معلنان فى الكلمة المقدسة

ان كل انسان مخلوق على صورة الله قد منحت له قوة مماثلة لقوة الخالق ــ فرديا ، قدرة على التفكير والعمل. فالناس الذين تنضج فيهم هذه القوة هم الذين يضطلعون بالتبعات والذين هم قادة فى المشروع ولهم تأثير على الخلق. ان عمل التربية الحقة هو تنمية هذه القوة وتدريب الشباب على ان يكونوا مفكرين لا ان يكونوا مجرد عاكسين لفكر الآخرين. وبدلا من ان يحصروا درسهم فيما قد قاله الناس او كتبوه ليوجّه الطلبة الى مصادر الحق والحقول الواسعة المفتوحة للبحث فى الطبيعة والاعلان . ليفكروا فى الحقائق العظيمة حقائق الواجب والمصير ، فيتسع العقل ويتقوى. فبدلا من ان يكون المتعلمون مستضعفين يمكن لمعاهد العلم ان تخرج رجالا أقوياء فى التفكير وفى العمل ، رجالا يتحكمون فى الظروف ولا يكونون عبيدا للظروف ، رجالا لهم العقول المتسعة والافكار الصافية والشجاعة للدفاع عن اقتناعاتهم

مثل هذه التربية تحقق شيئا اكثر من التدريب الذهني ، وتقدم اكثر من تدريب الجسم ، فهي تقوي

17,18

الخلق بحيث لا يضحّى بالحق والاستقامة على مذبح الشهوة الانانية او المطامع الدنيوية. فهي تحصن العقل ضد الشر. فبدلا من ان تكون هنالك شهوة متحكمة تصير معولا للاهلاك والتدمير، فان كل وازع وكل شهوة تكون على وفاق مع مبادىء الحق العظيمة. فاذ يكون كمال صفات الله موضوعا لتأمل الانسان فالذهن يتجدد وتخلق النفس من جديد على صورة الله

فأي تربية يمكن ان تكون اسمى من ذلك، وأي شيء يمكن ان يضارعها فى القيمة

« لا يعطى ذهب خالص بدلها ولا توزن فضة ثمنا لها

« لا توزن بذهب اوفير او بالجزع الكريم او الياقوت الازرق

« لا يعادلها الذهب ولا الزجاج ولا تبدل بإناء ذهب ابريز

« لا يذكر المرجان او البلور وتحصيل الحكمة خير من اللآلىء » (ايوب ٢٨ : ١٥ ــ ١٨)

ان المثل الاعلى الذي وضعه الله لاولاده هو اسمى من ان يبلغه اسمى فكر بشري. ان التقوى او التشبه بالله هي الهدف الذي يجب ان يصل الانسان اليه. ان امام الطالب طريقا ممهدا ومفتوحا للنجاح والتقدم المطرد. ولديه غرض يجب ان يدركه ومقياس عليه ان يبلغه وهذا يشمل كل ما هو صالح وطاهر ونبيل. وهو سيتقدم بالسرعة والى المدى الذي يستطيعه فى كل فرع من فروع المعرفة الحقة. ولكن جهوده يجب ان تتجه الى اهداف اسمى من مجرد

المصالح النفسانية والزمنية بقدر ما تسمو السماء فوق الارض

ان من يتعاون مع القصد الالهي بكونه يقدم للشباب معرفة الله ويصوغ اخلاقهم لتكون متوافقة مع صفاته انما يقوم بعمل سام ونبيل. واذ يوقظ فى النفوس شوقا للوصول الى مثل الله الاعلى فهو يقدم تربية فى مثل سمو السماء وفى مثل اتساع الكون ، تربية لا يمكن اكتمالها فى هذه الحياة بل ستظل مستمرة الى الحياة العتيدة ، تربية تحرز للطالب الناجح جوازا للانتقال من مدرسة الارض الاعدادية الى الدرجة الاسمى ، المدرسة العليا



مدرسة عدن

ان نظام التربية الذي وضع فى بداية العالم قد وضع ليكون نموذجا للانسان مدى الازمنة المتعاقبة بعد ذلك . وكمثال لمبادئه انشئت مدرسة نموذجية فى عدن ، البيت الذي عاش فيه ابوانا الاولان ، فكانت جنة عدن هي الفصل المدرسي وكانت الطبيعة هي كتاب الدرس ، وكان الخالق نفسه هو المعلم ، وكان أبوا الاسرة البشرية هما الطالبان

فاذ ُخلق آدم وحواء ليكونا « صورة الله ومجده » (١كورنثوس ١١ : ٧) قبلا هبات هي خليقة بمصيرهما السامي. فاذ اكتسبت هيئتهما مسحة من الجمال والتناسق ، وكانت قسمات وجهيهما جميلة ومنتظمة ، وكان وجهاهما يتألقان بالصحة ونور الفرح والرجاء كانا يشبهان خالقهما فى الصورة الخارجية. ولم تكن هذه المشابهة ظاهرة فى طبيعة جسميهما وحسب ، فان كل قوة فى العقل والنفس عكست مجد الخالق. فاذ قد وهبت

لهما مواهب عقلية وروحية سامية فان آدم وحواء قد وضعا « قليلا عن الملائكة » (عبرانيين ٢ : ٧) حتى لا يدركا عجائب الكون المنظور وحدهما بل ليدركا التبعات والالتزامات الادبية

« وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا. ووضع هناك آدم الذي جبله. وانبت الرب الاله من الارض كل شجرة شهية المنظر وجيدة للأكل وشجرة الحياة فى وسط الجنة » (تكوين ٢ : ٨ و ٩) . فهنا فى وسط مشاهد الطبيعة الجميلة التي لم تكن قد مستها الخطية كان يجب على ابوينا الاولين ان يتلقيا تربيتهما

ان ابانا السماوي فى اهتمامه بولديه أشرف على تربيتهما بنفسه. فكثيرا ما كان رسله من الملائكة القديسين يزورونهما وكانا يتلقيان منهم المشورة والتعليم. وعند هبوب ريح النهار عندما كانا يتمشيان فى الجنة كثيرا ما كانا يسمعان صوت الله ويتحدثان مع الاله السرمدي وجها لوجه. وكانت افكاره من جهتهما « افكار سلام لا شر » (ارميا ٢٩ : ١١) . فكان كل غرضه هو خيرهما الاسمى

وقد عهد الله الى آدم وحواء امر العناية بالجنة « ليعملها ويحفظها » (تكوين ٢ : ١٥). فمع أنهما كانا غنيين بكل ما كان يمكن لمالك الكون ان يوفره لهما ما كان لهما ان يظلا عاطلين عن العمل . فلقد عين العمل النافع على انه بركة لتقوية الجسم وتوسيع العقل وانماء الخلق

ان سفر الطبيعة الذي نشر دروسه الحية امامهم قدم نبع معرفة لا ينضب ، للعلم والفرح . فعلى كل ورقة من

اوراق اشجار الغابة ، وعلى كل الاحجار فى الجبال وفى كل نجم يتألق بالضياء وفى الارض والبحر والسماء كـان اسم الله مكتوبا . ان ذينك الزوجين الساكنين فى عدن تحادثا مع الخلائق الحية ومـع الجمادات ــ مـع الورق والزهر والشجر ومع كل مخلوق حي من الحوت الهائل السابح فى المياه الى اصغر ذرة فى اشعـة الشمس، وكانا يستنبطان منها اسرار وجودها وحياتها . وقد كان مجد اللـه فى السموات والعوالم التي لا تحصى فى مداراتها المنتظمة و « موازنة السحاب » (ايوب ٣٧ : ١٦) واسرار النور والصوت والنهار والليل ــ كل هذه كانت مـواد يجب ان يدرسها تلميذا مدرسة الارض الاولى

ثم ان نواميس الطبيعة واعمالها ومبادىء الحق العظيمة المسيطرة على المسكونة الروحية كشفها الخالق السرمدي لعقليهما . وفى « انارة معرفة مجد الله » (٢كورنثوس ٤ : ٦) نمت قواهما العقلية والروحية فعرفا اسمى مسرات وجودهما المقدس

ان جنة عدن ، بل ايضا كل الارض ، عندما خرجت من يد الخالق كانت آية فى الجمال . فلا لطخات الخطية ولا ظل الموت شوهت الخليقة الجميلة . جلال الله « غطى السموات والارض امتلأت مـن تسبيحه » ، « ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بني الله » (حبقوق ٣ : ٣ وايوب ٣٨ : ٧) . وهكذا كانت الارض رمزا مناسبا لذاك الذي هو « كثير الاحسان والوفاء » (خروج ٣٤ : ٦) ، وكـان موضوع دراسة مناسب لذينك اللذين خلقا على

صورته . وقد كانت جنة عدن رمزا لما اراد الله ان تصير اليه الارض كلها ، وكان قصده انه اذ يتكاثر افراد الاسرة البشرية فى العدد يقيمون بيوتا اخرى ومدارس كتلك التي اعطاها لآدم وامرأته . وهكذا بمرور الزمن كان يمكن أن تمتلىء الارض بالبيوت والمدارس التي تدرس فيها اعمال الله وكلامه . وهكذا يؤهل الطلبة اكثر فاكثر وبكيفية اكمل لان يعكسوا نور معرفة مجده مدى اجيال لا حصر لهـــا



معرفة الخير والشر

مع ان ابوينا الاولين قد ُخلقا بارين ومقدسين فأنهما لم يوجدا فى وضع يجعل من المستحيل عليهما ان يخطئا . كان يمكن لله ان يخلقهما بحيث لا تكون عندهما القـوة للتعدي على مطاليبه ، ولكن فى تلك الحالة ما كان هنالك نمو فى اخلاقهما ، وما كانت خدمتهما تعتبر طوعية او اختيارية بل كانت تصير خدمة القهر والارغام والتعسف . ولذلك فقد اعطاهما القوة على الاختيار ــ القوة للخضوع او الالتجاء الى العصيان . فقبلما امكنهما ان يحصلا على ملء البركات التي تاق الى ان يمنحهما اياها كان ينبغي ان ُتمتحن محبتهما وولاؤهما

فى جنـة عدن كانت توجد « شجرة معرفـة الخير والشر . . . واوصى الرب الاله آدم قائلا مـن جميـع شجر الجنة تأكل اكلا . واما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » (تكوين ٢ : ٩ ــ ١٧) . كانت ارادة الله

الا يعرف آدم وحواء الشر . فمعرفة الشر ـ معرفة الخطية ونتائجها من التعب المضني والهم الجزع والخيبة والحزن والالم والموت ـ هذا منعته وابعدته محبة الله بعيداً .

وفيما كان الله يطلب الخير للانسان كان الشيطان يطلب هلاكه . فعندما تجرأت حواء على الاقتراب من الشجرة المنهى عنها غير مكترثة لانذار الله بخصوص تلك الشجرة وقفت فى مواجهة عدوها . فاذ اوقظ اهتمامها وفضولها تقدم الشيطان لينكر كلمة الله وليوعز بالشك فى حكمته وصلاحه . فاذ قالت المراة عن ثمر شجرة المعرفة « قال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا » اجابها الشيطان قائلا : « لن تموتا . بل الله عالم انه يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر » (تكوين ٣ : ٣ ـ ٥)

اراد الشيطان بهذا ان يجعل الامر يبدو وكأن معرفة الخير هذا الممتزج بالشر ستكون بركة ، وان الله اذ نهاهما عن الاكل من ثمر الشجرة كان يحرمهما من خير عظيم . وقد الح قائلا انه بسبب الخواص العجيبة التي فى تلك الشجرة لمنح الحكمة والقوة نهاهما الله عن ان يذوقا ثمرها وانه كان يحاول بهذا ان يحول بينهما وبين بلوغ نضج انبل والحصول على سعادة اعظم . وقد اعلن انه هو نفسه قد اكل من الثمرة المنهى عنها وكان من نتائج ذلك انه حصل على القدرة على النطق . وانهما اذا كانا هما ايضا يأكلان

منها فسيبلغان محيط وجود اسمى ويدخلان الى مجال ارحب للمعرفـة

ان الشيطان فى حين انه ادعى انه قد حصل على خير عظيم بواسطة اكله من الشجرة المنهي عنها فانـه اخفى حقيقة كونه بسبب عصيانه صار مطرودا من السماء . هنا كانت كذبة مخبوءة تحت قناع من الحق الظاهري بحيث ان حواء اذ فتنت وقلقت وخدعت لم تفطن الى تلك الخديعة . لقد اشتهت ما حرّمه الله ، وشكّت فى حكمته ، والقت بعيدا عنها الايمان الذي هو مفتاح المعرفة

عندما رأت حواء ان الشجرة « جيدة للأكل وانها بهجة للعيون وان الشجرة شهيـة للنظر فاخذت مـن ثمرها واكلت » كانت حلوة المذاق ، فلما اكلت منها بدا انها تحس بقوة منعشة ومنشطة وتصورت نفسها وكأنها تدخل الى حالة وجود اسمى . فحيث انها قد عصت صارت مجرّبة لرجلها « فاكل » (تكوين ٣ : ٦)

لقد قال لها العدو : « تنفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (تكوين ٣ : ٥) . لقد انفتحت اعينهما فعلا ولكن كم كان انفتاحا تعسا مشؤوما ومحزنا ! ان معرفة الشر ، ولعنة الخطية كانت كل ما حصـل عليـه ذانك العاصيان . لم يكن فى الثمرة نفسها اي شيء سام ، ولم تكن الخطية فى مجرد الخضوع لشهوة الاكل . ولكنها كانت الشك فى صلاح الله وعدم تصديق كلامه ورفض سلطانه — هذا هو ما جعل ابوينا الاولين عاصيين ، وهو الذي ادخل

الى العالم معرفة الشر . وهذا ما فتح الباب وأفسح المجال لكل صنوف الكذب والضلال

ان الانسان خسر الكل لانه آثر الاصغاء الى المخادع بدلا من الاصغاء الى ذاك الذي هو الحق الذي عنده وحده المعرفة والفهم . فبواسطة مزج الشر بالخير ارتبك عقله واختبل وقد ُخدرت قواه العقلية والروحية وما عاد يستطيع ان يقدّر الخير الذي منحه الله بكل سخاء

ان آدم وحواء قد اختارا معرفة الشر واذا امكن لهما ان يستردا المركز الذي خسراه فلا بد ان يسترداه تحت الظروف غير الملائمة التي قد جلباها على نفسيهما . انهما لن يعيشا فى عدن فيما بعد لانها فى حالة كمالها لن تستطيع ان تعلمهما الدروس التي صار من الامور الجوهرية لهما ان يتعلماها . ففي حزن لا يعبر عنه ودعا بيئتهما الجميلة وخرجا ليعيشا على وجه الارض التي حلت عليها لعنة الخطية

قال الله لآدم : « لانك سمعت لقول امرأتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلا لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك . بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك . وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل . بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الارض التي اخذت منها . لانك تراب والى تراب تعود » (تكوين ٣ : ١٧ ــ ١٩)

ومع ان الارض ُضربت باللعنة فان الطبيعة كانت لا بد مع ذلك ان تكون كتاب الدرس للانسان . انها لم يمكنها الآن ان تمثل الخير وحده لان الشر كان حاضرا فى كل مكان

مشوها ومفسدا الارض والبحر والسماء بلمسته المنجسة. وحيث لم يكن مكتوبا قبلا شيء غير صفات الله ومعرفة الخير فقد كتبت الآن صفات الشيطان ومعرفة الشر . ومن الطبيعة التي اعلنت الآن معرفة الخير والشر كان على الانسان ان يتلقى دائما انذارا عن نتائج الخطيــة

وقد شاهد آدم وشريكته فى الزهور الذابلة واوراق الاشجار المتساقطة اول علامات الانحلال . وبكل وضوح خطرت لعقليهما هذه الحقيقة الكئيبة وهي ان كل شيء حي لا بد ان يموت ، بل حتى الهواء الذي كانت حياتهما متوقفة عليه كان يحمل بذار الموت

وكانا باستمرار يتذكران ايضا مملكتهما التي قــد خسراها. ان آدم كان قبلا يقف بين الخلائق الدنيا كملك ، وطالما ظل على ولائه لله اعترفت كل الطبيعة بسلطانه ، ولكن عندما تعدى وعصى خسر هذا الملك وهذا السلطان. ان روح العصيان الذي قد سمح هو بدخوله انتشر فى كل المملكة الحيوانية . وهكذا ليس فقط حياة الانسان بل طبيعة البهائم والوحوش واشجار الغابات وعشب الحقل ونفس الهواء الذي كان يستنشقه ــ كل هذا اخبر عن الدرس المحزن درس معرفة الشر

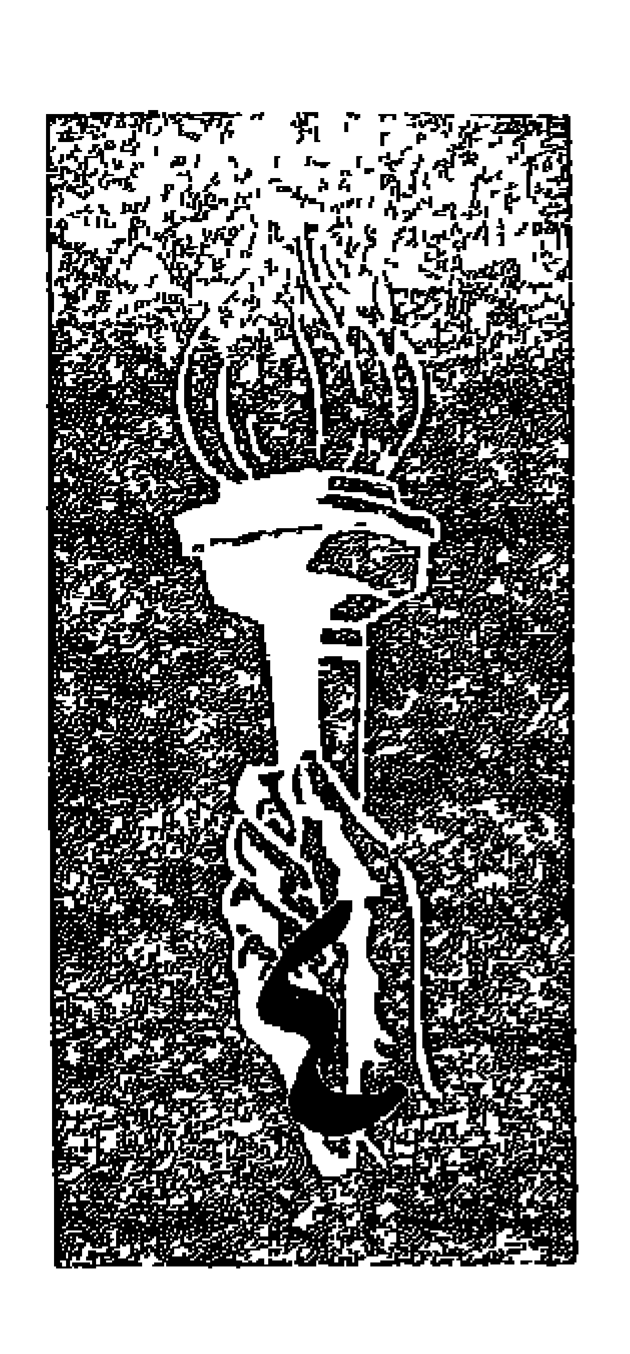
الا ان الانسان لم ُيترك فريسة لنتائج الشر الذي قد اختاره . ففي الحكم الذي صدر ضد الشيطان ُقدم اعلان عن الفداء . فقد قال الله : « واضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها . هــو يسحق رأسك وانت

26,27

تسحقين عقبه » (تكوين ٣ : ١٥) . فهذا الحكم الذي نطق به على مسمع من ابوينا الاولين كان وعدا لهما . فقبلما سمعا عن الشوك والحسك او التعب والحزن الذي كان من نصيبهما ، او التراب الذي سيعودان اليه اصفيا الى كلام كان لا بد ان يحقق لهما الرجاء . فكل ما قد خسراه بسبب الانصياع للشيطان امكن استرداده عن طريق المسيح

ثم ان هذا التلميح تردده الطبيعة لنا . فمع ان الخطية قد شوهتها فانها لا تتحدث عن الخلق وحسب بل ايضا عن الفداء . فمع ان الارض تحمل الشهادة على اللعنة فى علائم الانحلال الواضحة ، فهي لا تزال غنية وجميلة فى علامات القوة المانحة الحياة . فالاشجار تتساقط اوراقها انما لتعود فتلبس حلة جديدة من الاوراق النضرة الجميلة ، والازهار تذوي وتموت ولكنها تعود للظهور فى جمال جديد، وفى كل مظهر من مظاهر القوة الخالقة نجد اليقين بأننا يمكن ان نخلق ثانية فى « البر وقداسة الحق » (أفسس ٤ : ٢٤) . وهكذا فنفس اشياء وعمليات الطبيعة التي تصور لعقولنا بكل وضوح خسارتنا العظيمة تصير بالنسبة الينا رسالة الرجاء

وطالما يمتد الشر وينتشر فان صوت ابينا يسمع آمرا اولاده بأن ينظروا فى نتائج ذلك الشر طبيعة الخطية ، محذرا اياهم بأن يتركوا الشر وداعيا اياهم لقبول الخير



صِلة التربية بالفِداء

لقد طرد الانسان من محضر الله بسبب الخطية . ولولا تدبير الفداء لانفصل عن الله انفصالا ابديا وكان ظلام الليل الذي لا آخر له من نصيبه . ولكن عن طريق ذبيحة المخلص اصبح من الممكن ان تعود الشركة بينه وبين الله من جديد . لا يسمح لنا بالاقتراب منه باشخاصنا لنكون في حضرته ، فلا يسمح لنا ونحن في خطيتنا بأن نشخص في وجهه ، ولكننا نستطيع ان نراه ونتحدث اليه في يسوع المخلص . لقد اعلنت « انارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح ». كان الله « في المسيح مصالحا العالم لنفسه » (٢ كورنثوس ٤ : ٦ ؛ ٥ : ١٩)

« الكلمة صار جسدا وحل بيننا . . . مملوءا نعمة وحقا » « فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس » (يوحنا ١ : ١٤ و ٤) . ان حياة المسيح وموته ، ثمن فدائنا ، فضلا عن كونهما وعدا وعهدا بالحياة ، وفضلا

عن كونهما وسيلة لفتح كنوز الحكمة لنا فأنهما اعلان اشمل واسمى لصفاته مما قد عرفه ابوانا وهما فى حالة القداسة

واذ يفتح المسيح السماء للانسان فالحياة التي يمنحها تفتح قلب الانسان للسماء . ان الخطية فضلاً عن كونها تطردنا بعيدا عن الله فأنها تدمر فى النفس البشرية الرغبة فى معرفته والقدرة على ذلك . ورسالة المسيح هي ان ينقض ويقوض كل عمل الشر هذا . فقوى النفس التي قد عطلتها الخطية والعقل المظلم والارادة المنحرفة ، للمسيح القوة على ان ينشطها ويجددها ويستردها . انه يفتح لنا كنوز الكون وبواسطته تمنح القوة على ادراك هذه الكنوز وامتلاكها

ان المسيح هو « النور ... الذي ينير كل انسان آتيا الى العالم» (يوحنا ١ : ٩). وكما انه بواسطة المسيح يستمد كل كائن بشري حياته فكذلك عن طريقه تستمد كل نفس بعض اشعة النور الالهي . ففي قلب كل انسان يوجد ، لا القوة العقلية وحدها بل ايضا القوة الروحية وادراك الحق واشتهاء الصلاح . ولكن توجد قوة معادية لهذه المبادىء . وان نتيجة الاكل من شجرة معرفة الخير والشر تبدو ظاهرة فى اختبار كل انسان . فيوجد فى طبيعته ميل الى الشر وقوة لا يستطيع مقاومتها ما لم يجد العون . فلكي يصمد امام هذه القوة ويبلغ الى ذلك المثل الاعلى الذي يقبله فى صميم نفسه كالمثل الوحيد الجدير بالقبول يمكنه ان يجد العون فى قوة واحدة . وتلك القوة هي

المسيح . واعظم ما يحتاجه الانسان هو التعاون مع تلك القوة . افلا يجب ان يكون هذا التعاون هو اسمى اهداف كل الجهود التربوية ؟

ان المعلم الحقيقي الامين لا يكتفي بعمل من الدرجة الثانية . وهو لا يقنع بتوجيه طلبته الى مقياس ادنى من اسمى مقياس يمكنهم بلوغه . ولا يمكنه ان يقنع بأن يقدم لهم المعرفة الفنية التي تجعلهم كتبة حسابات ماهرين فقط او ارباب صناعات ممتازين او تجارا ناجحين . ولكنه يطمع في ان يلهمهم مبادىء الحق والطاعة والكرامة والاستقامة والطهارة ـ المبادىء الكفيلة بأن تجعلهم قوة اكيدة للاستقرار والسمو بالمجتمع . وهو يتوق اكثر من اي شيء آخر ، الى ان يجعلهم يتعلمون درس الحياة العظيم للخدمة الخالية من الاثرة

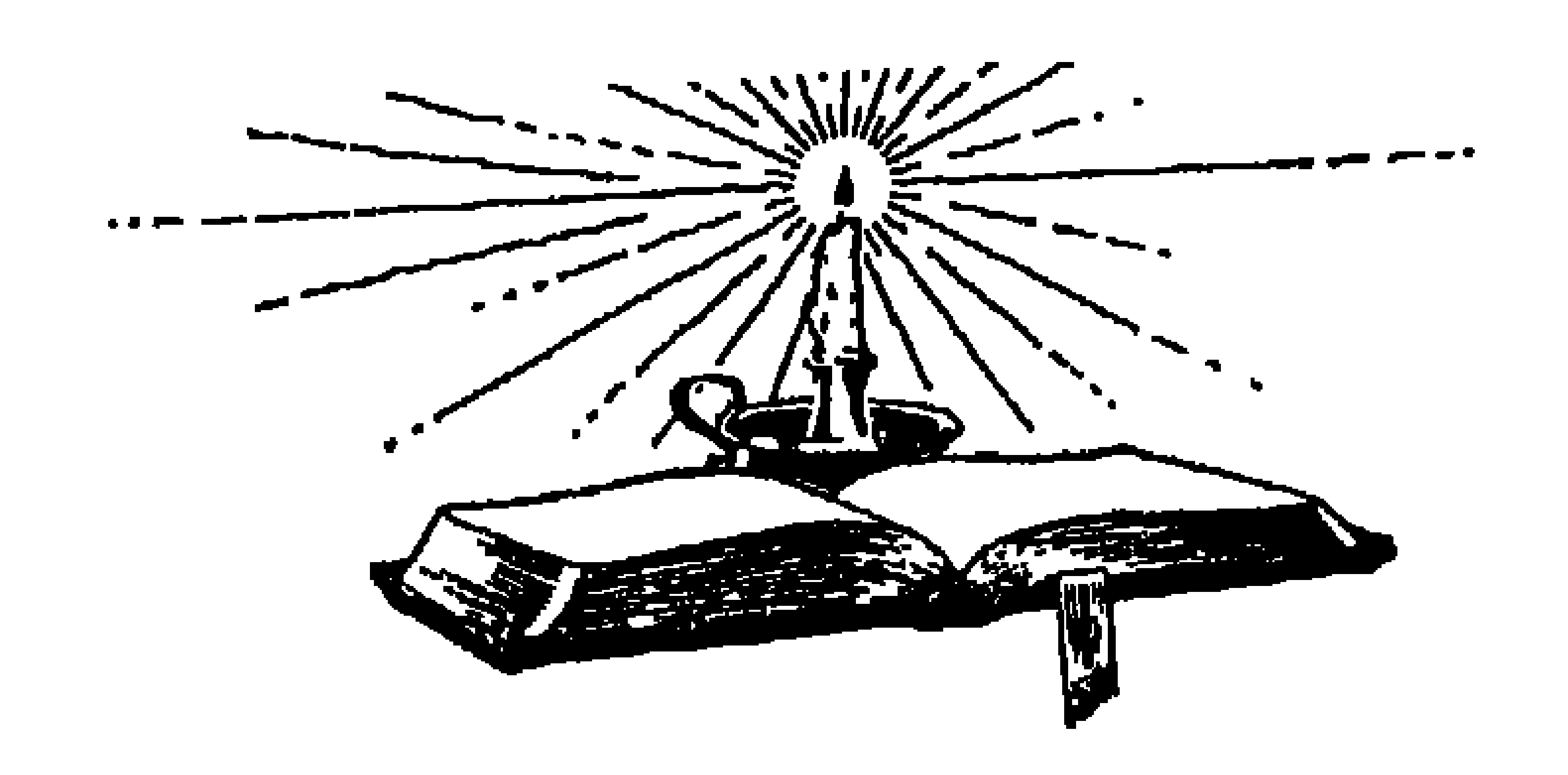
فهذه المبادىء تصير قوة حية لصوغ الخلق عن طريق تعرف النفس بالمسيح ، وبواسطة قبول حكمته كالمرشد وقوته كالقوة للقلب والحياة . فإذ يتم هذا الاتحاد يكون الطالب قد وجد نبع الحكمة . وهو يجد في متناول يده قوة في نفسه لمعرفة ما في داخله من انبل المثل . وان فرص الحصول على اسمى تربية للحياة في هذا العالم هي له . واذ يظفر بالتربية في هذا العالم فهو يدخل الى المنهج الذي يشمل الابديــة

ان عمل التربية وعمل الفداء هما واحــد في اسمى المعاني ، لانه في التربية كما في الفداء « لا يستطيع احد

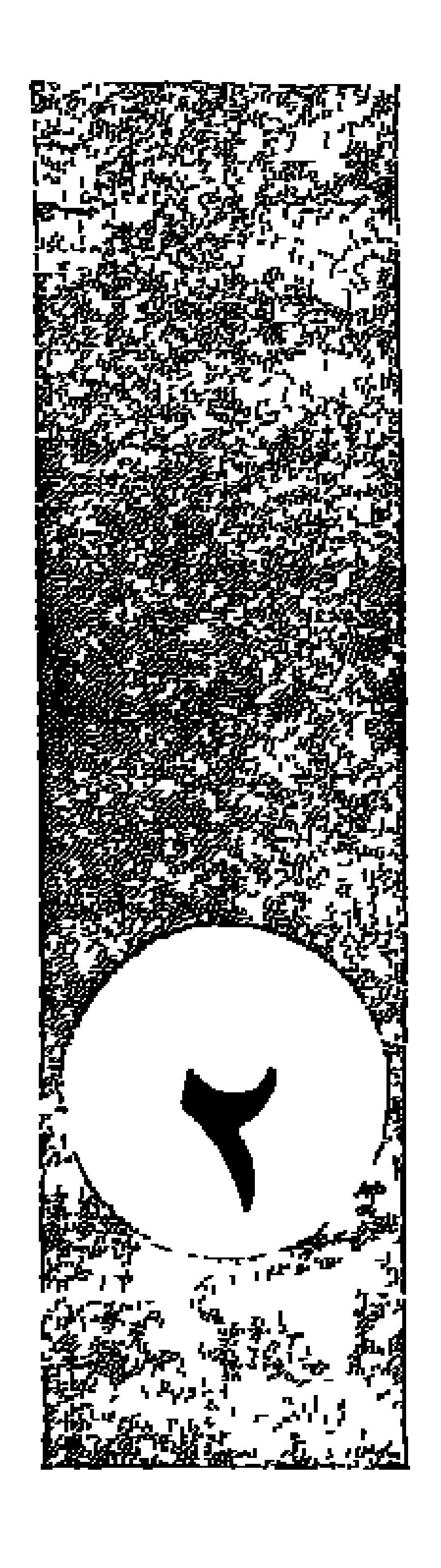
ان يضع اساسا آخر غير الذي وُضع الذي هو يسوع المسيح » « لانه فيه سُر ان يحل كل الملء » (١ كورنثوس ٣ : ١١ ؛ كولوسي ١ : ١٩)

وفى الظروف المتغيرة لا تزال التربية الصحيحة سائرة على نهج تدبير الخالق وهو خطة مدرسة عدن . ان آدم وحواء قبلا التعليم عن طريق محادثتهما الشخصية مع الله ، ونحن نرى انارة معرفة مجده في وجه يسوع المسيح

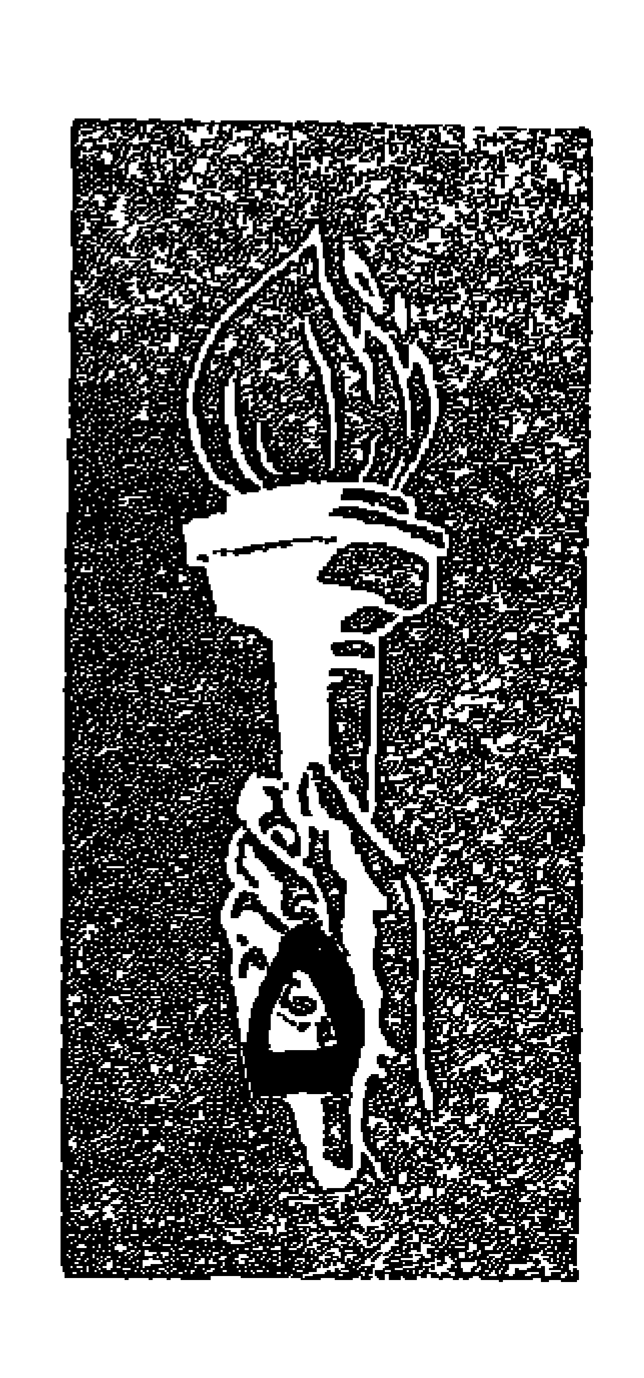
ان مبادىء التربية العظيمة لم تتغير « ثابتة مدى الدهر والأبد » (مزمور ١١١ : ٨) لانها مبادىء صفات الله — ان اول مسعى يقوم به المعلم والهدف الذي يضعه نصب عينيه دائما هو أن يساعد الطالب فى تفهم هذه المبادىء والدخول فى صلة مع المسيح تجعل هذه المبادىء قوة مسيطرة على الحياة . فالمعلم الذي يقبل على نفسه تحقيق هذا الهدف هو فى الحق عامل مع المسيح وعامل مع الله



القسم



أمثلة



٥ تربية العبرانيين

ان نظام التربية الذي اقيم في جنة عدن كان مركزا في العائلة . فقد كان آدم « ابن الله » (لوقا ٣ : ٣٨) . وقد تلقى بنو العلي تعليمهم من ابيهم . وكانت مدرستهم باصدق المعاني مدرسة العائلة

وفي ترتيب الله للتربية كما كانت مطابقة لحالة الناس بعد السقوط ، يقف المسيح ممثلا للآب حلقة اتصال بين الله والانسان . انه المعلم العظيم لبني الانسان . وقد رسم ان يكون الرجال والنساء ممثليه . كانت العائلة هي المدرسة ، والوالدون كانوا معلمين

وكانت التربية المركزة في العائلة هي الشائعة في عهد الآباء . ولاجل المدارس المقامة هكذا اعد الله كل الظروف المؤاتية واعظمها موافقة لاجل تنمية الخلق . فالناس الذين كانوا تحت توجيهه اتبعوا خطة الحياة التي قد اقرها من البدء . اما الذين ابتعدوا عن الله فقد بنوا لانفسهم مدنا

واذ اجتمعوا فيها جعلوا يتباهون بالجلال والترف والرذيلة التي تجعل المدن في يومنا هذا مفخرة العالم ولعنته . ولكن الناس الذين تمسكوا بمبادىء الله للحياة فسكنوا بين الحقول والتلال . فكانوا فلاحين فى الارض ورعاة للغنم والمواشي ، وفى هذه الحياة الحرة المستقلة بما فيها من فرص للعمل والدرس والتفكير تعلموا من الله وعلموا اولادهم عن اعماله وطرقه

وكان هذا هو اسلوب التربية الذي قصد الله ان يقيمه بين العبرانيين . ولكن عندما خرج بنو اسرائيل من مصر لم يكن يوجد بينهم غير عدد قليل ممن كانوا على استعداد لان يكونوا عاملين معه فى تربية اولادهم . كان الوالدون انفسهم بحاجة الى التعليم والتدريب . فاذ كانوا ضحايا حياة العبودية الطويلة كانوا جهلة وغير مدربين ومنحطين . ولم يكن عندهم غير النزر اليسير من المعرفة عن الله والايمان به . وقد شوشت افكارهم التعاليم الكاذبة كما قد افسدهم احتكاكهم بالوثنية . وكان الله يريد ان يرفعهم الى مستوى اخلاقي اسمى ، ولأجل هذا قصد ان يعرفهم بنفسه

ان الله فى معاملاته مع اولئك المتجولين فى البرية ، وفى كل رحلاتهم الى هنا وهناك ، وفى تعرضهم للجوع والعطش والاعياء ، وفى الخطر الذي اتاهم من اعدائهم الوثنيين ، وفى اظهار عنايته فى امر اسعافهم — كان يحاول ان يقوي ايمانهم بكونه اظهر لهم القوة التي كانت دائما تعمل لاجل خيرهم . واذ علمهم ان يثقوا بمحبته وقدرته كان قصده

ان يضع امامهم فى وصايا شريعته مقياس الخلق الذي كان يريدهم ان يبلغوه بنعمته

وقد كانت الدروس التي تعلمها العبرانيون فى اثناء رحلاتهم فى سيناء ثمينة . كانت هذه فرصة تدريب خاص لميراث كنعان . وكانت البيئة المحيطة بهم حينئذ موافقة لتحقيق قصد الله . فعلى قمة جبل سيناء وفوق السهل الذي حل فيه الشعب ونصبوا خيامهم حل عمود السحاب الذي كان مرشدا لهم فى رحلاتهم . وعمود النار الذي انار لهم فى الليل اكد لهم حراسة الله . وفيما كانوا غارقين فى النوم نزل خبز السماء وغطى الارض حول المحلة . ومن كل جانب تحدثت المرتفعات الصخرية الكالحة عن البقاء والجلال . وقد التزم الانسان ان يشعر بجهله وضعفه فى حضرة ذاك الذي « وزن الجبال بالقبان والآكام بالميزان » (اشعياء ٤٠ : ١٢) . ان الله اذ اظهر مجده هنا حاول ان يقنع بني اسرئيل بقداسة صفاتـــه ومطاليبه وهول اثم العصيان

ولكن الشعب كانوا متباطئين فى تعلم الدروس . فاذ كانوا معتادين كما فى مصر على الصور المادية لتمثيل الله ، وكانت هذه الصور من احط الانواع صار من الصعب عليهم ان يدركوا وجود او صفات الاله غير المنظور . فلشفقته على ضعفهم اعطاهم الله رمزا لحضوره اذ قال : « يصنعون لي مقدسا لأسكن فى وسطهم » (خروج ٢٥ : ٨)

وفى اقامة المقدس ليكون مسكنا لله اوصي موسى بأن يصنع كل شيء حسب مثال السماويات . وقد دعاه الله

ليصعد اليه فى الجبل واعلن له الامور السماوية ، وكان يجب ان يصنع المسكن وكل ما يتعلق به على مثالها

وهكذا اعلن مثله الاعلى المجيد الخلق للعبرانيين الذين قصد ان يجعلهم مسكنه . وقد اظهر لهم المثال فى الجبل عندما اعطيت الشريعة من السماء وعندما اجتاز الله امام موسى ونادى قائلا : « الرب الرب اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء » (خروج ٣٤ : ٦)

ولكنهم فى انفسهم كانوا عاجزين عن بلوغ هذا المثال . فالاعلان الذي رأوه فى سيناء امكنه اقناعهم فقط بحاجتهم وعجزهم . وهنالك درس آخر كان يجب ان يتعلموه من الخيمة عن طريق خدمة الذبيحة — وهو درس غفران الخطية والقوة بواسطة المخلص للطاعة للحياة

فعن طريق المسيح كان سيتم الغرض الذي كان المسكن رمزا له — ذلك المسكن المجيد ، جدرانه التي من ذهب لامع متألق يعكس الوان قوس قزح ، وستائره المضفورة او المطرزة بالكاروبيم ، وعطر البخور الموقد دائما والمنتشر فى كل مكان ، والكهنة الذين يلبسون ثيابا من الكتان الابيض النقي ، وفى السر العميق فى قدس الاقداس وفوق غطاء التابوت بين تمثالي الملاكين المنحنيين الساجدين ، مجد الاله القدوس . رفى كل شيء اراد الله ان يقرأ شعبه قديما قصده نحو النفس البشرية . وقد كان هو نفس القصد الذي اوضحه بولس الرسول بعد ذلك بقرون طويلة عندما تكلم مسوقا بالروح القدس فقال :

« اما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم . ان كان احد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لان هيكل الله مقدس الذي انتم هو » (١كورنثوس ٣ : ١٦ و ١٧)

لقد كان امتيازا وكرامة عظيمين ان يمنح بنو اسرائيل اعداد المقدس ، كما كانت المسؤولية عظيمة كذلك . فذلك المسكن الفائق فى البهاء الذي تطلبت اقامته اغلى المواد واسمى مهارة فنية كان يجب ان يقام فى البرية بأيدي الشعب الذين نجوا من العبودية منذ عهد قريب . وكان يبدو انه عمل هائل . ولكن ذاك الذي رسم خطة البناء تعهد بالتعاون مع البنائين

« وكلم الرب موسى قائلا . انظر . قد دعوت بصلئيل بن اوري بن حور من سبط يهوذا باسمه. وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة ... وها انا قد جعلت معه اهولياب بن اخيساماك من سبط دان . وفى قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة ليصنعوا كل ما امرتك » (خروج ٣١ : ١ — ٦)

فيا لها من مدرسة صناعية تلك التي كانت فى البرية التي كان معلموها المسيح وملائكته !

وفى اعداد المقدس واثاثه كان على كل الشعب ان يتعاونوا. كان يوجد عمل لتشغيل الفكر واليد ، وكان الامر يحتاج الى تشكيلة كبيرة من المواد ، وقد طلب من الجميع ان يساهموا بقدر ما تسمح به قلوبهم

وهكذا ففي العمل وفى العطاء تعلموا ان يتعاونوا مع

36,37

الله ومع بعضهم البعض. كما كان عليهم ايضا ان يتعاونوا في اعداد البناء الروحي ــ هيكل الله في النفس

ومنذ بدء رحيلهم عن مصر قدمت دروس لاجل تعليمهم وتدريبهم . وحتى قبلما تركوا مصر قدم لهم نظام وقتي فنظم الشعب في جماعات تحت قادة معينين . وفي سيناء اجريت الترتيبات لإكمال التنظيم . ان النظام الذي اجري بكيفية مدهشة في كل اعمال الله كان ظاهرا في النظام العبراني . فقد كان الله في مركز السيادة والحكم . وكان على موسى كنائب عن الله ان ينفذ القوانين باسمه . ثم جاء مجمع السبعين ، ثم الكهنة والرؤساء ، وتحت هؤلاء كان رؤساء الالوف ورؤساء المئات ورؤساء الخماسين ورؤساء العشرات (العدد ١١ : ١٦ و ١٧ وتثنية ١ : ١٥) . واخيرا الموظفون المعينون للقيام بواجبات خاصة . وقد نظمت المحلة تنظيما مضبوطا ، فكانت الخيمة التي هي مسكن الله في الوسط وحولها خيام الكهنة واللاويين. وخارج هذه حل كل سبط بجوار رايته

وقد نفذت تنظيمات صحية جيدة وفرضت هذه على الشعب ليس فقط كضرورة تقتضيها الصحة بل كشرط لبقاء الله القدوس وسطهم . وقد اعلن موسى بسلطان الله قائلا : « الرب الهك سائر في وسط محلتك لكي ينقذك . . . فلتكن محلتك مقدسة » (تثنية ٢٣ : ١٤)

ان تربية العبرانيين شملت كل عادات حياتهم . فكل ما كان له شأن بسعادتهم كان موضوع اهتمام الله وجاء ضمن دائرة اختصاص شريعة الله . وحتى في تدبير امر طعامهم

طالب الله اعظم خير لهم . فالمن الذي اطعمهم اياه فى البرية كان من النوع الذي يزيد من قوتهم البدنية والعقلية والادبية . ومع ان كثيرين منهم تمردوا على تحديد طعامهم وتاقوا للعودة الى الايام التي قالوا عنها : « كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع » (خروج ١٦ : ٣) ؛ فان الحكمة فى اختيار الله لهم تزكت بكيفية لم يمكنهم ان يناقضوها . بالرغم عن حياتهم الشاقة فى البرية لم يكن فى كل اسباطهم عاثر

وفى كل رحلاتهم وتنقلاتهم كان يجب ان التابوت المحتوي على شريعة الله يسير فى طليعتهم . وكان مكان نزولهم يدل عليه نزول عمود السحاب . وطالما كانت السحابة حالة على الخيمة ظلوا هم فى المحلة . فمتى ارتفعت تابعوا سفرهم . وكلا النزول والرحيل تميزا بدعاء مقدس . « وعند ارتحال التابوت كان موسى يقول قم يا رب فلتتبدد اعداؤك . . . وعند حلوله كان يقول ارجع يا رب الى ربوات الوف اسرائيل » (عدد ١٠ : ٣٥ و ٣٦)

وعندما سافر الشعب فى البرية رسخت فى اذهانهم دروس ثمينة كثيرة بواسطة الغناء . فعند نجاتهم من جيش فرعون اشترك كل جمهور العبرانيين فى اغنية الانتصار . فعلى مسافة بعيدة فى القفر والبحر سمع صوت ذلك القرار الفرح ورددت الجبال صدى تلك التسبيحة القائلة : « رنموا للرب فأنه قد تعظم » (خروج ١٥ : ٢١) . وكثيرا ما رددوا هذه التسبيحة وهم مسافرون لتبهج قلوبهم وليضرم الايمان فى قلوب اولئك السائحين المسافرين . ان

الوصايا كما اعطيت من سيناء والمواعيد برضى الله وتواريخ عجائبه وآياته لاجل خلاصهم عبر عنها بموجب امر الله فى التسابيح ، وترنموا بها على صوت الآلات الموسيقية ، وكانوا يسيرون سيرا عسكريا عندما كانوا يشتركون فى التسبيح

وهكذا ارتفعت افكارهم فوق تجارب الطريق وصعوباته ، وهدأت الروح الضجرة المهتاجة وسكنت ، وتأصلت مبادىء الحق فى العقول والافكار وتشدد الايمان . وقد علمهم اتحادهم فى العمل النظام والوحدة ، وزاد الشعب اقترابا الى الله والى بعضهم البعض

وقد اعلن موسى عن معاملة الله لاسرائيل مدى سني تجوالهم فى البرية اربعين سنة قائلا : « كما يؤدب الانسان ابنه قد ادبك الرب الهك» «لكي يذلك ويجربك ليعرف ما فى قلبك اتحفظ وصاياه ام لا » (تثنية ٨ : ٥ و ٢) .

«وجده فى ارض قفر وفى خلاء مستوحش خرب . احاط به ولاحظه وصانه كحدقة عينه . كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه . هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه اله اجنبي » (تثنية ٣٢ : ١٠ ــ ١٢)

« لانه ذكر كلمة قدسه مع ابراهيم عبده . فاخرج شعبه بابتهاج ومختاريه بترنم . واعطاهم اراضي الامم . وتعب الشعوب ورثوه . لكي يحفظوا فرائضه ويطيعوه شرائعه » (مزمور ١٠٥ : ٤٢ ــ ٤٥)

وقد احاط الله العبرانيين بكل الامور المسهّلة المساعدة ، واعطاهم كل امتياز يمكن ان يجعلهم مجدا وفخرا لاسمه وبركة للامم المحيطة بهم . فاذا ساروا فى طرق الطاعة فقد وعد ان يجعلهم مستعلين « على جميع القبائل التي عملها فى الثناء والاسم والبهاء » . ثم قال : « فيرى جميع شعوب الارض ان اسم الرب قد سُمي عليك ويخافون منك » . والامم الذين سيسمعون كل هذه الفرائض يقولون : « هذا الشعب العظيم انما هو شعب حكيم وفطن » (تثنية ٢٦ : ١٩ ؛ ٢٨ : ١٠ ؛ ٤ : ٦)

وفى الشرائع المسلمة الى العبرانيين اعطيت لهم وصية صريحة خاصة بالتربية . لقد أعلن الله نفسه لموسى فى سيناء على انه « اله رحيم ورؤوف بطيء الغضب وكثير الاحسان والوفاء » (خروج ٣٤ : ٦) . فهذه المبادىء المتضمنة فى شريعته كان يجب على الآباء والامهات فى اسرائيل ان يعلموها لأولادهم . فبموجب توجيه من الله اعلن موسى قائلا لهم : « لتكن هذه الكلمات التي انا اوصيك بها اليوم على قلبك . وقصها على اولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشي فى الطريق وحين تنام وحين تقوم » (تثنية ٦ : ٦ و ٧)

ولم تكن هذه الامور لتعلّم كنظرية جافة . فالذين كانوا سيعلمون غيرهم الحق كان عليهم ان يمارسوا مبادئه عمليا . فما كان فى مقدورهم ان يقنعوا الآخرين الا بكونهم يعكسون صفات الله على استقامة حياتهم ونبلها وايثارها

ان التربية الصحيحة ليست هي ارغام العقل غير المستعد وغير الواعي على قبول التعليم . يجب ايقاظ قوى العقل واثارة الاهتمام . وقد اعد اسلوب الله للتعليم العدة لأجل هذا . فذاك الذي خلق العقل وسن شرائعه اعد العدة لأجل نموه ونضجه طبقا لها . ففي البيت وفي المقدس ، في وسط مناظر الطبيعة والفن ، في العمل وفي الولائم والافراح ، وفي البناء المقدس والحجر التذكاري ، وبواسطة الرسائل والطقوس والرموز التي لا حصر لها ، اعطى الله للعبرانيين دروسا لشرح مبادئه وحفظ ذكرى عجائبه . وحينئذ فحينما كان يقدّم السؤال كان التعليم يقنع العقل والقلب

وفي الترتيبات التي اعدت لتربية الشعب المختار ظهر ان الحياة المركزة في الله هي حياة الكمال . فكل حاجة غرسها تكفل بان يسدها ، وكل مقدرة منحها يعمل على تنميتها

ان مبدع كل جمال ، الذي هو نفسه يحب كل ما هو جميل ، الله نفسه دبر ان يشبع في نفوس اولاده حب الجمال . وقد اعد العدة ايضا لسد حاجاتهم الاجتماعية لأجل العشراء المشفقين مقدمي المعونة الذين يعملون كثيرا ليغرسوا العطف وليبهجوا الحياة ويجعلوها مشرقة وحلوة

وكوسيلة من وسائل التربية شغل مكان هام بواسطة اعياد العبرانيين ومواسمهم . في الحياة العادية كانت العائلة بمثابة مدرسة وكنيسة ، وكان الوالدون هم المعلمين في الشؤون الزمنية والدينية . ولكن عينت مواسم ثلاث

41,42

مرات فى السنة لاجتماع الشعب معا وللعبادة . وقد عقدت هذه الاجتماعات فى شيلوه اولا ، وبعد ذلك فى اورشليم . وكان يطلب من الآباء والبنين وحدهم حضور هذه الاحتفالات ، ولكن ولا واحد تغاضى عن فرص الاعياد هذه ، وبقدر الامكان ذهب كل افراد العائلة الى هذه الاعياد ، وكان معهم الغريب واللاوي والفقير كشركاء لهم فى عطايا سخائهم

كان السفر الى اورشليم بملابس الناس البسيطة قديما ، فى وسط جمال فصل الربيع او غنى وبهجة فصل الصيف او مجد نضوج ثمار الخريف متعة واي متعة . لقد جاءوا يحملون ذبائح الشكر من الرجل الأشيب الى الطفل الصغير ليتقابلوا مع الله فى مسكن قدسه . وفيما كانوا يسافرون كانت اختبارات الماضي ، القصص التي لا يزال الكبار والصغار يحبونها جدا تُسرد على مسامع الاطفال العبرانيين . والترنيمات التي قد ابهجت قلوب الشعب فى البرية كانوا يترنمون بها . وقد تغنوا بوصايا الله ، واذ كانت مرتبطة بمؤثرات الطبيعة المباركة والصحاب المشفقين من الناس ظلت كل هذه القصص والتسابيح راسخة فى اذهان كثيرين من الاطفال والشباب

ان الطقوس التي شوهدت فى اورشليم مرتبطة بخدمة الفصح ـ الاجتماع فى نصف الليل ، الرجال بأحقائهم المشدودة واحذيتهم فى ارجلهم وعصيهم فى ايديهم وهم يتناولون عشاءهم بعجلة ، الخروف ، الفطير ، والاعشاب

المرة ، وفى صمت مقدس يصغون الى تلاوة قصـــة الدم المرشوش ، والملاك المهلك ، والخروج العظيم مـــن ارض العبودية ــ كل هذه كانت قوية بحيث اثارت الافكار واثرت على القلوب

ثم عيد المظال او عيد الحصاد بتقدماته من البستان والحقل ، وسكناهم فى مظال مـــن اغصان الاشجار لمدة اسبوع ، واجتماعاتهم مرة اخرى ، والخدمة التذكارية المقدسة ، وعطايا سخائهم لخدام الله ، اللاويين فى المقدس ولأولاده الغرباء والفقراء ، كل هذه جعلت الافكار والعقول تسبح بحمد الرب الذي كلل السنة بجوده وآثاره تقطر دسما

وقد كرس الاتقياء فى الشعب شهرا كاملا من كل سنة لهذه الحفلات بهذه الكيفية . كان وقتا خاليا مـــن الهم والتعب وقد ُكرس بجملته تقريبا بكل معنى الكلمة لاغراض التربيـــة

وفى تقسيم ميراث شعبه كان قصد الله ان يعلمهم ، وان يعلم الاجيال التي تأتي بعدهم عن طريقهم ، المبادىء السليمة الخاصة بملكية الارض. كانت ارض كنعان مقسمة بين كل الشعب باستثناء اللاويين الذين كانوا خدام المقدس. فمع ان الانسان كان يمكنه ان يبيع ملكه الى حين فلم يكن يمكنه ان يبيع ميراث اولاده . فكانت له الحرية فى ان يفتديه عندما يستطيع ذلك ، وكانت الديون ُتلغى فى السنة السابعة . وفى السنة الخمسين او سنة اليوبيل كانت الارض المبيعة تعاد الى مالكها الاصلي . وهكذا كانت كل

عائلة آمنة فى ملكها . وكانت توجد حراسة كفيلة بالحيلولة دون الغنى الفاحش والفقر المدقع

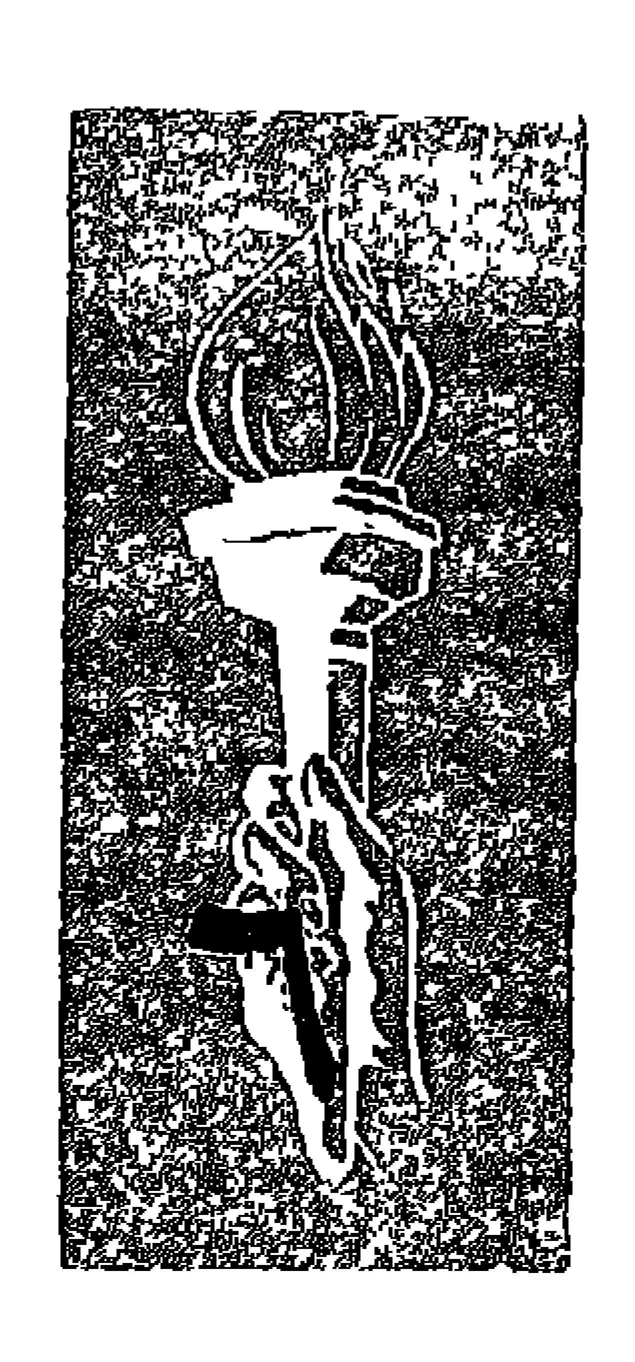
واذ وزع الله الارض بين شعبه فقد أعد لهم ، كما قد اعـد لساكني جنـة عدن الاعمال الاكثر مناسبة للنمو والنضوج ـ اي رعاية النباتات والبهائم . وهنالك احتياط آخر للتربية وهو ان تتوقف كل اعمال الزراعة كل سنة سابعة ، واذ تُترك الارض بلا زراعة فان الحاصلات التي تنتجها من تلقاء ذاتها تُترك للفقراء . وهكذا كانت تعطى فرصـة لمزيد مـن الدرس المستطيل واجتماع الشعب والعبادة وتوزيع الصدقات ، الامور التي كثيرا ما تعطلها هموم الحياة واشغالها

لو ان مبادىء شرائع الله الخاصة بتوزيع الاملاك تنفذ فى العالم اليوم فكم كانت حالة الناس تختلف عما نـراه الآن ! ان حفظ ومراعاة هذه المبادىء كفيـل بان يمنـع المساوىء الرهيبة التي نجمت فى كل العصور عـن ظلم الاغنياء للفقراء وكراهة الفقراء للاغنياء . ففي حـين ان ذلك يمنع ويعطل تكويم الثروة العظيمة فانه كفيل ايضا بأن يمنع تفشي الجهل والانحطاط بين ربوات من الناس الذين يعاملون كالعبيد بمنتهى الاجحاف والظلم اذ تُعطى لهم اجور بخسة لكي يكدس الاغنياء الثروات الطائلة . وقد يساعد ايضا فى ايجاد حل سلمي للمشاكل التي تهدد لعالم بالفوضى وسفك الدماء

ان تكريس العشر لله من كل محاصيلنا سـواء ثمار

البستان وحصاد الحقل ومواشي البقر والغنم ، او العمل العقلي او اليدوي ، وتكريس عشر آخــر لأجل اسعاف الفقراء وغير ذلك من اعمال الاحسان الاخرى ، هذا جعل الشعب يذكرون دائما ان الله هو مالك الكل ، ويذكرون ايضا انهم يجب ان يكونوا قنوات تجري فيها بركاته. وقد كان ذلك تدريبا موافقا للقضاء على كل أثرة وانطواء ولإنماء الخلق الرحب النبيل

ان معرفة الله والشركة معه فى الدرس والعمــل ، والتشبه به فى الخلق ، كان يجب ان تكون هي المصدر والوسيلة والهدف فى تربية العبرانيين ـ التربيــة التي سلمها الله للوالدين ، وسلمها الوالدون لأولادهم



مدارس الأنبياء

اينما نفذت خطة الله فى التربية فى العبرانيين فان نتائجها شهدت لحكمة مبدعها . ولكن فى عائلات كثيرة جدا كانت التربية التي اقرتها السماء والاخلاق التي تطورت تبعا لذلك نادرة سواء بسواء . ان خطة الله لم تنفذ الا جزئيا وبكيفية ناقصة . فبسبب عدم الايمان والاستخفاف بتوجيهات الرب احاط العبرانيون انفسهم بتجارب لم يقو غير القليلين على مقاومتها . فعندما سكنوا فى كنعان « لم يستأصلوا الامم الذين قال لهم الرب عنهم بل اختلطوا بالامم وتعلموا اعمالهم وعبدوا اصنامهم فصارت لهم شركا » . لم يكن قلبهم مستقيما مع الله « ولم يكونوا امناء فى عهده . اما هو فرؤوف يغفر الاثم ولا يهلك وكثيرا ما رد غضبه ... ذكر انهم بشر . ريح تذهب ولا تعود » (مزمور ١٠٦ : ٣٤ ـ ٣٦ ؛ ٧٨ : ٣٧ ـ ٣٩) . فالآباء والامهات فى اسرائيل امسوا عديمي الاكتراث لالتزامهم من

نحو الله ، وعديمي الاكتراث لالتزامهم من نحو اولادهم . فبسبب عدم الامانة فى البيت وبسبب المؤثرات الوثنية من الخارج تلقى كثيرون من شباب العبرانيين تعليما يختلف اختلافا بيّنا عن ذاك الذي قد رسمه الله لهم . فلقد تعلموا طرق الوثنيين

فلأجل مواجهة هذا الشر المستفحل اعد الله عوامل اخرى لمساعدة الوالدين فى عمل التربية • فمنذ اقدم العصور اعترف بالانبياء كمعلمين معينين من قبل الله . ان النبي كان ، بأسمى المعاني انسانا تكلم بإلهام مباشر موصلا للشعب الرسائل التي تلقاها من الله . ولكن هذا الاسم اطلق ايضا على الذين مع انهم لم يتلقوا إلهاما مباشرا كالاولين فقد دعاهم الله لتعليم الشعب فى اعمال الله وطرقه. فلأجل تعليم هذه الطائفة من المعلمين ، انشأ صموئيل بتوجيه الرب ، مدارس الانبياء

كان المقصود من هذه المدارس ان تكون سياجا يصد الفساد المستشري ، ولتكفل للشباب ما فيه خيرهم العقلي والروحي ، ولتعمل على نجاح الامة بتزويدها برجال مؤهلين لأن يعملوا بخوف الله كقادة ومشيرين . فلأجل هذه الغاية جمع صموئيل فرقا من الشباب الذين شهد لهم بأنهم اتقياء واذكياء ومفكرون . وقد دعي هؤلاء بني الانبياء . فإذ درسوا كلمة الله وأعماله ، فأن قوته المانحة الحياة أحيت قوى عقولهم ونفوسهم فتقبّل هؤلاء الطلبة الحكمة التي من فوق . اما معلموهم ففضلا عن كونهم

متضلعين فى الحق الألهي فانهم هم انفسهم تمتعوا بالشركة مع الله وحصلوا على عطية روحه الخاصة . وقد ظفروا بتوقير الشعب وثقته لأجل علمهم كما لاجل تقواهم . وفى ايام صموئيل كانت توجد اثنتان من هذه المدارس ـ احداهما فى الرامة موطن النبي والاخرى فى قرية يعاريم . وفى العصور التالية انشئت مدارس اخرى

وكان تلأميذ هذه المدارس يعولون انفسهم بالاشتغال فى فلاحة الارض او اي عمل ميكانيكي . ولم يكن هذا العمل معتبرا غريبا او محقرا للانسان بين العبرانيين ، وفى الحق ان السماح للأولاد بان يكبروا وهم يجهلون العمل النافع كان معتبرا خطية . فكل شاب سواء اكان ابواه غنيين او فقيرين كان يتعلم حرفة ما . وحتى مع انه كان يتعلم ليشغل وظيفة مقدسة فان معرفة الحياة العملية كانت معتبرة لازمة كل اللزوم لأعظم نفع . بل ان كثيرين من المعلمين كانوا يعولون انفسهم بالعمل اليدوي

وفى كلا المدرسة والبيت كان جانب كبير من التعليم شفويا ، ولكن الشباب تعلموا ايضا قراءة الكتب العبرية ، وكانت رقوق اسفار العهد القديم مفتوحة لدراستهم . وقد كانت مواضيع الدرس الرئيسية فى هذه المدارس شريعة الله مع التعليم المسلم الى موسى والتاريخ المقدس والموسيقى المقدسة والشعر . وفى سجلات التاريخ المقدس كانوا يتتبعون آثار اقدام الرب . والحقائق العظيمة التي توضحها الرموز فى خدمة المقدس بُسطت امامهم ، فادرك الايمان الغرض الرئيسي فى كل ذلك النظام ـ حمل الله

المزمع ان يرفع خطية العالم . وقد احتضن الطلبة روح التكريس والتعبد . ففضلا عن كون الطلبة تعلموا واجب الصلاة فقد تعلموا كيف يصلون وكيف يقتربون من خالقهم وكيف يتدربون على الايمان به، وكيف يفهمون تعاليم روحه ويطيعونها . ان الذهن المقدس استخرج من كنز بيت الله جددا وعتقاء وقد اظهر روح الله في النبوة والترنيمات المقدسة

ولقد برهنت هذه المدارس على انها من افعل الوسائل في ترقية وانجاح البر الذي « يرفع شأن الامة » (امثال ١٤ : ٣٤) . وقد اعانت بدرجة كبيرة في وضع اساس ذلك النجاح العجيب الذي به امتاز ملك داود وسليمان كليهما

والمبادىء التي تعلمها الطلبة في مدارس الانبياء هي نفس المبادىء التي صاغت اخلاق داود وشكلت حياته . فقد كانت كلمة الله معلمه . فلقد قال : « من وصاياك اتفطن . . . عطفت قلبي لاصنع فرائضك » (مزمور ١١٩ : ١٠٤ — ١١٢) . هذا ما جعل الرب يقول عن داود عندما دعاه الى العرش في شبابه اني وجدت « رجلا حسب قلبي » (اعمال ١٣ : ٢٢) .

وكذلك نرى في بكور حياة سليمان نتائج اسلوب الله في التعليم والتربية . ان سليمان في شبابه اختار نفس ما اختاره داود . فقد سأل من الله قلبا حكيما فهيما قبل كل خير ارضي . وقد اعطاه الرب ليس ما طلبه فقط بل اعطاه ايضا ما لم يطلبه — الغنى والكرامة . وقد صارت قوة فهمه واتساع علمه ومجد ملكه اعجوبة العالم

وفى ملك داود وسليمان وصلت مملكة اسرائيل الى قمة عظمتها. فالوعد المعطى لابراهيم والذي تكرر على لسان موسى قد تحقق ، وهو يقول : « لانه اذا حفظتم جميع هذه الوصايا التي انا اوصيكم بها لتعملوها . لتحبوا الرب الهكم وتسلكوا فى جميع طرقه وتلتصقوا به يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من امامكم فترثون شعوبا اكبر واعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون اقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان . من النهر نهر الفرات الى البحر الغربي يكون تخمكم. لا يقف انسان فى وجهكم » (تثنية ١١ : ٢٢ ــ ٢٥)

ولكن فى وسط النجاح كان يكمن الخطر . فخطية داود التي ارتكبها فيما بعد مع انه تاب عنها توبة صادقة وعوقب عليها عقابا شديدا فقد جرّأت الشعب على عصيان وصايا الله . وحياة سليمان بعد صباح كان يبشر بخير عميم اظلمها الارتداد . ان اشتياقه الى الحصول على قوة سياسية وتعظيم الذات ساقه الى التحالف مع الامم الوثنية . ان فضة ترشيش وذهب اوفير امكنه الحصول عليهما بواسطة التضحية بالاستقامة وخيانة الودائع المقدسة . وان معاشرته لعبدة الاوثان وزواجه بالنساء الوثنيات افسدت ايمانه . والسياجات التي قد اقامها الله لاجل سلامة شعبه نقضت واسلم سليمان نفسه لعبادة الآلهة الكاذبة . فعلى قمة جبل الزيتون وفى مواجهة هيكل الرب اقيمت تماثيل هائلة ومذابح لعبادة الآلهة الوثنية . فاذ طرح عنه ولاءه لله اضاع سليمان سيطرته على نفسه . فقد تبلدت مشاعره الرقيقة . وتبدلت الروح الامينة

المنصفة التي كانت لـه في بدء حكمه . واثمرت الكبرياء والطموح والاسراف والانصباب على الشهوات ثمار القسوة والاغتصاب . فذاك الذي كان ملكا رحيما وعادلا وخائف الله صار طاغية وظالما . والذي عند تدشين الهيكل صلى لاجل شعبه حتى يسلموا قلوبهم بجملتها لله صار مضللا لهم . لقد اهان سليمان نفسه واهان اسرائيل واهان الله

والامة التي كان هو موضوع فخرها سارت في اثر خطواته . ومع انه تاب بعد ذلك فأن توبته لم تمنع ثمار الشر ولا حصاد الشر الذي قد زرعه. ان التدريب والتربية اللذين قد عينهما الله لاجل العبرانيين كان يمكن ان يجعلاهم، في كل طرق حياتهم ، يختلفون عن شعوب الامم الاخرى . فهذه الصفة الممتازة التي كان يجب اعتبارها امتيازا خاصا وبركة ممتازة كانت مرفوضة في نظرهم. ان البساطة وردع النفس اللذين هما جوهريان لاجل اسمى نضوج حاولوا استبدالهما بالأبهة والانغماس اللذين انتشرا بين الشعوب الوثنية . كانوا يطمعون في ان يكونوا « كسائر الشعوب » (صموئيل الاول ٨ : ٥) . لقد القي جانبا بتدبير الله في التربية وتبرأوا من سلطان الله عليهم

ان سقوط اسرائيل بـدأ عندما رفضوا طرق الله وابدلوها بطرق الناس . وهكذا ايضا استمر الحال حتى امسى الشعب اليهودي غنيمة لنفس الامم التي اختاروا ان يتبعوا اعمالها

ان بني اسرائيل كأمة اخفقوا في قبول المنافع التي رغب

الله فى ان يمنحهم اياها • انهم لم يقدروا قصده ولا تعاونوا فى امر تنفيذه . ولكن مع ان الافراد والشعوب قد يفصلون انفسهم هكذا عنه فان قصده نحو من يثقون به لا يتغير : « ان كل ما يعمله الله يكون الى الابد » (جامعة ٣ : ١٤) .

وفى حين انه توجد درجات مختلفة للنمو ومظاهر مختلفة لقدرته فى مواجهة حاجات الناس فى مختلف العصور ، فان عمل الله فى كل الزمن هو بذاته لا يتغير . **فالمعلم هو ذاته وصفات الله وتدبيره هي هي ذاتها بدون** تغيير . « ليس عنده تغيير ولا ظل دوران » (يعقوب ١ : ١٧)

ان اختبارات العبرانيين قد سجلت لاجل تعليمنا ، « فهذه الامور جميعها اصابتهم مثالا وكتبت لانذارنا نحن الذين انتهت الينا اواخر الدهور» (١كورنثوس ١٠ : ١١). فبالنسبة الينا كما بالنسبة الى العبرانيين قديما يتوقف النجاح فى التربية على ولائنا فى تنفيذ تدبير الخالق . ان ثباتنا على مبادىء كلمة الله سيجلب لنا بركات عظيمة كما كان يمكن ان يجلب للشعب العبراني



حياة عظماء الرجال

ان التاريخ المقدس يقدم كثيرا من الايضاحات عن نتائج التربية الصحيحة . فهو يقدم كثيرا من المثل النبيلة لرجال صيغت اخلاقهم بحسب التوجيه الالهي والذين كانت حياتهم بركة لبني جنسهم وصمدوا فى العالم كنواب عن الله . بين هؤلاء نجد يوسف ودانيال وموسى واليشع وبولس ــ اعظم رجال السياسة ، واحكم مشترع ، وواحد من اعظم المصلحين امانة ، وفيما عدا ذاك الذي لم يتكلم مثله انسان نجد اشهر معلم عرفه العالم

ان يوسف ودانيال ، فى بكور الحياة عندما كانا ينتقلان من الشباب الى الرجولة فصلا عن بيتيهما وحملا اسيرين الى بلاد وثنية . اما يوسف على الخصوص فقد استهدف للتجارب التي تلازم التغييرات العظيمة فى الحظوظ . ففي بيت ابيه كان معززا ومحبوبا منه ، وفى بيت فوطيفار كان عبدا ثم امين سر ورفيقا ورجل اعمال تهذب عن طريق

الدرس والملاحظة والاحتكاك بالناس ، وفى سجن فرعون كان اسيرا سياسيا محكوما عليه ظلما دون امل التبرئة او اطلاقه حرا ، وقد ُدعي فى وقت ضائقــة عظيمة لقيادة الامة ــ ُترى ما الذي اعانه على الاحتفاظ باستقامته ؟

لا يستطيع انسان ان يقف على مرتفع عظيم بدون خطر يهدده . فكما ان العاصفة التي تترك زنبقة الوادي سليمة بلا اذى تقتلع الشجرة المغروسة فوق قمة الجبل ، كذلك التجارب العنيفة التي تترك المتضعين فى الحياة دون ان تمسسهم تهاجم اولئك الذين يتبوأون قمة النجاح والكرامة فى العالم . ولكن يوسف تحمّل امتحان البلوى والنجاح كليهما . فنفس الولاء كان ظاهرا فى قصر فرعون كما فى زنزانة السجين

لقد تعلم يوسف فى صباه ان يحب الله ويتقيه . فعندما كان يجلس مع ابيه فى الخيمة فى الليالي الصافية ومــن فوقهما تلمع الكواكب فى سماء ارام كثيرا ما كان ابوه يسرد عليه قصة الرؤيا التي رآها فى الليل وهو فى بيت ايل ، عن السلم المرتكزة على الارض ورأسها يمس السماء والملائكة ينزلون ويصعدون عليها وعن ذاك الذي اعلن ذاته ليعقوب من علياء السماء ، وقد اخبر بقصة الصراع الذي حدث بجوار مخاضة يبوق ، اذ بعدما طرح يعقوب عنه خطاياه المحبوبة منتصرا واعطي لقب اسرائيل ، امير مع الله

فاذ كان يوسف فتى راعيا يرعى غنم ابيه فان حياته حياة الطهارة والبساطة رافقت واعانت نضوج قواه البدنية

والعقلية . وبواسطة شركته مع الله عن طريق الطبيعة وتفهم الحقائق العظيمة المسلمة له كوديعة مقدسة من الاب لابنه اكتسب قوة في العقل وثباتا على المبدإ

وفي ازمة حياته وهو يقوم بتلك الرحلة المخيفة من البيت الذي فيه قضى سني طفولته وصباه في كنعان الى العبودية التي كانت تنتظره في مصر ، وهو يتطلع لآخر مرة الى الآكام التي كانت تخفي خيام بيت ابيه ذكر يوسف اله ابيه ، وذكر الدروس التي كان قد تعلمها في طفولته فاهتزت نفسه ومشاعره اذ عزم على ان يبرهن على امانته ، فيتصرف دائما كما يليق بمن هو من رعايا ملك السماء

ففي تلك الحياة المريرة حياة عبد غريب ، وفي وسط مشاهد وجلبة الرذيلة واغراءات العبادة الوثنية ، تلك العبادة المحوطة بكل جواذب الثروة والثقافة والابهة الملكية ظل يوسف ثابتا. فقد تعلم درس الطاعة للواجب. فالامانة في كل المواضع والمراكز من ادناها الى اعلاها دربت كل قوة فيه للخدمة الاسمى

وفي الوقت الذي فيه دعي يوسف الى بلاط فرعون كانت مصر الدولة العظمى بين الامم . فلم تكن هنالك دولة تباريها في المدنية او الفنون او العلوم. ففي فترة كانت اشد الاوقات صعوبة وخطرا ادار يوسف دفة شؤون المملكة وقد فعل ذلك بكيفية ظفر فيها بثقة الملك والشعب. ان فرعون : « اقامه سيدا على بيته ومسلطا على كل ملكه ليأسر رؤساءه حسب ارادته ويعلم مشايخه حكمة » (مزمور ١٠٥ : ٢١و٢٢)

وقد اورد لنا الوحي الالهي سر حياة يوسف . ففي كلمات قوة وجمال إلهيين اذ كان يعقوب ينطق بكلمات البركة لاولاده تكلم قائلاً عن ابنه الحبيب :

« يوسف غصن شجرة مثمرة غصن شجرة مثمرة على عين

« اغصان قد ارتفعت فوق حائط . فمررته ورمته واضطهدته ارباب السهام

« ولكن ثبتت بمتانة قوسه وتشددت سواعد يديه
« من يدي عزيز يعقوب من هناك من الراعي صخر اسرائيل

« من اله ابيك الذي يعينك ، ومن القادر على كل شيء الذي يباركك

« تأتي بركات السماء من فوق وبركات الغمر الرابض تحت . . .
« بركات ابيك فاقت على بركات ابويّ . الى منية الآكام الدهرية
« تكون على راس يوسف وعلى قمة نذير اخوته »
(تكوين ٤٩ : ٢٢ ـ ٢٦)
ان الولاء لله والايمان بغير المنظور كان مرساة يوسف. ففي هذا كانت تكمن قوته
« تشددت سواعد يديه
« من يدي عزيز يعقوب »

دانيال سفير السماء

ان دانيال ورفاقه وهم فى بابل ، كان يبدو ان الحظ يحالفهم فى شبابهم وكان يبدو انهم اسعد حظا من يوسف فى سني حياته الاولى فى مصر ، ولكنهم مع ذلك تعرضوا لامتحانات لا تقل قسوة عما تعرض هو له. فلقد نقل هؤلاء الشبان الذين كانوا من النسل الملكي من البساطة النسبية فى وطنهم اليهودي الى اعظم المدن والى بلاط اعظم ملوكها ، وقد افرزوا ليتربوا على ان يكونوا خدام الملك الخصوصيين. وكانت التجارب التي احاطت بهم فى ذلك البلاط الفاسد المترف قوية وشديدة. ان حقيقة كونهم وهم عبدة الرب ، قد سبوا الى بابل ، وان آنية بيت الله وضعت فى هيكل آلهة بابل ، وان ملك اسرائيل كان هو نفسه اسيرا بين ايدي البابليين ، جعلت المنتصرين يتناقلون تلك الاخبار متفاخرين كدليل على ان دينهم وعوائدهم اسمى من دين العبرانيين وعوائدهم. ففي مثل تلك الظروف وعن طريق نفس الاهانات التي اوجبها ارتداد العبرانيين عن وصايا الله ، قدم الله البرهان لبابل على سلطانه المطلق وعلى قداسة مطاليبه وعلى النتيجة الحتمية للطاعة. وقد قدم هو هذه الشهادة على انها هي وحدها التي يمكن تقديمها عن طريق اولئك الذين ظلوا ثابتين على ولائهم

وفى بدء حياة دانيال ورفاقه قدم لهم امتحان حاسم. ان الامر القاضي بان يقدم لهم طعامهم من على وليمة الملك كان تعبيرا عن رضى الملك واهتمامه بسعادتهم وهنائهم .

54,55

ولكن حيث ان قسما منه قد قدم للاوثان فان الطعام الذي كان يؤخذ من على مائدة الملك كان مكرسا للاوثان ، فلو اكل هؤلاء الشبان من الطعام المقدم هبة من الملك فانهم يعتبرون مشتركين معه في تقديم السجود للآلهة الكاذبة ، ان الولاء لله منعهم من الاشتراك في مثل هذا السجود ، كلا ولا تجاسروا على تحمل خطر تأثير الترف والانغماس في الملذات المضعف لنضجهم البدني والعقلي والروحي

كان دانيال ورفاقه قد تعلموا بكل امانة مبادىء كلمة الله . وقد تعلموا بان يضحوا بالارضيات في سبيل الروحيات وان يطلبوا الخير الاسمى . وقد حصدوا الجزاء . فان عادات التعفف وضبط النفس التي تمسكوا بها وشعورهم بالمسؤولية كنواب لله ساعدت على انبل نضوج لقوى الجسم والعقل والنفس . وفي نهاية مدة تدريبهم عند امتحانهم مع غيرهم من الطلبة المرشحين لكرامات المملكة « لم يوجد بينهم كلهم مثل دانيال وحننيا وميشائيل وعزريا » (دانيال ١ : ١٩)

وفي بلاط بابل اجتمع ممثلون من كل البلدان ، صفوة الرجال من ذوي المواهب النادرة ، رجال موهوبون بمواهب طبيعية فذة وقد تلقوا اسمى ثقافة يمكن للعالم ان يقدمها ، ومع ذلك ففي وسط كل اولئك لم يكن من يباري هؤلاء الاسرى العبرانيين . ففي قوة البدن والجمال وفي النشاط العقلي وفي علوم الادب وقفوا في مركز لا يدانيهم فيه احد . « وفي كل امر حكمة فهم الذي سألهم عنه الملك وجدهم

عشرة اضعاف فوق كل المجوس والسحرة الذين فى كل مملكته » (دانيال ١ : ٢٠)

ان دانيال الذي كان ثابتا على ولائه لله وغير متساهل فى سيطرته على نفسه فان عزة نفسه ونبله ورعايته اللطيفة ـ كل ذلك أكسبه فى شبابه «رضى ومحبة » رئيس الشرطة الوثني الموكول اليه امر حراسته. فنفس هذه الصفات امتازت بها حياته كلها. وسرعان ما ارتقى الى منصب رئيس وزراء المملكة. ومدى سني ملك الملوك الذين اعتلوا العرش الواحد فى اثر الآخر ، وسقوط الامة وقيام مملكة اخرى منافسة لها كانت حكمته وحسن سياسته ولباقته ولطفه عظيمة وممتازة جدا ، كما ان طيبة قلبه الخالصة ممتزجة بولائه لمبادئه كانت عظيمة الى اقصى حد حتى ان اعداءه انفسهم اضطروا للاعتراف بانهم « لم يقدروا ان يجدوا علة ولا ذنبا لانه كان امينا » (دانيال ٦ : ٤)

وحين تعلق دانيال بالله فى ثقة ثابتة فان روح القوة النبوية حل عليه. وفى حين ان الناس اكرموه بمسؤوليات البلاط الملكي واسرار المملكة ، فقد اكرمه الله باعتباره سفيرا له وعلمه قراءة اسرار الاجيال المستقبلة. والملوك الوثنيون عن طريق معاشرتهم لمثل السماء هذا اجبروا على الاعتراف باله دانيال . فقد اعلن نبوخذنصر قائلا : « حقا ان الهكم اله الآلهة ورب الملوك وكاشف الاسرار ». وداريوس فى ندائه الذي وجهه الى « كل الشعوب والامم والالسنة الساكنين فى الارض كلها » مجّد « اله دانيال... الاله الحي القيوم الى الابد وملكوته لن يزول » الذي

« ينجي وينقذ ويعمل الآيات والعجائب فى السموات وفى الارض » (دانيال ٢ : ٤٧ ؛ ٦ : ٢٥ ــ ٢٧)

رجلان صادقان وامينـــان

ان يوسف ودانيال بحكمتهما وعدالتهما ، وحياتهما حياة الطهارة والاحسان فى كـــل يوم وتكريسهما لاجـــل مصالح الشعب ــ مع انهم قوم يعبدون الاوثان ــ برهنا على اخلاصهما لمبـــادىء تربيتهما الاولى ، وامانتهما للذاك الذي كانا ممثلين له. هذان الرجلان اكرمتهما الامة كلها فى مصر وفى بابل ، وقد راى فيهما الشعب الوثني وكل الامم التي احتكا بها مثالا لصلاح الله واحسانه ومثالا لمحبـــة المسيح

يا له من عمل كرس لـــه هـــذان العبرانيان النبيلان حياتهما ! فاذ ودعا موطن طفولتهما ما اقل ما كانا يحلمان بمستقبلهما ومصيرهما السامي ! فاذ كانا امينين وثابتين اسلما نفسيهما للإرشاد الالهي حتى عن طريقهما يمكن لله ان يتمم مقصده

ونفس الحقائق العظيمة التي اعلنت بواسطة هذين الرجلين يتوق الله لأن يعلنها بواسطة الشباب والاولاد فى هذه الايام . ان تاريخ يوسف ودانيال إن هو الا مثال لما سيفعله لاجل من يسلمون ذواتهم له وبكل القلب يطلبون اتمام قصده

ان حاجة العالم العظمى هي الى الرجال ــ الرجال

الذين لن ُيباعوا ولن ُيشتروا ، الرجال الذين يضمرون فى اعماق نفوسهم الاخلاص والامانــة ،، الرجال الذين لا يخشون من ان يدعوا الخطية باسمها الحقيقي ، والذين ضميرهم مخلص للواجب ومنجذب اليــه كابرة البوصلة للقطب ، الرجال الذين يقفون الى جانب الحق ولو سقطت السموات

ولكن مثل هذا الخلق لا يأتي عفو الخاطر ولا بمحض الصدفة ، وهو لا ُيعزى الى نعم خاصة او هبات تقدمها العناية . ولكن الخلق النبيل هو نتيجة تدريب النفس واخضاع الطبيعة الادنى للطبيعة الاسمى ـ وتسليم الذات لخدمة المحبة لله وللانسان

ان الشباب بحاجة الى اقناعهم بأن هباتهم ليست ملكا لهم . فالقوة والوقت والذكاء ليست سوى كنوز او وزنات مودعة لديهم . فهي ملك لله . وعلى كل شاب ان يعزم على استخدامها احسن استخدام . انــه غصن فى الشجرة والله ينتظر منه ثمرا ، وهو وكيل يجب ان يأتي المال المودع لديه بربح ، ونور يجب ان يبدد ظلام العالم

فكل شاب وكل طفل له عمل ليعمله لأجل مجد الله ورفع شأن البشريــة

اليشــع ـ امين فى القليــل

قضى اليشع النبي سني حياته الاولى فى هدوء الحياة الريفية وكان يتلقى تعليمه من الله ومن الطبيعة والتدرب

57,58

عنى العمل النافع. ففي وقت كاد فيه الارتداد ان يكون شاملا كان افراد عائلة ابيه ضمن الجماعة التي لم تحن ركبة لبعل. فكان بيتهم بيتا فيه اكرم الله وتمجد وفيه كانت الامانة للواجب قانون الحياة اليومية

ان اليشع اذ كان ابوه مزارعا ثريا شرع يقوم بالعمل الذي وجدته يده · فمع انه كان يملك من الامكانيات ما يخوله حق الزعامة بين الناس تلقى تدريبا فى واجبات الحياة العادية . فلكي يوجه غيره توجيها حكيما عليه ان يتعلم الطاعة اولا . فلأنه كان امينا فى القليل كان مستعدا للاضطلاع بودائع اعظم واثقل

اليشع الذي كانت روحه وديعة ولطيفة كان حائزا ايضا النشاط والثبات . وقد عزز فى قلبه محبة الله ومخافته وفى روتين حياة التعب اليومية الوضيعة اكتسب قوة فى القصد ونبلا فى الخلق وكان ينمو فى النعمة الالهية والمعرفة . فاذ كان يتعاون مع ابيه فى مباشرة الواجبات البيتية كان يتعلم التعاون مع الله

جاءت الدعوة النبوية الى اليشع عندما كان يحرث فى الحقل مع عبيد ابيه . واذ كان ايليا بتوجيه من الله فى طلب خليفة له قد القى رداءه على كتفي ذلك الشاب تحقق اليشع من الامر واطاع الدعوة « قام ومضى وراء ايليا وكان يخدمه » (١ ملوك ١٩ : ٢١) . ان العمل الذي كان مطلوبا من اليشع فى باديء الامر لم يكن عظيما ، فالواجبات العادية كانت لا تزال تشكل تدريبه . قيل عنه انه كان

يصب ماء على يدي ايليا معلمه . وكتابع النبي الخاص ظل يبرهن على امانته فى القليل ، فى حين انه بعزيمته التي كانت تتقوى وتتشدد كرس نفسه للرسالة المسندة اليه من الله

عندما دُعي اليشع اولا اختبر عزمه . فعندما اتجه ليتبع ايليا امره النبي ان يعود الى بيته . عليه ان يحسب النفقة ـ ان يقرر لنفسه ما اذا كان يقبل الدعوة او يرفضها. ولكن اليشع ادرك قيمة فرصته انه لم يرد ان يتخلى عن امكانية صيرورته رسولا لله لاجل اي ربح او مغنم عالمي ، او ان يضحي بامتياز مصاحبته لخادم الرب

وبمرور الوقت ، اذ استعد ايليا للانطلاق ، كان اليشع مستعدا لان يكون خليفته. ومرة اخرى امتُحن ايمانه وتصميمه . فاذ كان يصاحب ايليا فى جولاته للخدمة وكان عالما بالتغيير المزمع ان يحدث ، كان فى كل مكان يتلقى دعوة من النبي للرجوع . قال له ايليا : « امكث هنا لان الرب قد ارسلني الى بيت ايل » ولكنه فى حياته الماضية عندما كان يحرث فى الحقل ، تعلم اليشع الا يفشل او تضعف عزيمته ، والآن وقد وضع يده على المحراث فى ناحية اخرى من الواجب لم يرد ان ينحرف عن عزمه. ففي كل مرة وجهت اليه الدعوة ليرجع كان جوابه : « حي هو الرب وحية هي نفسك اني لا اتركك » (٢ ملوك ٢ : ٢)

« وانطلقا كلاهما . . . ووقف كلاهما بجانب الاردن . واخذ ايليا رداءه ولفه وضرب الماء فانفلق الى هنا وهناك

فعبرا كلاهما فى اليبس . ولما عبرا قال ايليا لأليشع اطلب ماذا افعل لك قبل ان اوخذ منك . فقال اليشع ليكن نصيب اثنين من روحك علي ّ. فقال صعبت السؤال . فأن رايتني اوخذ منك يكون لك كذلك والا فلا يكون . وفيما هما يسيران ويتكلمان اذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما فصعد ايليا فى العاصفة الى السماء .

« وكان اليشع يرى وهو يصرخ يا ابي يا ابي مركبة اسرائيل وفرسانها . ولم يره بعد . فأمسك ثيابه ومزقها قطعتين . ورفع رداء ايليا الذي سقط عنه ورجع ووقف على شاطىء الاردن . فاخذ رداء ايليا الذي سقط عنه وضرب الماء وقال اين هو الرب اله ايليا ثم ضرب الماء ايضا فانفلق الى هنا وهناك فعبر اليشع . ولما رآه بنو الانبياء الذين فى اريحا قبالته قالوا قد استقرت روح ايليا على اليشع . فجاءوا للقائه وسجدوا له الى الارض » (٢ ملوك ٢ : ٦ ــ ١٥)

ومن ذلك الحين وقف اليشع فى مكان ايليا . وذاك الذي كان امينا فى القليل برهن ايضا على امانته فى الكثير

ان ايليا الرجل المقتدر استخدمه الله فى هدم الشرور الهائلة . فعبادة الاوثان التي اذ ساندها اخآب ونشرتها ايزابل الوثنية غررت بالامة وخدعتها ، ابطلت . وقد قتل انبياء البعل . وقد تأثر العبرانيون كلهم تأثرا عميقا ، وكثيرون منهم بدأوا يرجعون الى عبادة الله . والذي سيخلف ايليا كان مطلوبا منه ان يكون انسانا يستطيع ان

يقود العبرانيين فى طرق امينة عن طريق التعليم الحريص فى صبر واناة . فلأجل هذا العمل اعدت تربية اليشع الاولى تحت ارشاد الله ، اعدته اعدادا صالحا

ان هذا الدرس هو للجميع . فليس من يعرف ماذا يمكن ان يكون قصد الله من تدريبه ، ولكن يمكن للجميع ان يتأكدوا ان الامانة فى القليل هي البرهان على اهلية الانسان لانه يؤتمن على مسؤوليات اعظم . فكل عمل من اعمال الحياة هو اعلان للخلق وكشف له ، والذي يبرهن وهو يباشر واجباته الصغيرة على كونه : « عاملا لا يخزى » (٢ تيموثاوس ٢ : ١٥) سيكرمه الله بكونه يأتمنه على ودائع اثقل

موسى المقتدر فى الايمان

ان موسى كان اصغر من يوسف ومن دانيال عندما حُرم من رعاية وحماية بيته فى طفولته ، ومع ذلك فأن نفس العوامل التي سبق ان شكلت حياتهما صاغت حياته. انه لم يقضِ مع اهله العبرانيين اكثر من اثني عشر عاما ، ولكن فى اثناء تلك السنين وضع اساس عظمته . وقد وضع ذلك الاساس بيد واحدة قلَّ من يعرفون عنها شيئا

كانت يوكابد امرأة وجارية . وكان نصيبها فى الحياة وضيعا ، وكان عبؤها ثقيلا . ولكن فيما عدا مريم التي من الناصرة لم يحصل العالم على بركة اعظم مما حصل عليه عن طريق هذه المراة. فاذ علمت ان ابنها سرعان ما سيؤخذ

منها ويحرم من رعايتها ليوضع تحت حراسة من لا يعرفون الله فقد اجتهدت بأعظم غيرة ان تربط نفسه بالسماء. فعلمته ان يفرس فى نفسه وقلبه المحبة والولاء لله . وبكل امانة انجز العمل . فمبادىء الحق تلك التي كان شغل امه الشاغل ان تعلمه اياها والتي كانت درس حياتها لم يكن بعد ذلك لاي مؤثر ان يقنعه بنبذها

وقد نقل ابن يوكابد من البيت الوضيع فى جاسان الى قصر الفراعنة ، الى الاميرة المصرية لترحب به وتحبه وتعزه كابنها . وفى مدارس مصر تلقى موسى اسمى تربية مدنية وعسكرية . فاذ كانت له جاذبية شخصية عظيمة وكان نبيلا فى شكله وقوامه وله عقل مهذب وهيئة نبيلة وكان مشهورا كقائد حربي صار موضوع فخر الامة . وقد كان ملك مصر ايضا احد رجال الكهنوت ، ومع ان موسى رفض الاشتراك فى العبادة الوثنية فقد اطلع على كل اسرار ديانة المصريين . فاذ كانت مصر فى ذلك الحين لا تزال اقوى الامم واسماها مدنية ، فان موسى مليكها المرتقب كان وارثا لأسمى الامجاد التي يمكن للعالم ان يهبها . ولكنه اختار اختيارا اشرف وانبل. فلاجل مجد الله وكرامته ولاجل خلاص شعبه المدوسين بالاقدام ضحى موسى بأمجاد مصر. اذاً فيمكننا ان نقول بمعنى خاص ان الله تولى تربيته

ولم يكن موسى بعد متأهبا لعمل حياته . كان يلزمه مع ذلك ان يتعلم درس الاعتماد على قوة الله . لقد اخطأ فى

معرفة قصد الله . كان يرجو ان يخلص العبرانيين بقوة السلاح . فلأجل هذا جازف بكل شيء واخفق . ففي هزيمة وخيبة صار هاربا ومنفيا في ارض غريبة

وفي قفار مديان قضى موسى اربعين سنة راعيا للغنم . واذ كان يبدو انه قد انقطع الى الابد وحيل بينه وبين رسالة حياته كان يتلقى التدريب اللازم لإنجازها . فالحكمة اللازمة لسياسة جمع من الناس الجهلة غير المدربين يجب ان تكتسب عن طريق ضبط النفس . ففي رعايته للغنم وللحملان الصغار عليه ان يحصل على الاختبار الكفيل بان يجعله راعي العبرانيين الامين الطويل الاناة . ولكي يصير نائبا عن الله عليه ان يتعلم منه

ان المؤثرات التي احاطت به في مصر ومحبة الام التي اتخذته ابنا لها ، ومركزه كحفيد الملك ، والترف والرذيلة التي كانت تغوي في اشكال لا حصر لها ، والتهذيب والدهاء والعلوم الروحانية عن دين كاذب ، كل ذلك احدث تأثيرا وانطباعا على عقله وخلقه . ففي بساطة البرية العابسة اختفى هذا كله

ففي وسط الجلال المهيب بمعتكفات الجبال انفرد موسى مع الله . اذ في كل مكان كان اسم الخالق مكتوبا . فبدا وكأن موسى كان واقفا في حضرته ومظللا بقدرته . وهنا اكتسحت كفايته الذاتية . ففي محضر الاله السرمدي عرف ضعف الانسان وعدم كفاءته وقصر نظره

وهنا اكتسب موسى ما لازمه مدى سني حياته حياة

62,63

التعب والهموم ــ الاحساس بوجود الله معه بذاته. انه لم ينظر فقط عبر الاجيال فى انتظار ظهور المسيح فى الجسد ، فلقد رأى المسيح يرافق جمهور اسرائيل فى كل رحلاتهم . فعندما أسيء فهمه وأسيء تمثيله وعندما دُعي ليحمل العار والاهانة ويواجه الخطر والموت كان قادرا على الاحتمال « كأنه يرى من لا يُرى » (عبرانيين ١١ : ٢٧)

ان موسى لم يفكر فى الله مجرد تفكير فلقد رأى الله ، كان الله هو الرؤيا الدائمة الماثلة امامه . ولم يغب عنه وجهه ابدا

ولم يكن الايمان بالنسبة لموسى مجرد تخمين ، بل كان حقيقة . كان يؤمن ان الله مسيطر على حياته بكيفية خاصة ، وفى كل وقائعها وتفصيلاتها اعترف به . وقد وثق بان الله سيعطيه القوة ليصمد امام كل تجربة

وقد اشتاق الى ان ينجح العمل العظيم المعين له ليعمله الى اسمى درجات النجاح ، واعتمد اعتمادا كاملا على قدرة الله . احس بحاجته الى العون فطلبه وتمسك به بالايمان وفى يقين القوة العاضدة سار قدما

هكذا كان الاختبار الذي اكتسبه موسى وهو يدرب فى البرية اربعين سنة . فلكي يعطى له مثل ذلك الاختبار لم تحسب الحكمة الازلية تلك الحقبة اطول ولا ذلك الثمن اعظم مما يلزم

ان نتائج تلك التربية والدروس التي تلقاها هناك

مرتبطة ليس فقط بتاريخ العبرانيين بل بكل ما ساعد فى نجاح العالم من ذلك الحين الى يومنا هذا . ان اسمى شهادة على عظمة موسى ، والحكم الذي حكم به الوحي على حياته هو هذا : « لم يقم بعد نبي فى اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه » (تثنية ٣٤ : ١٠)

بولس - الفرح فى الخدمة

ان ايمان واختبار التلاميذ الجليليين الذين رافقوا يسوع فى عمله الكرازي اتحدا بنشاط احد معلمي اورشليم وقوته العقلية. فاذ كانت له الرعوية الرومانية ومولودا فى مدينة اممية ، ويهوديا ليس فقط لكونه من نسل اليهود بل لكونه تربى يهوديا مدى حياته وحبه لوطنه وتكريسه نفسه له وعقيدته الدينية ، وقد تربى فى اورشليم عند رجلي اشهر المعلمين وتعلم كل الشرائع وتقاليد الآباء ، لذلك اشترك شاول الطرسوسي هذا فى كبرياء وتعصب امته الى ابعد الحدود . واذ كان بعد شابا صار عضوا مكرما فى مجمع السنهدريم . وكان يُنظر اليه كمن تبشر مواهبه بمستقبل عظيم ، وحامي الايمان القديم الغيور

فى المدارس اللاهوتية باليهودية القيت كلمة الله جانبا واستعيض عنها بآراء الناس . وقد جُردت كلمة الله من قوتها بسبب تفاسير المعلمين وتقاليدهم . فتعظيم الذات وحب السيطرة والانطواء الحقود والتعصب والكبرياء الممقوتة كانت هي المبادىء السائدة والبواعث المتحكمة فى هؤلاء المعلمين

وكان المعلمون يفتخرون بتفوقهم لا على الناس الذين من الامم الاخرى بل على عامة الشعب من مواطنيهم . وبسبب كراهيتهم الشرسة لمستعبديهم الرومان عقدوا العزم على استخلاص سيادة امتهم بقوة السلاح . اما تلاميذ يسوع الذين كانت رسالة السلام التي كرزوا بها مناقضة لمؤامراتهم ومطامعهم فقد ابغضوهم وقتلوهم . وفي هذا الاضطهاد لعب شاول دورا هاما تمثلت فيه كل ضروب القسوة والوحشية

كان موسى قد تعلم في المدارس الحربية في مصر قانون العنف . وقد سيطر هذا التعليم على اخلاقه بقوة عظيمة حتى لقد احتاج الامر الى ان يقضي اربعين سنة في هدوء وشركة مع الله ومع الطبيعة ليؤهل لقيادة اسرائيل بناموس المحبة . هذا الدرس نفسه وجب على شاول ان يتعلمه

وعند باب دمشق غيرت رؤيا المصلوب كل اتجاه حياة شاول . فلقد اصبح المضطهد تلميذا ، والمعلم صار متعلما . وايام الظلام التي قضاها منفردا في دمشق كانت في اختباره بمثابة سنوات. فأسفار العهد القديم المختزنة في عقله كانت موضوع تأمله ودرسه وصار المسيح معلما له . وبالنسبة اليه ايضا صارت عزلة الطبيعة مدرسة . فانطلق الى الصحراء العربية ليدرس الكتب ويتعلم من الله . وقد افرغ نفسه من التعصبات والتقاليد التي شكّلت حياته وتلقّى التعليم من نبع الحق

وقد كانت حياته بعد ذلك ملهمة بالمبدإ الواحد

مبدإ التضحية وخدمة المحبة. قال : «اني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء » ، « لان محبة المسيح تحصرنا » (رومية ١ : ١٤ ؛ ٢كورنثوس ٥ : ١٤)

ان بولس ، اعظم معلم بشري ، قبل احقر الواجبات واسماها . ولقد اعترف بلزوم العمل فى الشغل اليدوي كما فى العمل الفكري ، واشتغل فى حرفة ليعول نفسه. وكان يزاول حرفته فى صنع الخيام بينما كان فى كل يوم يكرز بالانجيل فى مراكز المدينة العظيمة . واذ كان يلقي خطابه الوداعي فى مسامع شيوخ افسس قال : « حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان » (اعمال ٢٠ : ٣٤)

وفى حين ان بولس كان حائزا مواهب عقلية سامية فأن حياته كشفت عن قوة حكمة نادرة . فالمبادىء العميقة جدا فى معناها ودلالتها ، المبادىء التي قصر عن فهمها جبابرة العقول فى هذا العصر بسطها فى تعاليمه ومثّل لها فى حياته . كانت له تلك الحكمة العظمى التي تمنح البصيرة سرعة والقلب عطفا ، والتي تجعل الانسان على اتصال بالناس وتساعده على ايقاظ طبيعتهم الفضلى وتلهمهم بحياة اسمى

اصغوا الى ما قاله امام اهل لستره الوثنيين عندما يشير الى الله فى الطبيعة، مصدر كل خير قائلا انه « يعطينا من السماء امطارا وازمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسرورا » (اعمال ١٤ : ١٧)

انظروه فى السجن فى فيلبي حيث برغم كون جسمه معذبا من اثر الآلام فأن اغنيــة الحمد التي نطــق بهـا قطعت حبل الصمت فى نصف الليل. فبعدما فتحت الزلزلة ابواب السجن سُمع صوته وهو ينطق بكلام الفرح الذي وجّهه الى السجان الوثني قائلا له : « لا تفعل بنفسك شيئا رديا لان جميعنا ههنا » (اعمال ١٦ : ٢٨) — كل رجل فى مكانه ، اذ ردعه وجود سجين آخر . فاذ يقتنع السجان بحقيقة ذلك الايمان الذي يسند بولس يسأل عن طريق الخلاص فينضم هو واهل بيته الى تلك الجماعة المضطهدة — تلاميذ المسيح

ثم انظروا بولس فى اثينا وهو امام المجمع فى اريوس باغوس عندما يواجــه العلم بالعلــم ، والمنطق بالمنطــق والفلسفة بالفلسفة. ولاحظوا كيف انه بتلك اللباقة التي هي وليدة المحبة الالهية يشير الى الرب كأنــه « الاله المجهول » الذي كــان سامعوه يعبدونه وهــم يجهلونه ، وبكلمات اقتبسهــا مــن كلام احــد شعرائهم يصوره لهم على انه الآب وهم اولاده . اسمعوه فى ذلك العصر عصر التفاوت بــين الطبقات عندما كانت حقــوق الانسان ، كانسان ، غــير معترف بها كليــة عندما يعرض امامهــم الحقيقة العظيمة حقيقة اخوّة البشرية معلنا ان الله « صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجــه الارض » . ثم ابان كيف انه فى كل معاملات الله مع الانسان يتغلغل قصد نعمته ورحمته كخيط ذهبي . وانه « حتم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم لكي يطلبوا الله لعلهم

66,67

يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد منا ليس بعيدا »
(اعمال ١٧ : ٢٣ و ٢٦ و ٢٧)

ثم اسمعوه في بلاط فستوس ، عندما صاح الملك اغريباس وقد اقتنع بحق الانجيل قائلا : بقليل تقنعني ان اصير مسيحيا » . وبأي لطف ورقة يجيب بولس مشيرا الى سلسلته قائلا : كنت اصلي الى الله انه بقليل وبكثير ليس انت فقط بل ايضا جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا كما انا ما خلا هذه القيود » (اعمال ٢٦ : ٢٨ و ٢٩)

وهكذا انقضت حياته كما قد وصفها هو نفسه بكلام اذ قال : « باسفار مرارا كثيرة. بأخطار سيول. بأخطار لصوص. بأخطار من جنسي. بأخطار من الامم. بأخطار في المدينة. بأخطار في البحر. بأخطار من اخوة كذبة. في تعب وكد. في اسهار مرارا كثيرة. في جوع وعطش. في اصوام مرارا كثيرة. في برد وعري » (٢ كورنثوس ١١ : ٢٦ و ٢٧)

« نشتم فنبارك . نضطهد فنحتمل . يفترى علينا نعظ » « كحزانى ونحن دائما فرحون . كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء »
(١كورنثوس ٤ : ١٢و١٣ ؛ ٢كورنثوس ٦ : ١٠)

وقد وجد فرحه في الخدمة ، وفي نهاية حياة الكدح التي عاشها ، فاذ نظر الى الخلف الى مصارعاتها وانتصاراتها امكنه ان يقول : « قد جاهدت الجهاد الحسن » (٢تيموثاوس ٤ : ٧)

هذه التواريخ لها اهمية حيوية . وهي ليست عميقة الاهمية لاحد قدر اهميتها للشباب. لقد رفض موسى مملكة منتظرة ، وبولس رفض امتيازات منافع الثروة والكرامة بين شعبه ، واستعاض عنها بحياة حمل الاثقال فى خدمة الله . ان حياة هذين الرجلين تبدو لكثيرين على انها حياة الترك والتضحية. فهل كان الامر كذلك حقا ؟ ان موسى حسب عار المسيح غنى اعظم من خزائن مصر . وقد حسبها كذلك لانها كانت كذلك فى الواقع . وقد اعلن بولس قائلا : « لكن ما كان لي ربحا فهذا قد حسبته من اجل المسيح خسارة بل اني احسب كل شيء ايضا خسارة من اجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من اجله خسرت كل الاشياء وانا احسبها نفاية لكي اربح المسيح» (فيلبي ٣ : ٧ و ٨) . كان قانعا باختياره

ان موسى قدم له قصر فرعون وعرش الملك ، ولكن تمتعات الخطية التي تجعل الناس ينسون الله وجدت فى تلك القصور الملكية فأختار بدلا منها « الغنى والكرامة . قنية فاخرة وحظ » (امثال ٨ : ١٨) . وبدلا من ان يربط نفسه بعظمة مصر اختار ان يربط نفسه بقصد الله . وبدلا من ان يسن الشرائع لمصر فانه بتوجيه الله سن شرائع للعالم . وقد صار آلة فى يد الله ليقدم للناس تلك المبادىء التي هي الحارس الواقي للبيت والمجتمع على السواء ، والتي هي حجر الزاوية لنجاح الامم ــ المبادىء التي يعتبرها اعاظم الرجال فى العالم اليوم اساسا لكل

الاشياء الفضلى فى حكومات العالم ، فمبادىء البر العظيمة التي عاش ليثبتها مبادىء ابدية

ان حياة الكدح التي تثقل القلب بالهموم التي عاشها موسى استنارت بحضور ذاك الذي هو « معلم بين ربوة » والذي « كله مشتهيات » (نشيد ٥ : ١٠ و ١٦) . فاذ كان تائها مع المسيح فى البرية ، ومع المسيح على جبل التجلي ، ومع المسيح فى المواطن السماوية ، فحياته على الارض باركت وبوركت وفى السماء تمجدت

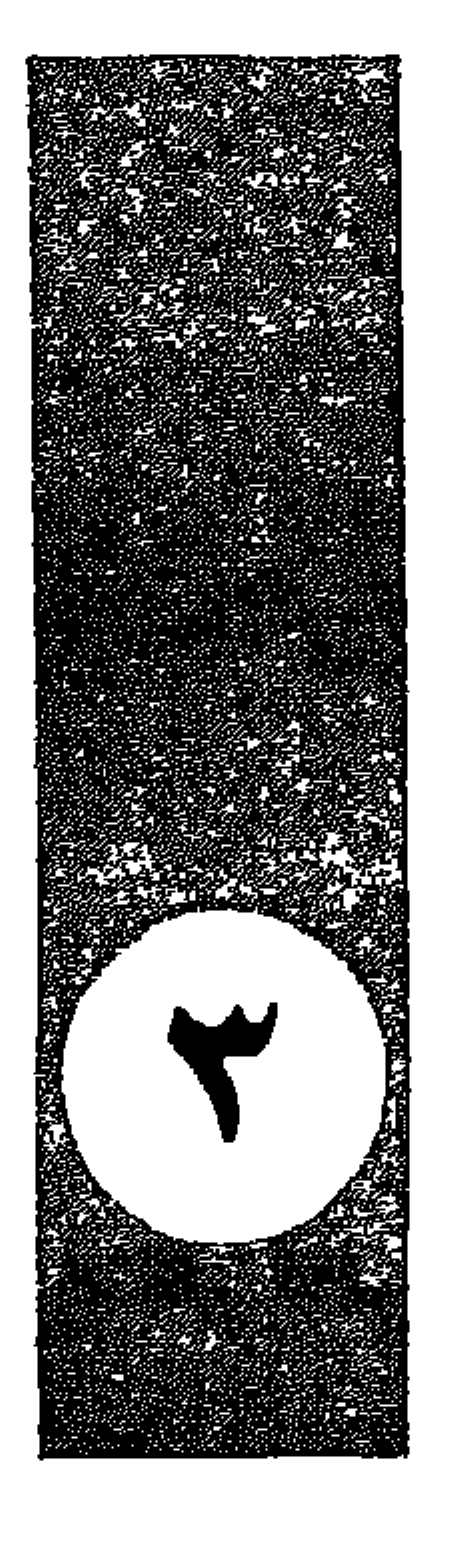
وبولس ايضا فى خدماته العديدة سندته قوة حضور الله . فلقد قال : « استطيع كل شيء فى المسيح الذي يقويني » « من سيفصلنا عن محبة المسيح . اشدة ام ضيق ام اضطهاد ام جوع ام عري ام خطر ام سيف . . . ولكننا فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي احبنا . فأني متيقن انه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا امور حاضرة ولا مستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة اخرى تقدر ان تفصلنا عن محبة الله التي فى المسيح يسوع ربنا » (فيلبي ٤ : ١٣ ؛ رومية ٨ : ٣٥ ــ ٣٩)

ومع ذلك فيوجد سرور فى المستقبل كان بولس يتطلع الى الامام اليه على انه تعويض عن خدماته ــ وهو نفس السرور الذي من اجله احتمل المسيح الصليب مستهينا بالخزي ــ سرور رؤية ثمرة خدمته . فقد كتب الى المهتدين من اهل تسالونيكي يقول : « لان من هو رجاؤنا وفرحنا واكليل افتخارنا . ام لستم انتم ايضا امام ربنا يسوع

المسيح فى مجيئه. لانكم انتم مجدنا وفرحنا» (١ تسالونيكي ٢ : ١٩ و ٢٠)

من ذا يستطيع ان يقيس نتائج خدمة حياة بولس لاجل العالم ؟ ومن كل تلك المؤثرات الصالحة التي تخفف الآلام وتعزي المحزونين وتردع الشر ، وتسمو بالحياة عما هو اناني وشهواني وتمجدها برجاء الخلود ، كم منها يُعزى الى خدمات بولس وشركائه فى الخدمة ، عندما ساروا يحملون انجيل ابن الله فساروا من آسيا الى شواطىء اوروبا دون ان يلطخهم احد ؟

كم يساوي بالنسبة لاي انسان ان يكون آلة فى يد الله لتحريك مؤثرات البركة تلك ؟ وكم يساوي فى الابدية ان يشاهد الانسان نتائج عمل مثل تلك الحياة ؟



القسم

مُعَلِّم المعلمين

« لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان »



المعلم المرسل من الله

« ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الهـا قديرا ابا ابديا رئيس السلام » (اشعياء ٩ : ٦)

لقد قدمت السماء فى المعلم المرسل من الله افضل واعظم ما لديها . فذاك الذي وقف فى مجالس العلي والذي سكن فى قدس اقداس مقدس الله السرمدي كان هو المختار ليعلن للبشرية معرفة الله بنفسه

فعن طريق المسيح وصلت كل شعاعة من اشعة النور الالهي الى عالمنا الساقط . فهو الذي تكلم فى كل من قد اعلنوا كلمة الله للانسان مدى كل العصور . وكل الكمالات التي تجلت فى حياة اعظم واشرف الناس الذين عاشوا على الارض ان هي الا انعكاسات من كمالاته . فطهارة يوسف وحبه للخير ، وايمان موسى ووداعته وطول اناته ، وثبات اليشع ، واستقامة دانيال النبيلة وحزمه ، وغيرة بولس وتضحيته ، والقوة العقلية والروحية المتجلية فى كل هؤلاء

الرجال ، وفى كل من عاشوا على الارض ، لم تكن اكثر من شعاعات بسيطة من بهاء مجده . لقد كان هو المثل الاعلى الكامـل

فلكي يعلن هذا المثال كالمقياس الوحيد للبلوغ ، ولكي يرى ما يمكن ان يصير اليه كل انسان ، وما يمكن ان يصير اليه كل من قبلوه بواسطة حلول الله فى الانسان — لأجل هذا اتى المسيح الى العالم . لقد اتى لكي يرينا كيف يتربى الناس كما يليق بابناء الله ، وكيف انهم وهم على الارض يمارسون مبادىء السماء ويعيشون حيـاة ابناء السماء

لقد اعطيت اعظم هبات السماء لمواجهة اعظم حاجة للانسان . وقد ظهر النور عندما كانت ظلمة العالم على اشدها . فبسبب التعليم الكاذب ظلت عقول الناس مرتدة عن الله امدا طويلا . وفى النظام السائد فى التربية احتلت الفلسفة البشرية مكان الاعلان الالهي . وبدلا من مقياس الحق المعطى من السماء قبل الناس مقياسا من اختراعهم . لقد ارتدوا عن نور الحياة ليسيروا فى شرار النار التي قد اوقدوها

فاذ انفصلوا عن الله جاعلين قوة البشرية معتمدهم لم تكن قوتهم بالحقيقـة الا ضعفا . وحتى المقياس الذي وضعوه بانفسهم عجزوا عـن الوصول اليـه . وانعدام التفوق الحقيقي سُدّ فراغه بالمظهر والادعاء . فالمظهر حلّ فى مكان الحقيقـة

وبين حين وآخر قام معلمون وجهوا عقول الناس الى مصدر الحق. وقد نطق بمبادىء صالحة ، وقد شهدت حياة الناس لقوتها، ولكن هذه الجهود لم يكن لها تأثير دائم . لقد صد تيار الشر وقتا قصيرا ولكن سيره فى طريق الانحدار لم يوقف . كان المصلحون كأنوار اضاءت فى الظلمة ولكنهم لم يستطيعوا طردها . لقد « احب الناس الظلمة اكثر من النور » (يوحنا ٣ : ١٩)

عندما جاء المسيح الى الارض كان يبدو ان البشرية تسرع فى الانحدار الى الحضيض . فحتى اسس المجتمع قوضت . والحياة صارت زائفة وكاذبة . واليهود اذ كانوا مجردين من قوة كلمة الله قدموا للعالم التقاليد والآراء المخدرة للعقول والمميتة للنفوس. وعبادة الله « بالروح والحق » ازيحت واحتل مكانها تمجيد الناس فى روتين لا ينتهي من الطقوس التي من صنع الناس . وفى جميع انحاء العالم اضاعت نظم الدين سيطرتها على العقل والنفس . فاذ اشمأز الناس من الخرافات والاكاذيب وحاولوا اغراق عقولهم اتجهوا الى الالحاد والمذهب المادي. واذ استبعدوا الابدية من حسابهم عاشوا للزمن الحاضر

واذ كفوا عن الاعتراف بما هو الهي كفوا عن اعتبار ما هو بشري . فالحق والكرامة والاستقامة والثقة والرأفة بدات ترحل عن الارض. والطمع الذي لا يعرف الرحمة والطموح المتقلقل تولد عنهما عدم الثقة بين الجميع. وفكرة

74,75

الواجب والتزام القوة قبل الضعف ، والعظمة الانسانية والحقوق الانسانية القي بها جانبا كحلم او خرافة. وعامة الشعب اعتبروا كالدواب حاملات الاثقال او كآلات واحجار للوصول الى الطموح. وقد طلب الناس الغنى والقوة والراحة والانغماس فى الملذات كالخير الاعظم ، واشتهر العصر بالانحطاط الجسدي والخبل العقلي والموت الروحي

واذ ابعدت الاهواء الشريرة والنوايا الآثمة الله عن افكار الناس ، فنسيانهم له امالهم بأكثر قوة نحو الشر . ان القلب المحب للخطية قد البس الله نفس صفاته (صفات القلب) الخاطئة وهذا التصور زاد من قوة الخطية . واذ مال الناس لارضاء انفسهم جعلوا يعتبرون الله كواحد منهم — كائنا هدفه مجد الذات ، مطاليبه توافق مسراته ، كائنا يرفع الناس او يضعهم حسبما يساعدون او يعطلون اغراضه النفسية . ان الطبقات الادنى اعتبرت الكائن الاسمى وكأنه لا يكاد يختلف عن مضطهديهم الا بتفوقه عليهم فى القوة. وقد شكل كل طقس من طقوس الديانة بهذه الآراء . فكل منها كان نظاما للابتزاز . فبواسطة العطايا والطقوس حاول العابدون استرضاء الله حتى يظفروا برضاه لتحقيق اغراضهم . مثل هذا الدين اذ لم يكن له سلطان على القلب او الضمير لم يكن الا سلسلة من الطقوس التي ضجر الناس منها ، والتي لولا الربح الذي يمكن ان يقدمه لكانوا يتوقون للتحرر منه. وهكذا اذ لم يكبح الشر فقد تقوى وتشدد ، فى حين ان تقدير الخير

واشتهاءه قد تناقص وتقلص . ان الناس قد اضاعوا صورة الله وقبلوا بدلا منها صورة القوة الشيطانية التي سيطرت عليهم . لقد امسى العالم كله بؤرة فساد

ولم يبق للبشرية غير رجاء واحد — وهو ان توضع خميرة جديدة فى وسط هذه الكتلة من العناصر المتنافرة والمفسدة ، وان يؤتى الى الجنس البشري بقوة حياة جديدة ، وان تعود الى العالم معرفة الله

وقد جاء المسيح ليعيد هذه المعرفة . جاء ليلقي جانبا التعليم الكاذب الذي بواسطته شوّه صورة الله اولئك الذين ادعوا أنهم يعرفونه . جاء ليظهر طبيعة شريعته وليعلن فى صفاته جمال القداسة

اتى المسيح الى العالم بالمحبة المتجمعة منذ الازل. فاذ اكتسح التعديات التي عطلت شريعة الله ابان ان الناموس انما هو المحبة وهو تعبير عن صلاح الله . وقد أبان ان فى الطاعة لمبادئه تنحصر سعادة الجنس البشري ومعه ثبات ونفس اساس وهيكل المجتمع الانساني

ان شريعة الله التي حاشا لها ان تفرض مطاليب تعسفية هي معطاة للناس كسياج وترس . فكل من يقبل مبادئها يحفظ من الشر . ان الولاء لله يتضمن الولاء للانسان . وهكذا تحفظ الشريعة حق كل انسان وشخصيته . وهي تردع السيد عن الظلم ، والعبد او الخادم عن العصيان ، وهي تؤمّن سعادة الانسان فى هذا العالم والعالم الآتي . وهي تضمن للمطيع الحياة الابدية لانها توضح المبادىء الباقية الى الابد

لقد جاء المسيح ليبرهن على قيمة المبادىء الالهية باعلان قوتها فى تجديد البشرية ، جاء ليعلمنا كيف تنمو هذه المبادىء وتطبق

بالنسبة لاهل ذلك العصر كانت قيمة كل الاشياء يحددها ويحكم فيها المظهر الخارجي. واذ انحط الدين وتضعضع فقد زاد فى ابهته . ومعلمو ذلك العصر حاولوا ان يفرضوا الاحترام بالتظاهر والمباهاة . ولكن حياة يسوع كانت على نقيض هذا كله بشكل ملحوظ . وقد اثبتت حياته تفاهة كل تلك الامور التي كان الناس يعتبرونها الامور الجوهرية العظيمة فى الحياة. فاذ ولد فى بيئة سمجة جدا وعاش فى بيت قروي وقاسم القرويين حياتهم واحترف حرفة احد الصناع وعاش كانسان مغمور خامل الذكر وربط حياته بحياة الناس الكادحين المجهولين ـ ففي وسط هذه الظروف وهذه البيئة ـ تابع يسوع الترتيب الالهي فى التربية. انه لم يذهب الى المدارس التي كانت فى عصره تعظم الاشياء الحقيرة وتحقر الاشياء العظيمة. فقد تلقى تربيته مباشرة من المصادر التي عينتها السماء ، من العمل النافع ومن درس الاسفار المقدسة ومن الطبيعة ومن اختبارات الحياة ـ الكتب المدرسية المعينة من الله الملأى بالتعاليم لكل من يأتون اليها بيد راغبة وعين باصرة وقلب فاهم

« وكان الصبي ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة وكانت نعمة الله عليه » (لوقا ٢ : ٤٠)

فإذ اعِد هكذا خرج الى رسالته وعمله ، وفى كل لحظة احتك فيها بهم كان يبذل جهدا وتأثيرا وقوة ليبارك ، قوة للتغيير ، قوة لم يسبق للعالم قط ان شاهدها او كان له عهد بها

ان من يحاول ان يغير البشرية عليه هو ان يفهم البشرية. انما عن طريق العطف والايمان والمحبة يمكن الوصول الى الناس ورفع شانهم . هنا يقف المسيح متجليا كمعلم المعلمين ، فمن بين كل من عاشوا على الارض كان هو وحده الذي فهم وعرف النفس البشرية فهما كاملا

« لأن ليس لنا رئيس كهنة » ـ معلم المعلمين ، لان الكهنة كانوا معلمين « ليس لنا رئيس كهنة غير قادر ان يرثي لضعفاتنا ، بل مجرب فى كل شيء مثلنا بلا خطية » (عبرانيين ٤ : ١٥)
« لانه فى ما هو قد تألم مجربا يقدر ان يعين المجربين » (عبرانيين ٢ : ١٨)

ان المسيح هو وحده الذي اختبر كل الاحزان والتجارب التي احدقت ببني الانسان . لم يسبق لاي انسان آخر مولود من امراة ان احدقت به التجربة بمثل تلك الشدة ، ولم يسبق لشخص آخر ان حمل مثل ذلك العبء الثقيل عبء خطية العالم وآلامه . ولم يكن شخص آخر غيره له عواطف رقيقة اتسعت لجميع الناس . فكشريك فى كل اختبارات البشرية امكنه لا ان يرثي فقط لكل نفس مثقلة ومجربة ومكافحة بل ايضا ان يشاركها فى شعورها

وقد عاش بموجب ما علّم به . فقد قال لتلاميذه : « اعطيتكم مثالا حتى كما صنعت انا بكم تصنعون انتم ايضا » « حفظت وصايا ابي » (يوحنا ١٣ : ١٥ ؛ ١٥ : ١٠) . وهكذا ففي حياة المسيح وجد كلامه شرحا مستفيضا ودعامة قوية . زد على ذلك انه عاش بموجب ما علّم به ؛ فأن كلامه كان تعبيرا لا عن اختبار حياته وحسب بل ايضا عن اخلاقه وصفاته. انه لم يعلّم الحق فقط بل كان هو الحق . هذا ما اضفى على تعليمه قوة

كان المسيح موبخا امينا . فلم يعش قبله شخص آخر ، لا قبله ولا بعده ابغض الشر مثله ، ولم يعش شخص آخر نبذ الشر بلا خوف مثلما فعل هو . كان حضوره توبيخا صارما لكل ما هو كاذب وسافل . وفى نور طهارته راى الناس نجاستهم ، ورأوا اهداف حياتهم منحطة وكاذبة . ومع ذلك فقد اجتذبهم . فذاك الذي قد خلق الانسان عرف قيمة البشرية. وقد فضح الشر على انه عدو للذين كان يسعى ليباركهم ويخلصهم . وفى كل كائن بشري مهما كان مبلغ سقوطه راى ابنا لله ، وانسانا يمكن ان يعود الى امتياز الشركة مع الهه والاتصال بـه

« لم يرسل الله ابنه الى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » (يوحنا ٣ : ١٧) . ان المسيح اذ نظر الى الناس فى آلامهم وانحطاطهم راى اساسا للرجاء حيث لم يكن يُرى غير اليأس والهلاك . فاينما وجد احساس بالحاجة راى هو فرصة للرفع والانهاض. والنفوس المجربة

المنهزمة التي احست بأنها هالكة وموشكة على الهلاك قابلها هو ولكنه لم يجابهها بالتشهير بل بالبركة

وقد كانت التطوبيات هي تحيته للأسرة البشرية كلها . فاذ تطلع الى الجمع الغفير المجتمع ليستمع الى موعظته التي القاها من فوق الجبل كان يبدو فى تلك اللحظة انه نسي انه لم يكن فى السماء فاستخدم التحية المألوفة فى عالم النور. ومن بين شفتيه تدفقت البركات كاندفاق الماء من نبع مختوم امدا طويلا

فاذ حوّل وجهه بعيدا عن محبي العالم الطماعين المكتفين بذواتهم اعلن ان أولئك الذين مع انهم فى عوز عظيم يقبلون نوره وحبه هم مطوبون . وقد بسط ذراعيه الى المساكين بالروح والحزانى والمضطهدين قائلا : « تعالوا الي... وانا اريحكم » (متى ١١ : ٢٨)

وقد رأى فى كل انسان امكانيات لا حد لها . رأى الناس كما يمكن ان يكونوا متغيرين بنعمته ـ « نعمة الرب الهنا » (مزمور ٩٠ : ١٧) . فاذ نظر اليهم برجاء فقد الهم الثقة . واذ اعلن فى ذاته المثل الاعلى الحقيقي للانسان ايقظ فى الناس الشوق والايمان لبلوغه. وفى محضره عرفت النفوس المحتقرة والساقطة انها لا تزال بشرا وتاقت لان تبرهن على استحقاقها لاحترامه وتقديره. وفى كثير من القلوب التي بدا انها ميتة عديمة الشعور بكل ما هو مقدس استيقظت نوازع جديدة . وكثيرون من اليائسين انفتحت امامهم امكانية الحياة الجديدة

ربط المسيح الناس الى قلبه بربط المحبة والتكريس ، وبنفس تلك الربط ربطهم ببني جنسهم . كانت المحبة بالنسبة اليه هي الحياة ، الحياة هي الخدمة . وقد قال : « مجانا اخذتم مجانا اعطوا » (متى ١٠ : ٨)

ان المسيح لم يضحّ بنفسه لاجل البشرية على الصليب فقط ، فاذ : « جال يصنع خيرا » (اعمال ١٠ : ٣٨) فاختبار كل يوم كان تكريسا لحياته . مثل هذه الحياة يمكن ان ُتسند بطريقة واحدة . لقد عاش يسوع معتمدا على الله وفى شركة معه . ان الناس يحتمون تحت ستر العلي وفى ظل القدير بين حين وآخر ، وهم يبيتون هناك الى حين والنتيجة تظهر فى الاعمال النبيلة ، ثم يخيب ايمانهم والشركة تنقطع وعمل الحياة يتلف . اما حياة يسوع فكانت حياة ثقة دائمة وكانت تسندها الشركة المستمرة ، ولذلك كانت خدمته للسماء بعيدة عن كل فشل او تردد

وكانسان كان يتضرع امام عرش الله حتى لقد ُشحنت بشريته بتيار سماوي ربط البشرية بالالوهية . فاذ اخذ الحياة من الله منحها للناس

« لم يتكلم قط انسان هكذا مثل هذا الانسان » (يوحنا ٧ : ٤٦) . كان يمكن ان يصدق هذا على المسيح لو انه علم فقط فى نطاق الامور الجسدانية والعقلية او عن الامور النظرية والفكرية فحسب . كان يمكنه ان يكشف عن الاسرار التي كان يحتاج الكشف عنها الى اجيال من التعب والدرس للأطلاع عليها . وكان يمكنه ان يبدي مقترحات فى النواحي العلمية يمكن ان تظل الى انقضاء الدهر مورد

غذاء للفكر وحافزا للاختراع . ولكنه لم يفعل هذا . فهو لم يقل شيئا يشبع به الفضول او يحفز ويثير الطموح الاناني. ولم يعالج النظريات المعنوية ولكنه عالج الامور الجوهرية لاجل نمو الخلق ونضوجه ، وما يوسع من افق قدرة الانسان على معرفة الله وزيادة مقدرته على عمل الخير . فقد تحدث عن تلك الحقائق المتعلقة بتصرفات الانسان فى الحياة والتي توصل الانسان بالابدية

وبدلا من ان يوجه الشعب لدراسة نظريات الناس عن الله وكلمته واعماله علمهم ان يروه كما هو ظاهر فى اعماله وكلمته وبواسطة اعمال عنايته . وقد جعل عقولهم تلامس فكر الله السرمدي

ان الناس « بُهتوا من تعليمه لان كلامه كان بسلطان » (لوقا ٤ : ٣٢) . لم يسبق لانسان من قبل ان تكلم هكذا بسلطان حتى يوقظ الفكر ويضرم الشوق ويوقظ كل مقدرة فى الجسم والعقل والنفس

ان تعليم المسيح كعواطفه احتضن العالم . لا يمكن ان يكون هنالك ظرف من ظروف الحياة او ازمة فى الاختبار البشري لم يتوقعها ولم يقدرها فى تعليمه ولم يكن لها درس فى مبادئه . ان معلم المعلمين سيكون كلامه مرشدا لزملائه فى الخدمة الى انقضاء الدهر

وبالنسبة اليه كان الحاضر والمستقبل والقريب والبعيد شيئا واحدا . لقد كانت امامه حاجات بني الانسان . وامام عين ذهنه امتد كل مشهد من مشاهد المسعى البشري وكل عمل عظيم ، ومشاهد التجربة

والصراع والارتباك والخطر . وكل القلوب والبيوت والمسرات والافراح والمطامح كانت معروفة لديه

وهو لم يتكلم فقط لاجل كل الجنس البشري بل ايضا خاطبهم . فقد خاطب الطفل الصغير فى بهجة صباح الحياة ، وقلب الشاب المشتاق غير المستريح ، والرجال فى عز قوتهم وهم يتحملون اعباء المسؤوليات والهموم ، والمتقدمين فى الايام فى ضعفهم واعيائهم ـ فقد قدمت رسالته الى الجميع ـ لكل ابن من بني الانسان فى كل ارض وفى كل عصر .

وقد استوعب تعليمه امور الزمان الحاضر وامور الابدية ـ الامور التي ترى فى علاقتها بما لا يرى ، الاحداث العابرة فى الحياة العادية والنتائج الخطيرة فى الحياة العتيدة

وقد وضع امور هذه الحياة فى علاقتها الصحيحة على انها امور ثانوية بالنسبة الى المصالح الابدية ، الا انه لم يتجاهل اهميتها . وقد علم ان السماء والارض مرتبطتان معا ه وان معرفة الحق الالهي تعد الانسان اعدادا افضل لاتمام واجبات الحياة اليومية

ولم يكن يعتبر اي شيء بدون قصد . فملاهي الطفل واشغال الرجل ، مسرات الحياة وهمومها وآلامها ، كانت كلها وسائل الغاية الواحدة ـ اعلان الله لاجل رفع شأن البشرية

وكانت كلمة الله تخرج من شفتيه لتصل الى القلوب بقوة جديدة ومعنى جديد ، وقد جعل تعليمه امور الخليقة تبدو فى نور جديد . وظهر على وجه الطبيعة من جديد

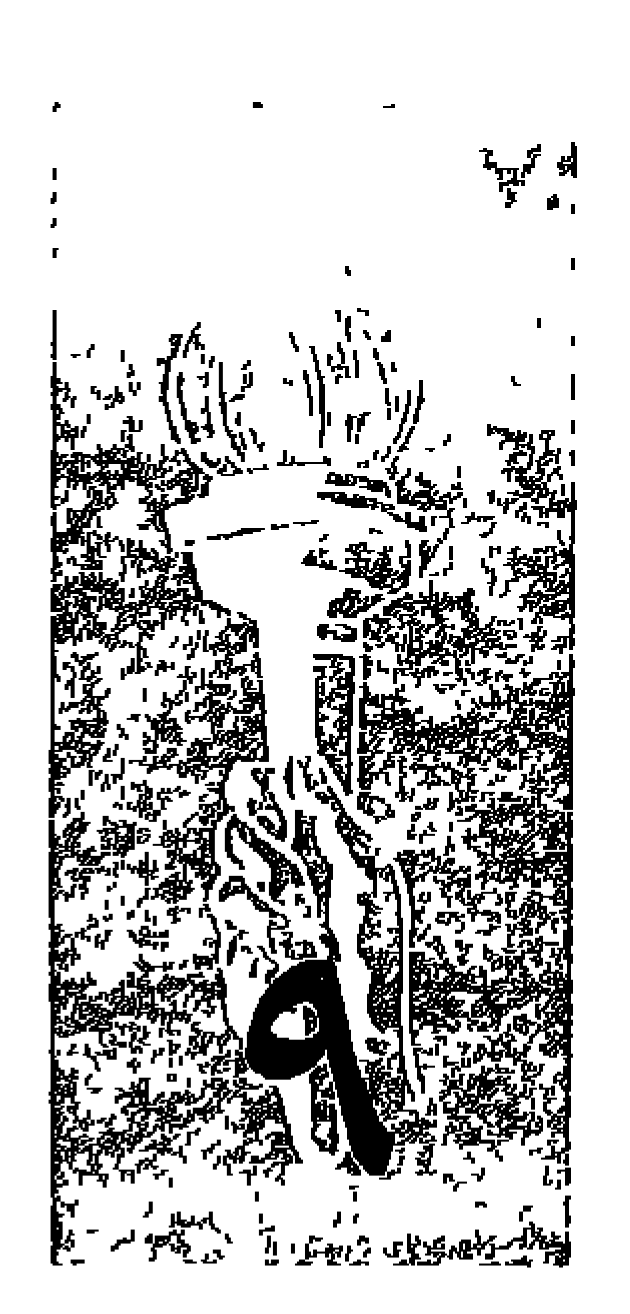
لمحات من ذلك البهاء الذي قد طردته الخطية. وفى كل حقائق الحياة واختباراتها اعلن درس الهي وامكانية الشركة مع الله. ومرة اخرى سكن الله على الارض، وقد احست قلوب بني الانسان بحضوره، واحاطت محبته بالعالم. لقد نزلت السماء الى الناس. وفى المسيح اعترفت قلوبهم بذاك الذي قد كشف لهم عن علم الابدية: «عمانوئيل... الله معنا»

وفى المعلم المرسل من الله يتركز كل عمل تربوي حقيقي. ان المخلص يتحدث عن هذا العمل اليوم بكل يقين كما قد تحدث عن العمل الذي اتمه منذ اكثر من ثمانية عشر قرنا (*). ويقول: «انا هو الاول والآخر والحي». «انا هو الالف والياء البداية والنهاية» (رؤيا ١ : ١٧؛ ٢١ : ٦)

ففي حضرة مثل هذا المعلم، ومثل هذه الفرصة للتربية الالهية فأي غباء اردأ من ان يحاول الانسان الحصول على تربية بعيدا عنه، وان يحاول ان يكون حكيما بعيدا عن الحكمة. وان تكون صادقا فى حين انك ترفض الصدق، وان تطلب الاستنارة بعيدا عن النور، والوجود بدون الحياة، وان تنصرف عن نبع المياه الحية وتنقر لنفسك آبارا مشققة لا تضبط ماء

ها هو لا يزال يدعو: «ان عطش احد فليقبل الي ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه انهار ماء حي» «الماء الذي اعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة ابدية» (يوحنا ٧ : ٣٧ و ٣٨؛ ٤ : ١٤)

* هذه الحقيقة نشرت اولا فى عام ١٩٠٣



٩ مثال من اساليبه

ان اكمل مثال لاساليب المسيح كمعلم يوجد في تدريبه التلاميذه الاثني عشر الاولين . فعلى كواهل هؤلاء الرجال كانت ستوضع مسؤوليات جسام. انه قد اختارهم كرجال يمكنه ان يُشربهم بروحه ويمكنهم السير قدما بعمله على الارض عندما يتركها . وقد اعطاهم فوق كل الباقين امتياز مرافقته . فعن طريق المعاشرة الشخصية طبع شخصه على هؤلاء الزملاء المختارين . يقول يوحنا الحبيب : « الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الابدية » (يوحنا الاولى ١ : ٢)

انما عن طريق هذه المخالطة وحدها ــ اتصال العقل بالعقل والقلب بالقلب ، والبشري بالالهي ــ يمكن ايصال تلك القوة المحيية التي تمنحها التربية الصحيحة. فالحياة هي وحدها التي تلد حياة

ان المخلص وهو يتولى امر تربية تلاميذه اتبع نظام

التربية الذي وضع في البدء • فالتلاميذ الاثنا عشر الاولون المختارون مع قلة ممن عن طريق خدمة حاجاتهم كانوا بين آونة واخرى يتصلون بهم ، كوّنوا عائلة يسوع. كانوا معه في البيت وحول المائدة وفي المخدع والحقل. وقد رافقوه في سفراته وقاسموه تجاربه وضيقاته ، واندمجوا في عمله بقدر ما استطاعوا

احيانا كان يعلمهم وهم جالسون معا عند سفح الجبل، واحيانا وهم بجانب البحر او من قارب الصيد ، واحيانا وهم سائرون في الطريق. وكلما كلّم الجموع كان التلاميذ يكونون اقرب الناس اليه . كانوا يلتفون حوله حتى لا يفوتهم شيء من تعليمه . كانوا يصغون اليه بانتباه مشتاقين لفهم الحقائق التي كان عليهم ان يعلموا بها في كل البلدان ولكل الاجيال

ان تلاميذ يسوع الاولين اختيروا من طبقات الشعب العامة . كانوا رجالا وضعاء واميين. هؤلاء الصيادون الجليليون كانوا رجالا غير متعلمين كتعليم المعلمين وعاداتهم، ولكنهم تربوا التربية العنيفة تربية الكدح والمشقة. كانوا رجالا ذوي مقدرة اهلية وقابلين للتعلم في روحهم ، رجالا يمكن تعليمهم وصوغهم لخدمة المخلص • في مسالك الحياة العادية كثيرا ما يوجد رجال كادحون يسيرون في مباشرة واجباتهم اليومية وهم لا يحسون بالقوى المستترة الخفية التي اذ تتحرك للعمل تضع الانسان في صف قادة العالم العظام . هكذا كان الرجال الذين دعاهم المخلص ليكونوا زملاءه في العمل . وقد كان

لهم امتياز التدرب لمدى ثلاث سنين تحت يدي اعظم مرب عرفه العالم

وفى هؤلاء التلاميذ الاولين عرضت تشكيلة مختلفة . كانوا مزمعين ان يكونوا معلمي العالم وكانوا يمثلون انواعا مختلفة من الاخلاق . فكان يوجد لاوي متى العشار الذي دعي ليترك حياة النشاط والعمل والتبعية لروما ، وسمعان الغيور عدو سلطة الامبراطور الذي لا يلين ، وبطرس السريع الاندفاع المتكل على نفسه الحار القلب مع اندراوس اخيه ، ويهوذا الذي من اليهودية المهذب المقتدر الدنيء النفس ، وفيلبس وتوما الامين الغيور ومع ذلك فهو متباطىء القلب فى الايمان ، ويعقوب الصغير ويهوذا اللذان كانا اقل شهرة بين الاخوة ومع ذلك كانا رجلين قويين وايجابيين فى اخطائهما وفضائلهما. ونثنائيل الذي كان كطفل فى اخلاصه وثقته ، وابنا زبدي اللذان كانا طموحين ومحبين

فلكي يتقدم هؤلاء التلاميذ بنجاح فى القيام بالعمل الذي دعوا اليه، هؤلاء التلاميذ الذين كان يوجد بينهم تباين واسع النطاق فى صفاتهم الطبيعية وفى التربية وعادات الحياة ، كانوا بحاجة الى ان يكونوا متحدين فى الشعور والفكر والعمل. وقد كان غرض المسيح تحقيق هذه الوحدة . فلكي تتم هذه الغاية حاول ان يوحدهم بنفسه. ان عبء خدمته لاجلهم معبر عنه فى صلاته الى الآب : « ليكون الجميع واحدا كما انك انت ايها الآب فيّ وانا فيك ليكونوا

85,86

هم ايضا واحـدا فينا ... ليعلم العالم انك ارسلتني واحببتهم كما احببتني » (يوحنا ١٧ : ٢١ ـ ٢٣)

قـوة المسيح المغـيرة

كان على اربعة من التلاميذ الاثني عشر ان يقوموا بدور القيادة كل منهم فى اتجاه معين. فاستعدادا لهذا علمهـم المسيح اذ سبق فرأى الجميع. فيعقوب الذي كان سيموت ميتة سريعة بحد السيف ، ويوحنا الذي كان اطول الاخوة عمرا يتبع سيده فى الخدمة والاضطهاد ، وبطرس الرائد فى نقض سياجات العصور وتعاليم العالم الوثني ، ويهوذا الذي كان فى الخدمة كفوءا للاستعلاء على اخوته ومع ذلك فقد كان فى اعماقه يفكـر فى اغراض قلما كان يحلم باكتمالهـا ونضوجها ـ هؤلاء كانـوا موضوع اعظم اهتمـام للمسيح وهم الدين تلقوا اعظم تعليم منه فى حرص بالغ

حاول كل من بطرس ويعقوب ويوحنا اغتنام كل فرصة ليكونـوا فى اتصال وثيق مع معلمهـم ، وقد اجيبـوا الى طلبهم. كانت علاقتهم به اوثق من علاقة باقي الاثني عشر. اما يوحنا فلم يقنع الا بصداقة اوثق واقرب وهذا ما حصل عليه. فعند اول اجتماع عند نهـر الاردن عندمـا اسرع اندراوس بعدما سـمع يسوع ليدعو اخـاه جلس يوحنـا مستغرقا فى التأمل فى المواضيع العجيبة. وقد تبع المخلص وكان دائما هو المستمع المشتاق المستغرق فى تفكيره. ومع ذلـك فان اخـلاق يوحنا لم تكـن خاليـة من الشوائب

والاخطاء. لم يكن هو الرجل الغيور اللطيف الحالم. فقد دعي هو واخوه « ابني الرعد » (مرقس ٣ : ١٧) . كان يوحنا متكبرا وطموحا وشكسا ، ولكن تحت هذا كله اكتشف المعلم الالهي القلب الحار المخلص المحب. وقد وبخ يسوع طلبه ما لنفسه ، وخيب مطامحه وامتحن ايمانه. ولكنه كشف له ما كانت تتوق اليه نفسه ـ جمال القداسة ومحبته المجددة. فقد قال للآب : « انا اظهرت اسمك للناس الذين اعطيتني من العالم » (يوحنا ١٧ : ٦)

كانت طبيعة يوحنا تتوق الى المحبة والعطف والعشرة. وقد ازداد قربا من يسوع وجلس الى جواره واتكأ على صدره. لقد استقى من نور الله وحياته كما تستقي الزهرة نور الشمس والطل. ففي تعبد ومحبة شاهد المخلص حتى غدا التشبه بالمسيح والشركة معه مطلبه الاوحد ، فانعكست صفات سيده على اخلاقه

وقد قال : « انظروا اية محبة اعطانا الآب حتى ندعى اولاد الله . من اجل هذا لا يعرفنا العالم لانه لا يعرفه. ايها الأحباء الآن نحن اولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم انه اذا اظهر نكون مثله لاننا سنراه كما هو. وكل من عنده هذا الرجاء به يطهر نفسه كما هو طاهر » (١ يوحنا ٣ : ١ ـ ٣)

من ضعف الى قـوة

ان تاريخ بطرس هو الوحيد بين تواريخ حياة التلاميذ

الذي يمثل لنا افضل تمثيل اسلوب المسيح فى التربيــة ، فبطرس اذ كان جريئا متخذا زمــام المبادرة وواثقــا من نفسه وســريعا فى الادراك والملاحظة ومقدامــا فى العمــل وسريعا فى الثأر ومع ذلك كريما فى الصفح ، كثيرا ما اخطأ وكثيرا ما وقع عليه التوبيخ ، وكذلك ولاؤه وتكريسه القلبي للمسيح اعترف له بهما بكل يقين وامتدح عليهما. وقد عالج المخلص تلميذه المندفع هذا بصبر وبمحبة منصفة ، محاولا ان يوقف ثقته بنفسه ويعلمه الوداعة والطاعة والثقة

ولكنه تعلم الدرس تعلما جزئيا. فثقته بنفسه لم تقتلع وكثيرا عندما كان الحمل يثقل على كاهل يسوع وقلبه كان يحاول ان يكاشف التلاميذ بمشاهد محاكمته وآلامه. ولكن اعينهم كانت ممسكة. فهم لم يكونوا يرحبون بمعرفة ذلك ولم يكونــوا يرون. ان اشــفاقهم على انفسهم الذي تراجع بهم عن مشاركة المسيح فى آلامه حفز بطرس على ان يعترض قائلا : « حاشاك يا رب. لا يكون لك هذا » (متى ١٦ : ٢٢) . وقد كان كلامه تعبيرا عن فكر الاثني عشر وشعورهم

وهكذا ساروا والازمة تقترب منهم ، وكانوا فخورين كثيري المنازعات فى انتظار توزيع اوسمة الشرف ولم يكونوا يحلمون بالصليب

كان اختبار بطرس درسا لجميعهم. ان التجربة هزيمة للثقة بالذات . ان المسيــح لم يستطع ان يمنــع تفاعــل واستشراء الشر الذي لم يقلعوا عنه. ولكن كما مد السيد

يده للانقاذ عندما كانت الامواج موشكة ان تكسح بطرس كذلك امتدت محبته لانقاذه عندما طفت اللجج على نفسه. ومرارا كثيرة اذ كان بطرس على شفا الهلاك فان كلام الافتخار كان يقربه اكثر فاكثر الى الحافة. ومرارا قدم اليه الانذار : «... تنكر انك تعرفني» (لوقا ٢٢ : ٣٤). ان قلب ذلك التلميذ الحزين هو الذي نطق بهذا القول : « يا رب اني مستعد ان امضي معك حتى الى السجن والى الموت (لوقا ٢٢ : ٣٣). وذاك الذي يعلم خفبات القلب قدم لبطرس الرسالة التي قلما كان يقدرها حينئذ ولكنها عند هجوم الظلام اشرقت على نفسه بشعاعة من الرجاء : « سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة. ولكني طلبت من اجلك لكي لا يفنى ايمانك. وانت متى رجعت ثبت اخوتك » (لوقا ٢٢ : ٣١ و ٣٢)

وعندما نطق بطرس بكلام الانكار في دار المحاكمة . وعندما اخرجته محبته وولاؤه اذ ايقظتهما نظرة العطف والحب والحزن التي وجهها اليه المخلص ، الى البستان حيث بكى المسيح وصلى ، عندما انهمرت دموع ندامته على الارض التي ارتوت بقطرات دم آلام السيد الشديدة ، وحينئذ فان كلام المخلص حين قال : « طلبت من اجلك... متى رجعت ثبت اخوتك » ، كان سندا لروحه. ان المسيح مع علمه السابق بخطيته لم يتركه لليأس

فلو ان النظرة التي القاها عليه يسوع عبّرت عن الدينونة بدلا من العطف ، ولو انه عندما انباه بخطيته اخفق

فى النطق بكلام الرجاء فما كان اثقل الظلام الذي كان يكتنف بطرس ! وما كان ارهب اليأس الذي كان يكتنف تلك النفس المعذبة ! ففي تلك الساعة ساعة عذابه ومقته لنفسه ما الذي كان يستطيع ان يصده عن السير فى الطريق الذي سار فيه يهوذا ؟

ان ذاك الذي لم يستطع ان يمنع تلميذه من العذاب والحزن لم يتركه وحده يجرع مرارته. انه فى محبته لا يهمل ولا يترك

ان البشر انفسهم مع انهم يميلون الى الشر فهم ميالون انى معاملة المجربين والمخطئين بغير رفق. انهم لا يعرفون ما تكنه القلوب ولا يعرفون صراع القلب وآلامه. انهم بحاجة الى ان يتعلموا عن التوبيخ الذي هو محبة والضربة التي تجرح لتشفي والانذار الذي ينطق بالرجاء

ان الذي سهر مع السيد عند المحاكمة فى دار القضاء والذي وقف الى جوار صليبه والذي كان الاول بين الاثني عشر الذي ذهب الى القبر لم يكن هو يوحنا — لم يكن يوحنا بل بطرس ، الذي ذكر المسيح اسمه بعد قيامته. فقد قال الملاك : « قلن لتلاميذه ولبطرس انه يسبقكم الى الجليل. هناك ترونه » (مرقس ١٦ : ٧)

وعند الاجتماع الاخير بين المسيح وتلاميذه عند البحر فاذ امتحن بطرس ثلاث مرات بهذا السؤال : « اتحبني » ؟ فقد اعيد الى مكانه بين الاثني عشر. وقد عين له عمله اذ كان عليه ان يرعى قطيع الرب. حينئذ وجه اليه المسيح

امره الشخصي الاخير اذ قال له يسوع : « اتبعني انت » (يوحنا ٢١ : ١٧ و ٢٢)

لقد امكنه الان ان يقدر الكلام. فالدرس الذي قدمه المسيح عندما اقام ولدا في وسط التلاميذ وامرهم بان يصيروا مثله امكن لبطرس الان ان يدركه ويفهمه فهما افضل. فاذ عرف ضعفه وقوة المسيح معرفة كاملة كان مستعدا لان يثق ويطيع. فبقوة الرب امكنه ان يتبع سيده

وفي نهاية اختباره للخدمة والتضحية فالتلميذ الذي لم يكن مستعدا قبلا لادراك الصليب حسبه فرحا ان يضع حياته لاجل الانجيل شاعرا فقط انه لمن قد انكر سيده يعتبر موته كما قد مات سيده مجدا عظيما جدا لا يستحقه

ان التغيير الذي حدث لبطرس كان من معجزات لطف الله . وهو درس يتعلمه مدى الحياة اولئك الذين يريدون ان يسيروا في اثر خطوات معلم المعلمين

درس في المحبة

لقد وبخ يسوع تلاميذه ، انذرهم وحذرهم ، ولكن يوحنا وبطرس واخوتهما لم يتركوه. فبالرغم من التوبيخات اختاروا ان يكونوا مع يسوع. كما ان المخلص لم ينسحب من بينهم بسبب اخطائهم. انه يأخذ الناس كما هم بكل اخطائهم وضعفاتهم ويدربهم على خدمته اذا ارادوا ان يتدربوا ويتعلموا منه

ولكن ُوجد واحد من الاثني عشر لم يوجه المسيح اليه كلمة توبيخ مباشرة الى قرب انتهاء خدمته على الارض

فبدخول يهوذا بين التلاميذ دخل معه عنصر الخصومة. فاذ ربط نفسه بيسوع استجاب لجواذب صفاته وحياته. كان مخلصا حين طلب ان تتغير نفسه وكان يرجو ان يختبر هذا عن طريق اتحاده بيسوع. ولكن هذه الرغبة لم تكن الرغبة السائدة او الغالبة. والذي سيطر عليه هو الامل في الربح الاناني في الملكوت العالمي الذي كان ينتظر ان المسيح سيقيمه. ان يهوذا مع انه اعترف ولاحظ القدرة الالهية لمحبة المسيح فهو لم يخضع لسلطانها. وقد ظل محتفظا بحكمه وآرائه وميله الى الانتقاد والادانة . ان بواعث المسيح وتحركاته التي كانت في غالب الاحيان فوق ادراك يهوذا أثارت فيه الشكوك والاستهجان. وقد اوعز بهذه الشكوك والمطامع الى التلاميذ. وكثير من مشاجراتهم على السيادة وكثير من تبرمهم وعدم رضاهم عن اساليب المسيح بدأت ونبعت من يهوذا

واذ رأى يسوع ان المخاصمة من شأنها ان تقسي القلوب كف عن الصراع المباشر. ان الانانية المتزمتة في حياة يهوذا حاول المسيح ان يشفيها عن طريق الاتصال بمحبته المضحية. ففي تعليمه كشف عن المبادئ التي ضربت أصل مطامع التلاميذ المركزة في ذواتهم. وقد قدم درس بعد درس وكثيرا ما ايقن يهوذا ان اخلاقه قد ُصورت وان خطيته قد اشير اليها ، ولكنه لم يخضع

91,92

فاذ قاوم توسلات الرحمة ســادت عليه نزعة الشر اخيرا. واذ غضب يهوذا من توبيخ ضمني واذ صار متهورا لخيبة آماله في مطامعه واحلامه اسلم نفسه لشيطان الطمع وعقد العزم على خيانة سيده وتسليمه. فخرج من العلية التي مورست فيها فريضة الفصح ومن فرح محضر المسيح ونور رجاء الخلود ، خرج الى عمله الشرير ـ الى الظلمــة الخارجية حيث انتفى الرجاء

« لان يسوع من البدء علم من هم الذين لا يؤمنون ومن هو الذي يسلمه » (يوحنا ٦ : ٦٤). ومع ذلك فهو لم يمتنع عن تقديم توسل الرحمة او هبة المحبة

واذ رأى يسوع خطر يهوذا قرّبه من نفسه وادخلــه الى الدائرة الاضيق لتلاميذه المختارين الموثوق بهم . ويوما بعد يوم عندما كان العبء يثقل على قلبه كان يتحمل ألم الاحتكاك المستمر مع تلك الروح العنيدة المرتابة المصرة على الاثم . لقد شــهد وتعب لكي يبطــل مفعول تلك الخصومة المستمرة الخفيــة الماكــرة بين تلاميذه. وكل ذلك حتى لا يعوز تلك النفس المعرضة للخطر اي تأثير يمكن ان يخلصها !

« مياه كثيرة لا تستطيع ان تطفيء المحبة
والسيول لا تغمرها »

«لان المحبة قوية كالموت»(نشيد الانشاد ٨:٧و٦)

وفيما يختص بيهوذا نفســه كانت خدمة محبة المسيح عديمــة الجدوى. ولكن هذا لا ينطبق على زملائــه من التلاميذ. فبالنسبة اليهم كانت درســا دام تأثيره مــدى

الحياة. ان مثاله فى الرقة وطول الاناة شكّل دائما اختلاطهم بالمجربين والمخطئين. وقد كانت لتلك الخدمة دروس اخرى. فعند اقامة الاثني عشر كان التلاميذ يشتاقون شوقا عظيما الى ان يكون يهوذا واحدا منهم وقد حسبوا قبوله حادثا يبشر بمستقبل عظيم لجماعة الرسل. كان على اتصال بالعالم اكثر منهم. كان رجلا على جانب كبير من المهارة والتمييز والمقدرة الادارية ، واذ كان يقدر مؤهلاته تقديرا ساميا جعل التلاميذ يقدرونه هذا التقدير. الا ان الاساليب التي قصد ادخالها فى عمل المسيح كانت مبنية على مبادىء عالمية وتحكمها سياسة عالمية. تلك المبادىء كانت ترمي الى احراز احترام العالم وكرامته — الى الحصول على مملكة هذا العالم. ان تفاعل هذه الاشواق والرغبات فى حياة يهوذا اعانت التلاميذ على ادراك الخصومة بين مبدإ تعظيم الذات ومبدإ المسيح مبدإ الوداعة والتضحية — مبدإ الملكوت الروحي. وقد رأوا فى مصير يهوذا ومأساته العاقبة التي تنتهي اليها خدمة الذات

ان رسالة المسيح قد حققت غايتها اخيرا لاجل هؤلاء التلاميذ. وقليلا قليلا فان مثاله ودروسه عن نبذ الذات وانكارها شكلت اخلاقهم. وقد قضى موته على رجائهم فى العظمة العالمية. ان سقوط بطرس وارتداد يهوذا وفشلهم هم فى تركهم للمسيح فى آلامه وخطره ، كل ذلك اكتسح كفايتهم الذاتية. وقد رأوا ضعفهم ، ورأوا شيئا من عظمة العمل المسند اليهم ، وقد احسوا بحاجتهم الى ارشاد سيدهم ومعلمهم عند كل خطوة

عرفوا ان وجوده معهم بذاته كما كان قبلا لن يتحقق ، وتحققوا كما لم يتحققوا من قبل قيمة الفرص التي كانت لهم في السير والتحدث مع ابن الله . ان كثيرا من الدروس التي كانوا قد تلقنوها لم يقدروها ولا فهموها عندما نطق بها ، اما الان فقد تاقوا الى تذكرها وتاقوا الى سماعها مرة اخرى. فبأي فرح عاد اليهم الان تأكيده حين قال :

« خير لكم ان انطلق. لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزي. ولكن ان ذهبت ارسله اليكم » « اعلمتكم بكل ما سمعته من ابي » ، « اما المعزي... الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا ١٦ : ٧ ؛ ١٥ : ١٥ ؛ ١٤ : ٢٦)

« كل ما للآب هو لي » « واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق... يأخذ مما لي ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١٥ و ١٣و١٤)

لقد رأى التلاميذ المسيح يصعد من بينهم وهم على جبل الزيتون. واذ استقبلته السماء عاد اليهم وعده الوداعي : « ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠)

وقد علموا ان عواطفه لا تزال معهم . وعلموا ان لهم نائبا ، شفيعا امام عرش الله . فباسم يسوع قدموا توسلاتهم مرددين وعده القائل : « كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم » (يوحنا ١٦ : ٢٣)

وقد مدوا يد الايمان الى اعلى واعلى بهذه الحجة

القوية : « المسيح هو الذي مات بل بالحري قام ايضا الذي هو ايضا عن يمين الله الذي ايضا يشفع فينا » (رومية ٨ : ٣٤)

فذلك الشخص الالهي اذ كان امينا لوعده ، وقد تمجد فى المواطن السماوية اعطى من ملئه لتلاميذه على الارض . ان جلوسه على العرش عن يمين الله تميز بسكب الروح على تلاميذه

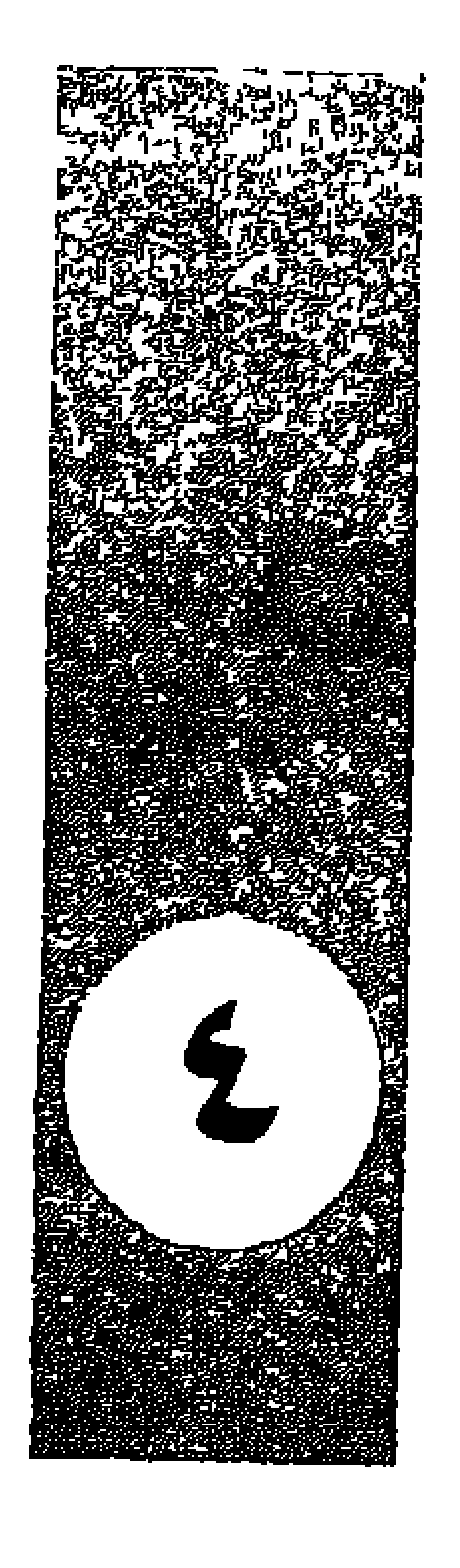
ان هؤلاء التلاميذ بعمل المسيح احسوا بحاجتهم الى الروح . فتحت تعليم الروح حصلوا على إعدادهم النهائي فخرجوا لمزاولة عمل حياتهم

ما عادوا الان جهالة او غير مثقفين. وما عادوا الان مجموعة من الآحاد المستقلة او العناصر المتنافرة المتنازعة. وما عادت آمالهم مركزة فى العظمة العالمية. كانوا « برأي واحد » وفكر واحد ونفس واحدة. لقد ملأ المسيح افكارهم. وكان هدفهم تقدم ملكوته. ففي افكارهم وصفاتهم صاروا كسيدهم. والناس « عرفوهما (بطرس ويوحنا) انهما كانا مع يسوع » (اعمال ٤ : ١٣)

وحينئذ كان هنالك اعلان لمجد المسيح لم يسبق لعين انسان ان شهدته. فاذا بجماهير من كانوا قد اهانوا اسمه واحتقروا سلطانه يعترفون بانهم تلاميذ المصلوب. وعن طريق معاونة الروح الالهي حدث ان خدمات الرجال الوضعاء الذين قد اصطفاهم المسيح فتنت المسكونة. ففي جيل واحد وصل الانجيل الى كل امة تحت السماء

ان نفس الروح الذي ارسل بدلا منه ليكون معلمـا لخدامه الاولين، ارسل المسيح ليكون معلما لخدامه العاملين معه اليوم. وهذا هو وعده : « ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠)

ان وجود نفس هذا المرشد فى الخدمة التربوية اليـوم ستنتج عنه نفس النتائج كما فى القديم. هذه هي الغايـة التي تؤول اليها التربية الحقة ، هذا هو العمل الذي يقصد الله أنه يتم



القسم

تعليم الطبيعة

« تأمل . . . معجزات الكامل فى المعرفة »



الله في الطبيعة

على كل الخلائق يُرى طابع الله. الطبيعة تشهد لله. ان العقل الحساس اذ يحتك بمعجزة الكون وسره لا بد له ان يتحقق من وجود قوة سرمدية تعمل. والارض لا تعطي خيراتها بقوتها الفطرية، ومن سنة الى سنة تتم وتواصل دورانها حول الشمس. ان يدا غير منظورة ترشد السيارات (الكواكب السيارة) فى دورانها فى السموات. وحياة خفية سرية تعم الطبيعة كلها — حياة تسند وتعضد العوالم التي لا يحصى عديدها فى اتساعها غير المحدود، تلك الحياة التي تدب فى الذرة التي تطير فى نسيم الصيف والتي تعطي اجنحة للقلق والتي تطعم صغار الغربان التي تصرخ والتي تجعل البراعم تتفتح والزهور تأتي بثمر

ونفس القوة التي تدعم الطبيعة وتسندها تعمل ايضا فى الانسان. نفس النواميس العظيمة التي ترشد الكوكب والذرة على السواء تسيطر على الحياة البشرية. والقوانين

التي تتحكم فى خفقان القلب وتنظم جريان تيار الحياة الى الجسم هي النواميس التي وضعها فكر الله الجبار الذي له السلطان على النفس. فمنه تنبعث كل الحياة. انما فى الوفاق والانسجام معه يمكن ان يوجد مجالها الحقيقي فى العمل . والشرط هو هو لا يتغير لكل مخلوقاته ــ الحياة التي يسندها ويعضدها قبول حياة الله ، الحياة التي تستخدم فى انسجام مع ارادة الخالق. فالتعدي على هذه الشريعة الالهية سواء أكانت بدنية او عقلية او ادبية هو بمثابة شذوذ الانسان عن الانسجام الذي فى الكون لإقحام التشويش والفوضى والدمار

فالذي يتعلم ان يفسر تعاليم الطبيعة هكذا تصبح الطبيعة كلها متألقة ومنيرة له ، والعالم يصير كتابا مدرسيا والحياة مدرسة . ان وحدة الانسان مع الطبيعة ومع الله ، والسيادة المطلقة للشريعة ونتائج العصيان لا بد ان تؤثر على العقل وتصوغ الخلق

هذه دروس يحتاج اولادنا ان يتعلموها . ان الطبيعة تقدم نبعا لا ينضب للتعليم والسرور للطفل الصغير الذي لا يستطيع بعد ان يقرأ من الكتاب والذي لا يمكن بعد حبسه فى الحجرة المدرسية حيث الروتين الممل . والقلب الذي لم يتقس بعد بملامسة الشر سريع فى معرفة الوجود الذي يتغلغل فى كل الخلائق . والاذن التي لم تصمها بعد ضجة العالم وغوغاؤه تستمع للصوت الذي يتكلم عن طريق اقوال الطبيعة. اما المتقدمون فى الايام الذين يحتاجون

دائما الى مذكري الطبيعة الصامتين بما هو روحي وابدي فان تعليم الطبيعة سيكون مصدرا للسرور والتعليم. فكما تعلم الساكنان فى عدن من صفحات سفر الطبيعة وكما فهم موسى كتابة يد الله على سهول بلاد العرب وجبالها ، وكما فعل الطفل يسوع على سفوح الناصرة ، هكذا اطفال اليوم يمكنهم ان يتعلموا منه . ان غير المنظور يشرحه المنظور . فعلى كل الموجودات التي على الارض من اعلى شجرة فى الغابة الى اصغر الاعشاب التي تتعلق بالصخور ، ومن الاوقيانوس الذي لا حدود له الى اصغر الاصداف الملقاة على الشاطىء يمكنهم ان يروا صورة الله وكتابته

فعلى قدر الامكان ضعوا الطفل منذ سنواته الباكرة حيث يكون هذا الكتاب المدرسي العجيب مفتوحا امامه . دعوه يرى المشاهد المجيدة التي ابدعها الفنان الاعظم على صفحة السموات حتى يتعرف على عجائب الارض والبحر ، دعوه يلاحظ الاسرار المنكشفة فى الفصول المتغيرة. وفى كل اعمال الخالق يتعلم عنه

لا توجد طريقة اخرى يمكن بواسطتها وضع اساس ثابت واكيد للتعليم والتربية الحقيقية ، ومع ذلك فحتى الطفل عندما يحتك بالطبيعة سيرى سببا للارتباك والحيرة ، فلا يمكنه الا ان يلاحظ عمل القوى المتحاربة المتعادية . هنا تحتاج الطبيعة الى شارح ومفسر . فاذ يرى الشر الظاهر حتى فى العالم الطبيعي ، يحتاج الجميع الى تعلم الدرس المحزن وهو : «انسان عدو فعل هذا» (متى ١٣ : ٣٨)

ولا يمكن ان ُيقرأ تعليم الطبيعة قراءة صحيحة الا فى النور الذي ينبعث من جلجثة . فعن طريق قصة بيت لحم والصليب ينبغي تعليمهم كيف انه من الصواب غلبة الشر ، وكيف ان كل بركة تأتي الينا هي هبة من هبات الفداء

ففي العوسج والشوك والحسك والزوان ُيرمز الى الشر الذي يلفح وييبس ويشوه . وفى العصفور المفرد والزهرة المتفتحة والمطر ونور الشمس ونسيم الصيف والندى اللطيف ، وفى ربوات الاشياء فى الطبيعة من بلوطة الغابة الى البنفسجة التي تنمو فى اسفلها وتزهر ، فى كل هذا نرى المحبة المجددة . ولا تزال الطبيعة تحدثنا عن جود الله وصلاحه

« لاني عرفت الافكار التي انا مفتكر بها عنكم يقول الرب افكار سلام لا شر » (ارميا ٢٩ : ١١) . هذه هي الرسالة التي فى النور المنبثق من الصليب يمكن ان ُنقرأ على كل وجه الطبيعة . ان السموات تعلن مجده والارض مملوءة من غناه



دروس من الحياة

ان المعلم العظيم جعل سامعيه يحتكون بالطبيعة حتى يمكنهم ان يستمعوا الى الصوت الذي يتحدث فى كل الخلائق . واذ صارت قلوبهم رقيقة وعقولهم واعية اعانهم على تفسير التعليم الروحي للمشاهد التي وقعت عليها انظارهم . فالامثال التي احب بواسطتها ان يعلم دروس الحق ترينا كم كانت روحه متفتحة لمؤثرات الطبيعة وكيف سر بأن يجمع التعاليم الروحي من بيئة الحياة اليومية

فطيور السماء وزنابق الحقل والزارع والبذار والراعي والخراف ــ بهذه شرح المسيح الحق الخالد . وقد استخرج امثلة ايضا من احداث الحياة ، وحقائق الاختبار المألوفة لدى السامعين ــ كالخميرة والكنز المخفى واللؤلؤة وشبكة الصيد والدرهم المفقود والابن الضال والبيت المبني على الصخر والآخر المبني على الرمل . ففي دروسه كان يوجد شيء يهم كل عقل ويمس كل قلب . وهكذا بدلا

من ان يكون الواجب اليومي شوطا من الكدح مجردا من الافكار السامية استنار وسما بالمذكرات الدائمة لما هو روحي وغير منظور

هكذا يجب علينا ان نعلم . فليتعلم الاطفال ان يروا فى الطبيعة تعبيرا عن محبة الله وحكمته ، وليقترن الفكر عنه بالطير والزنبقة والشجرة ، ولتصر الامور المنظورة امامهم مفسّرة لغير المنظور ، ولتصر احداث الحياة وسائل للتعليم الالهي

واذ يتعلمون ان يدرسوا الدروس هكذا فى كل الخلائق وفى كل اختبارات الحياة بيّنوا لهم ان نفس النواميس التي تحكم امور الطبيعة واحداث الحياة يجب ان تسيطر علينا ؛ وانها قد اعطيت لاجل خيرنا ، وانه فى اطاعتها فقط يمكننا ان نجد السعادة والنجاح الحقيقيين

ناموس الخدمة

كل ما فى السماء وما على الارض يعلن ان ناموس الحياة العظيم هو ناموس الخدمة . ان الآب السرمدي يخدم حياة كل كائن حي . والمسيح جاء الى الارض « كالذي يخدم » (لوقا ٢٢ : ٢٧) . والملائكة هم ارواح « خادمة مرسلة للخدمة لاجل العتيدين ان يرثوا الخلاص » (عبرانيين ١ : ١٤) . ونفس ناموس الخدمة مكتوب على كل ما فى الطبيعة. فطيور السماء وبهائم الحقل واشجار الوعر والاوراق والعشب والازهار والشمس فى السموات

كواكب النور — كل هذه لها خدمتها . فالبحيرة
الاوقيانوس والنهر ونبع الماء — كلٌ يأخذ ليعطي
فاذ يخدم كل ما فى الطبيعة هكذا لاجل حياة العالم
نهو ايضا يحفظ حياته . « اعطوا تعطوا » (لوقا ٦ : ٣٨)
هذا هو الدرس المكتوب بكل تأكيد فى الطبيعة كما فى
صفحات الكتاب المقدس

فأذ تفتح سفوح التلال والسهول ليصل النهير النازل
من الجبل الى البحر فما تعطيه هذه الاشياء يرد لها مئة
ضعف ، فالنهر الذي يسير مترنما فى طريقه يترك خلفه
عطية الجمال والخصب . ففي وسط الحقول المجدبة
الدكناء تحت شمس الصيف يحدد خيط من الخضرة
مجرى النهر ، وكل شجرة عالية وجميلة وكل برعمة وكل
زهرة هي شهادة على التعويض الذي تحكم به نعمة الله
لكل من يصيرون كقنوات للعالم

الــــزرع بــايمـــان

من بين الدروس التي لا تكاد تحصى التي تتعلَّم فى
اطوار النمو المختلفة ، بعض من اجملها واثمنها يحملها لنا
المثل الذي اورده المخلص عن البذرة النامية . ان فيه
دروسا للكبار وللصغار

« هكذا ملكوت الله كأن انسانا يلقي البذار على الارض
وينام ويقوم ليلا ونهارا والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم
كيف. لان الارض من ذاتها تأتي بثمر. اولا نباتا ثم سنبلا
ثم قمحا ملآن فى السنبل » (مرقس ٤ : ٢٦ — ٢٨)

ان البذرة فيها فى ذاتها مبدأ التفريخ او الإنبات وهو مبدأ غرسه الله بنفسه فيها ، ومع ذلك فلو تُركت لنفسها فلن تكون لتلك البذرة القوة لتنبت . فعلى الانسان دور يقوم به فى تحسين نمو البذرة . ولكن هنالك حد لا يمكنه بعده ان يعمل شيئا . فعليه ان يعتمد على ذاك الذي قد ربط الزرع بالحصاد بحلقات عجيبة من قدرته اللامحدودة

توجد حياة فى البذرة وتوجد قوة فى التربة ، ولكن ما لم تُستخدم القوة اللامحدودة ليلا ونهارا فالبذرة لن تأتي بثمر . فيجب ان تنعش سيول المطـر الحقول وتطفىء ظمأها ، والشمس يجب ان تعطيها دفئا وحرارة ويجب ان تنتقل الكهرباء الى البذرة المدفونة . فالحياة التي قـد غرسها الخالق لا يستطيع ان يخرجها احد سواه . فكل بذرة تنمو وكل نبتة تكبر بقدرة الله

«الزرع هو كلام الله» « لأنه كما ان الارض تخرج نباتها وكما ان الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برا وتسبيحا » (لوقا ٨ : ١١ ؛ اشعياء ٦١ : ١١) . فكما فى الزرع الطبيعي كذلك فى الزرع الروحي ، نجد ان القوة الوحيدة التي تنتج حياة هي تلك المنبثقة من الله

ان عمل الزارع هو عمل الايمان . انه لا يستطيع ان يدرك سر الإنبات والنمو للبذار ، ولكن له ثقة فى العوامل التي بواسطتها يجعل الله النبات يزدهر . فهو يلقي البذار مؤملا ان يجمعه اضعافا مضاعفة فى حصاد وفير . هكذا يجب على الوالدين والمعلمين ان يتعبوا منتظرين حصادا من البذار الذي يزرعونـه

قد تظل البذرة الصالحة ملقاة بعض الوقت دون ان يلحظها احد فى القلب ، ودون ان تقدم برهانا على انها قد اصلت اصولها ، ولكن بعد ذلك اذ يهب روح الله على النفس فالبذرة المختفية تطلع واخيرا تأتي بثمر . وفى عمل حياتنا نحن لا نعرف اي الاعمال سينجح هذا او ذاك . فهذا السؤال ليس لنا ان نحكم فيه . « فى الصباح ازرع زرعك وفى المساء لا ترخ يدك » (جامعة ١١ : ٦) . ان عهد الله العظيم يعلن انــه « مدة كـل ايام الارض زرع وحصاد . . . لا تزال » (تكوين ٨ : ٢٢) . فعلى الثقة بهذا الوعد يحرث الفلاح ويزرع . ونحن ينبغي لنا الا نكون اقل ثقة ونحن نزرع الزرع الروحي ونحن نخدم واثقين فى وعده الاكيد القائل : « هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع اليّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فى ما ارسلتها له » . « الذاهب ذهابا بالبكاء حاملا مبذر الزرع مجيئا يجيء بالترنم حاملا حزمه » (اشعياء ٥٥ : ١١ ؛ مزمور ١٢٦ : ٦)

ان إنبات البذرة يرمز الى بدء الحياة الروحية ونمو النبات يرمز الى نمو الخلق . لا يمكن ان تكون حياة بدون نمو . فالنبات إما ان ينمو او يذوي ويموت . وكما ان نمو النبات ساكن وغير ملحوظ ولكنــه يستمر فكذلك نمو الخلق . فى كل طور من اطوار النمو يمكن ان تكون حياتنا كاملة ، ومع ذلك فاذا تم قصد الله لاجلنا فلا بد ان يكون هنالك نمو مطرد وتقدم مستمر

والنبات ينمو اذ يقبل ما قد هيأه الله لإسناد حياته .

وكذلك النمو الروحي يمكن تحقيقه بواسطة التعاون مع العوامل الالهية • وكما يتأصل النبات فى الارض كذلك علينا نحن ان نتأصل فى المسيح . وكما يستقبل النبات الشمس والطل والمطر كذلك علينا نحن ان نستقبل الروح القدس ونقبله . اذا كانت قلوبنا راسخة فى المسيح فسيأتي الينا : « كالمطر . كمطر متأخر يسقي الارض » وكشمس البـر سيشرق علينـا والشفاء فى اجنحته وسـوف « يزهر كالسوسن » و « يحيون حنطة ويزهرون كجفنة » (هوشع ٦ : ٣ ؛ ملاخي ٤ : ٢ ؛ هوشع ١٤ : ٥ و ٧)

ان القمح يخرج « اولا نباتا ثم سنبلا ثم قمحا ملآن فى السنبل » (مرقس ٤ : ٢٨) • ان غاية الفلاح من الزرع ، زرع البذار والعناية بالنبات هي الحصول على الحنطة ، خبز للجياع وبذار لاجل المحاصيل الآتية . هكذا الفلاح الالهي ينتظر حصادا . انه يحاول ان يتولد فى قلوب تلاميذه وحياتهم ، حتى عن طريقهم يولد فى قلوب اناس آخرين وحياتهـم

ان النمو التدريجي للنبات من البذرة هو مثل فى تربية الاطفال . فيكون « اولا نباتا ثم سنبلا ثم قمحا ملآن فى السنبل » (مرقس ٤ : ٢٨) . ان الذي اورد هذا المثل هو الذي خلق البذرة الصغيرة ، واودع فيها خواص الحياة وسن القوانين التي تتحكم فى نموها . والحقائق المقتبسة من المثل صارت حقيقة فى حياته . فهو ، جلال السماء وملك المجد ، صار طفلا فى بيت لحم ، وظل بعض الوقت

يمثل الطفل القاصر تحت رعاية امه . وفي طفولته تكلم وتصرف كطفل اذ اكرم ابويه ونفذ كل رغبتهما فى طريق المعاونة . ولكن منذ بدء انبثاق ذكائه كان ينمو نموا مطردا فى النعمة ومعرفة الحق

فيجب على الوالدين والمعلمين ان يهدفوا الى تهذيب ميول الشباب حتى يمكنهم فى كل طور من اطوار الحياة ان يمثلوا الجمال اللائق بتلك الفترة ، فيتفتحون بكيفية طبيعية كما تفعل النباتات فى البستان

يجب ان يتربى الصغار فى بساطة كبساطة الاطفال . يجب تربيتهم على ان يكونوا قانعين بواجبات المعونة الصغيرة وبالمسرات والاختبارات الطبيعية لمن هم فى مثل سنهم . ان الطفولة يرمز اليها النبات فى المثل، والنبات له جمال قاصر عليه . لا ينبغي ارغام الاطفال على ان ينضجوا نضوجا مبكرا قبل أوانه ، بل على قدر الامكان يجب ان يظلوا محتفظين بنضارة وجمال سنواتهم الاولى . كلما كانت حياة الطفل اكثر هدوءا وبساطة ـ كلما تحررت من الاثارة والاهتياج المصطنع وكلما كانت متوافقة مع الطبيعة ـ وكلما كان ذلك اكثر موافقة للنشاط الجسماني والعقلي والقوة الروحية

فى معجزة اشباع الخمسة الآلاف التي اجراها المخلص يتمثل عمل قدرة الله فى انتاج الحصاد . ان يسوع يزيح الستار عن عالم الطبيعة ويكشف عن القوة الخالقة التي تعمل باستمرار لاجل خيرنا . ففي إكثار البذرة التي تلقى

فى الارض فذاك الذي ضاعف الارغفة ما زال يعمل معجزة كل يوم. فهو بمعجزة يطعم دائما ملايين الناس من محاصيل حقول الارض . ويُطلب من الناس ان يتعاونوا معــه فى العناية بالحبوب واعداد الرغيف وبسبب هذا يغيب عــن انظارهم العامل الالهي . ان عمــل قدرته ينسب الــى اسباب طبيعية او الى العامل البشري ، وفى اكثر الاحيان تفسد هباته وتعكس لاغراض نفسانية فتصير لعنة بدلا من ان تكون بركة . ان الله يحاول ان يغير كل هذا . فهو يريد ان حواسنا البليدة تستيقظ وتنتعش لتدرك رأفته ورحمته لتكون هباته لنا بركة كما قد قصد ان تكون

ان كلمة الله ــ منح حياته ــ هي التي تعطي للبذرة حياة ، ونحن اذ نأكل مــن الحنطة نصير شركاء فى تلــك الحياة . والله يريدنا ان ندرك هذا . وهو يريد اننا حتى عندما نتناول خبزنا اليومي نعترف بانه هو العامل ويمكن ان هذا يجعلنا فى شركة اوثق معــه

بواسطة شرائع الله فى الطبيعة نعلــم ان التأثير يتبع السبب بتأكيد ويقين لا يتغير . فالحصاد يشهد للزرع . وهنا لا يسمح بأي ادعاء . فقد يخدع الناس بني جنسهم وقد يظفرون بالمديح ويحصلون على مكافأة لأجل الخدمة التي لم يؤدوها . ولكن لا يوجد خداع فى الطبيعة ولا يمكن ان يكون . فالفلاح غير الامين يصدر عليه الحصاد حكما بالادانة . وهذا يصدق باسمى معنى ايضــا فى المجــال الروحي . ان الشر ينجح فى المظهر فقط ولكــن ليس فى

الواقع او الحقيقة . فالطفل الذي يلعب ويتراخى ويتهرب من المدرسة ، والشاب الذي هو كسول فى دراسته والكاتب او التلميذ تحت التمرين فى صناعته الذي يهمل فى خدمة مصالح مستخدمه ، والرجل فى اي عمل او وظيفة الذي هو غير امين لأسمى التزاماته قد يخدع نفسه بأنه طالما كان الخطأ مستورا فهو يكسب ميزة . ولكن الامر ليس كذلك . فهو انما يخدع نفسه . ان حصاد الحياة هو الخلق وهذا ما يقرر المصير لهذه الحياة وللحياة الاخرى

ان الحصاد هو تكاثر البذار الذي زرع . فكل بذرة تنتج ثمرا من نوعها . وهكذا الحال بالنسبة الى سجايا الخلق الذي نحتضنه . فالانانية وحب الذات والاعتداد بالنفس تتوالد وتتكاثر ، والنهاية هي التعاسة والهلاك « لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادا. ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة ابدية » (غلاطية ٦ : ٨) . اما المحبة والعطف والرفق فتثمر ثمر البركة ، حصادا لا يفنى

فى الحصاد تتضاعف البذرة . فحبة الحنطة الواحدة اذ تتكاثر عن طريق زرعها مرارا قد تملأ قطعة ارض كبيرة بالحزم الجميلة الغالية الذهبية . وكذلك يمكن ان يمتد تأثير حياة واحدة وربما تأثير عمل واحد

ما اعظم واكثر اعمال المحبة التي حفزت الناس عليها مدى القرون الطويلة ذكرى قارورة الطيب التي كسرت لاجل تطييب المسيح ! وما اكثر العطايا التي لا تحصى التي

اتي بها الى ملكوت المخلص عن طريق التبرع الذي قدمته تلك الارملة الفقيرة المجهولة الاسم والذي يبلغ « فلسين قيمتهما ربع » ! (مرقس ١٢ : ٤٢)

حيــاة عـــن طريـق المــوت

ان درس القاء البذار يعلمنا السخاء . « من يزرع بالشح فبالشح ايضـا يحصد . ومـن يزرع بالبركات فبالبركات ايضا يحصد » (٢كورنثوس ٩ : ٦)

يقول الرب : « طوباكم ايها الزارعون على كل المياه » (اشعياء ٣٢ : ٢٠) . ان الزرع على كل المياه معناه اننا نقدم عطايانا اينما دعت الحاجة . ولكن هذا لن تكون نهايته الفقر لان « من يزرع بالبركات فبالبركات ايضا يحصد » ، فاذ يلقي الزارع البذار بعيدا فهو انما يزيده ويضاعفه . وهكذا اذ نوزع بركاتنا فنحن نزيدها . ان وعد الله يحقق ويضمن ما يكفي حتى نواصل العطاء

زد على هذا فنحن اذ نوزع بركات هذه الحياة فان الشكر فى قلوب متناوليها يعد القلب لقبول الحق الروحي فيجمع حصاد للحياة الابديـة

ان المخلص يرمز بواسطة القاء البذار فى الارض الى تضحيته وذبيحته لاجلنا . فهو يقول : « ان لم تقع حبة الحنطة فى الارض وتمت فهي تبقى وحدها . ولكن ان ماتت تأتي بثمر كثير » (يوحنا ١٢ : ٢٤) . انما فقط عن طريق ذبيحة المسيح « الحبة » امكن ان يأتي ثمر ملكوت الله .

وطبقا لقوانين مملكة النبات ـ وهذا القانون بالذات نجد ان الحياة هي نتيجة موتـه

وكذلك مع جميع من يشمرون كخدام مع المسيح . فيجب ان تتلاشى محبة الذات والمصلحة الذاتية ، والحياة يجب ان يلقى بها فى اثلام حاجـة العالم . ولكن قانون التضحية هـو قانون حفظ النفس . ان الفلاح يحفظ حنطته بإلقائها بعيدا . وهكذا فالحياة التي ستحفظ هي التي تعطي بسخاء فى خدمة الله والانسان

ان الحبة تموت لتخرج الى حياة جديدة . وفى هذا نتعلم درس القيامة . ان الله يقول عن جسم الانسان الذي يدفن ليتعفن فى التراب : « يُزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد . يزرع فى هوان ويقام فى مجد . يزرع فى ضعف ويقام فى قوة » (١كورنثوس ١٥ : ٤٢ و ٤٣)

واذ يحاول الوالدون والمعلمون ان يعلموا هذه الدروس يجب ان يجعلوا العمل تطبيقيا . فليعد الاطفال انفسهم الارض ويلقوا البذار . فاذ يشتغلون فأن الاب او المعلم يستطيع ان يوضح بستـان القلب بالبذار الصالحـة او الرديئة التي تزرع فيه ، وانه كما يجب اعداد البستان للبذار الطبيعية كذلك يجب اعداد القلب لقبول بذار الحق. واذ تلقى البذرة فى الارض يمكنهم ان يعلموا درس موت المسيح ، واذ يطلع النبات يعلمونهم درس القيامة . واذ ينمو النبات يمكن متابعة المطابقة بين الزرع الطبيعي والزرع الروحـي

ويجب ان يتعلم الشباب بكيفية مماثلة . فيمكن تعلم دروس مستمرة من حرث الارض . لا يمكن ان احدا يظن ان قطعة ارض غير محروثة يمكن ان تأتي بحصاد . فيجب المثابرة فى العمل والاجتهاد فى اعداد الارض والقاء البذر والعناية بالمحصول . وكذلك الحال فى الزرع الروحي . ان حديقة القلب يجب ان تزرع . والارض يجب حرثها بالتوبة . والاعشاب الرديئة التي تخنق البذار الصالح يجب اقتلاعها . وكما ان الارض التي كانت الاشواك تملأها قبلا يمكن تهذيبها بالعمل الجدي ، فكذلك اميال القلب الشريرة يمكن الانتصار عليها بواسطة بذل المسعى الجدي باسم المسيح وقوته

وفى زرع الارض سيجد الخادم المفكر ان الكنوز التي قلما كان يحلم بها تنفتح امامه . لا يمكن لانسان ان ينجح فى الزرع او فى فلاحة البستان دون أن يلتفت الى القوانين المتضمنة فيها. فيجب دراسة الحاجات الخاصة بكل صنف من اصناف النبات . والاصناف المختلفة تحتاج الى انواع مختلفة من التربة ومن الزرع ، والامتثال للقوانين التي تحكم كلا منها هو شرط النجاح . والعناية المطلوبة فى نقل النبات بحيث انه حتى ولا عرق واحد من عروق جذر النبات يضغط عليه او يوضع فى غير موضعه ، والعناية بالنباتات الصغيرة والتقليم والري والوقاية من الصقيع فى الليل والشمس فى النهار ، واستبعاد الاعشاب والمرض والآفات الزراعية ، والتربية والتنظيم فضلا عن كونهما يعلمان دروسا هامة عن نمو الخلق فان العمل نفسه وسيلة

للنضوج . وفى غرس الحرص والصبر والالتفات الى الامور الصغيرة واطاعة القانون ـ هذا يعطي تربية جوهرية جداً. والاحتكاك المستمر بسر الحياة وجمال الطبيعة وكذلك الرقة المطلوبة فى خدمة هذه الاشياء الجميلة التي خلقها الله يؤول الى ايقاظ العقل وتهذيب الخلق والسمو به ، والدروس التي تعلّم تعد الخادم ليتعامل مع العقول باكثر نجاح



أمثال أخرى

ان قوة الله الشافية تتغلغل فى كل الطبيعة . فاذا قطعت شجرة ، او اذا جرح انسان او كسر عظم منه ، فالطبيعة تبدأ فى معالجة الضرر . بل حتى قبلما تطرأ حاجة فالعوامل الشافية هي على اتم استعداد ، وحالما يجرح جزء فكل قوة تعكف على عمل الشفاء . وهذا ينطبق ايضا على الناحية الروحية. فقبلما خلقت الخطية الحاجة اعد الله العلاج . فكل نفس تسلم للتجربة يجرحها العدو ويسحقها ، ولكن اينما توجد الخطية يوجد المخلص . ان عمل المسيح هو ان يشفي المنكسري القلوب وينادي للمأسورين بالاطلاق ... ويرسل المنسحقين فى الحرية (لوقا ٤ : ١٨)

ونحن علينا أن نتعاون فى هذا العمل. « ان انسبق انسان فأخذ فى زلة ما فاصلحوا . . . مثل هذا » (غلاطية ٦ : ١). ان الكلمة المترجمة هنا « اصلحوا » معناها ان

نرجع العظم المخلوع الى موضعه. ما اعظم هذه من استعارة منبهة لها مغزاها ! فالذي يسقط فى خطإ او خطية تنخلع صلته بكل ما حوله. قد يعرف خطأه ويمتلىء قلبه بالندامة ولكنه لا يستطيع اصلاح نفسه. فهو فى حالة ارتباك وحيرة منهزم وعاجز. فيجب رده وشفاؤه واقامته من جديد . « اصلحوا انتم الروحانيين مثل هذا » انما المحبة الفائضة من قلب المسيح هي وحدها التي تستطيع ان تشفي. وذاك الذي تفيض تلك المحبة فى قلبه كما تجري العصارة فى الشجرة او كما يجري الدم فى الجسم هو وحده الذي يستطيع ان يشفي النفس الجريحة

ان عوامل المحبة لها قوة عجيبة لانها عوامل إلهية. الجواب اللين الذي « يصرف الغضب » والمحبة التي « تتأنى وترفق » والمحبة التي « تستر كثرة من الخطايا » (امثال ١٥ : ١ ؛ ١كورنثوس ١٣ : ٤ ؛ ١بطرس ٤ : ٨) — لو تعلمنا الدرس فما كان اعظم القوة التي تمنح لحياتنا للشفاء ! وما اعظم ما كانت تتبدل الحياة ، وكم كانت الارض تصير صورة طبق الاصل وعربونا للسماء !

هذه الدروس الثمينة يمكن تعليمها ببساطة عظيمة بحيث يفهمها حتى الاطفال الصغار. ان قلب الطفل لين ومن السهل التأثير عليه ، وعندما نرجع نحن الكبار ونصير « مثل الاولاد » (متى ١٨ : ٣) ونتعلم بساطة المخلص ولطفه ومحبته الرقيقة فلن نجد صعوبة فى ملامسة قلوب الصغار وتعليمهم خدمة شفاء المحبة

113,114

ان الكمال يوجـد فى اصغر اعمـال الله كما يوجـد فى اعظمها. فاليد التي علقت العوالم فى الفضاء هي اليد التي تشـكل وتنسـق زنابق الحقـل. افحص اصغر الزهـور وابسط الزهـور النامية على جانب الطريق تحت المجهـر ولاحظ فى كل اجزائها الجمال والكمال الفائقين. وكذلك فى احقر ُقرعـة يمكن ان يوجد الجمـال الحقيقي ، فأبسط الواجبات متى عملت بمحبة وامانة هي جميلة فى نظر الله. فالاهتمام بالاشياء الصغيرة بكل امانة وخلوص نية هـذا يجعلنا عاملين معه وهكذا نظفر بمديح وثناء ذاك الذي يرى ويعرف الكل

ان قوس قزح التي ُترسم على دائرة السموات مـن اقصائها الى اقصائها بقوس نورها تكـون « ميثاقا ابديا بين الله وبين كل نفس حية » (تكوين ٩ : ١٦). وقوس قـزح المحيطة بالعرش الذي فى السماء هي ايضا علامـة لاولاد الله عن عهد سلام

وكما ان القوس التي فى السحاب تنتج من اتحاد نور الشمس بالمطر كذلك القوس التي فوق عرش الله ترمز الى اتحـاد رحمته مع عدلـه. ان الله يقول النفس الخاطئة التائبة : « قد وجدت فدية » (ايوب ٣٣ : ٢٤)!

« كما حلفت ان لا تعبر بعد مياه نوح على الارض هكذا حلفت ان لا اغضب عليكِ ولا ازجركِ. فان الجبال تزول والآكام تتزعزع اما احساني فلا يزول عنكِ وعهد سلامي لا يتزعزع قال راحمك الرب » (اشعياء ٥٤ : ٩ و ١٠)

رســالة الكواكب

ثم ان الكواكب لها هي ايضا رسالة فرح لكل انسان. ففي تلك الساعة التي تجيء على الجميع حين يكون القلب خائرا وتضغط عليه التجربة بكـل قوتهـا وعندما تبـدو العوائق واذا هي كأداء لا يمكن تخطيهـا وتبـدو اهداف الحياة مستحيلة التحقيق ووعودها الجميلة كتفاح سدوم ، اذاً فاين توجد شجاعة وثبات كاللذين يوجدان فى الدرس الذي قد امرنا الله ان نتعلمه من الكواكب فى مسيرها دون ان يزعجها شيء ؟

« ارفعوا الى العلاء عيونكم وانظروا من خلق هذه ، من الذي يُخرج بعـدد جندها يدعـو كلها باسماء . لكثرة القوة وكونه شديد القدرة لا يُفقـد احـد. لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا اسرائيل قـد اختفت طريقي عن الرب وفات حقي الهي. اما عرفت ام لم تسمع. اله الدهر الرب خالق اطراف الارض لا يكـل ولا يعيا . ليس عن فهمه فحص. يعطي المعيي قدرة ولعديم القوة يكثر شدة » « لا تخف لاني معك. لا تتلفت لاني الهك. قد ايدتك واعنتك وعضدتك بيمين بري » « انا الرب الهك المسك بيمينك القائل لك لا تخف انا اعينك » (اشعياء ٤٠ : ٢٦ ــ ٢٩ ؛ ٤١ : ١٠ و ١٣)

ان النخلة مع ان الشمس المحرقة تضربها والعواصف الرملية العنيفة تهب عليها فانها تقف خضراء يانعة ومزدهرة ومثمرة فى وسـط الباديـة. ان جذورها تغتـذي بميـاه الينابيع الحية . والاكليل الاخضر التي يتوج راسها يُرى

من بعد فى السهل الملفوح الموحش .، فالسائح الموشك على الموت يحث خطاه المتخاذلة ليصل الى الظل الرطب والماء المحيي

وشجرة البادية هذه رمز لما يريد الله ان تكون عليه حياة اولاده فى هذا العالم . فعليهم ان يرشدوا النفوس المعيية التي يساورها القلق وعدم الراحة وهي موشكة على الهلاك فى برية الخطية ، يرشدونها الى الماء الحي. فعليهم ان يرشدوا بني جنسهم الى ذاك الذي يقدم الوعد القائل : « ان عطش احد فليقبل اليّ ويشرب » (يوحنا ٧ : ٣٧)

ان النهر الواسع العميق الذي يقدم طريقا للتجارة والسفر بين الامم يقدره الناس على انه منفعة تشمل العالم ، ولكن ماذا عن الجداول الصغيرة التي تساعد فى تكوين هذا النهر العظيم ؟ لولاها لاختفى النهر . فنفس وجوده موقوف عليها . وهكذا الناس الذين يدعون ليكونوا قادة فى عمل عظيم يكرمون ويمجدون كما لو ان نجاحه يعزى اليهم وحدهم ، ولكن ذلك النجاح احتاج الى التعاون الامين من خدام ادنى منه مقاما لا يكاد يحصى عديدهم — وهم خدام لا يعرف العالم شيئا عنهم . فالواجبات التي لا تظفر بالمديح ، والعمل الذي لا يعترف به هو من نصيب معظم الكادحين فى العالم . وكثيرون غير قانعين بهذا النصيب . فهم يحسون بان الحياة قد ذهبت هباء . ولكن الجدول الصغير الذي يجري فى سكون فى وسط الاحراش والمراعي حاملا معه الصحة والخصب والجمال هو نافع فى طريقته كالنهر الكبير تماما . وفى المساهمة فى حياة

النهر فهو يساهم فى عمل ما لم يكن بمفرده يستطيع ان يحققـــه

هذا درس يحتـــاج كثيرون الى تعلمه . ان النـــاس يؤلهون المواهب ويمجدونها وهـــم يتحرقون شوقا الى المراكز الممتازة المرموقة . وكثيرون جدا لا يريدون ان يفعلوا شيئا ما لم يعترف بهم الناس كقادة وكثيرون جدا يجب ان يتغنى الناس بمديحهم والا فلا يهتمون بالعمل . فالذي نحتاجه هو ان نتعلم الامانة فى ان نحسن استخدام القوى والفرص المعطاة لنا وان نرضى ونقتنع بالنصيب الذي تحدده لنـــا السمـــاء

درس فى الثقـــة

« فاسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء فتخبرك ... ويحدثك سمك البحر » « اذهب الى النملة ... تأمل طرقها » ، « انظروا الى طيور السماء » « تأملوا الغربان » (ايوب ١٢ : ٧ و ٨ ؛ امثال ٦ : ٦ ؛ متى ٦ : ٢٦ ؛ لوقا ١٢ : ٢٤)

يجب علينا لا ان نخبر الطفل عن خلائق الله وحسب ، فالبهائم نفسها يجب أن تعلم الطفل . فالنمل يعلم دروس العمل الدؤوب فى صبر والمثابرة فى تخطي العقبات ، وعن العناية بالمستقبل . والطيور تعلمنا عن درس الثقة الحلوة . ان اباذا السماوي يدبر لها طعامها انمـــا عليها ان تجمع طعامها ، وعليها ان تبني اعشاشها وتربي صغارها . انها

فى كل لحظة تتعرض للاعداء الذين يطلبون اهلاكها . ومع ذلك فبأي فرح تباشر عملها ! وما اعظم الفرح الذي يشيع فى اغاريدها الصغيرة !

وما اجمل ما يصف به المرنم العناية التي بها يرعى الله الخلائق التي تسكن فى الغابات . « الجبال العالية للوعول الصخور ملجأ للوبار » (مزمور ١٠٤ : ١٨) . انه يرسل ينابيع الماء لتجري بين الاكام حيث يوجد مسكن الطيور ، و « من بين الاغصان تسمع صوتا » (مزمور ١٠٤ : ١٢) . وكل الخلائق التي تسكن فى الغابات والآكام هي جزء من بيته العظيم . انه يفتح يده فيشبع « كل حي رضى » (مزمور ١٤٥ : ١٦)

ان النسر الساكن فى جبال الالب احيانا تسقطه العاصفة الى طريق ضيق بين الجبال . ثم ان السحب التي تسوقها العواصف تحبس هذا الطائر الجبار الساكن فى الغابات ، وتلك السحب المظلمة تباعد ما بينه وبين المرتفعات التي تنيرها الشمس حيث جعل مسكنه . وجهوده التي يبذلها لينجو تبدو عديمة الجدوى . فيندفع هنا وهناك وهو يضرب الهواء بجناحيه القويين ويوقظ سكون الجبال بصدى صرخاته . واخيرا فبزعقة الانتصار ينطلق الى فوق ، واذ يخترق السحب يعود مرة اخرى الى حيث نور الشمس الصافي تاركا الظلام والعواصف فى الحضيض . وهكذا نحن قد تكتنفنا الصعوبات والمفشلات والمخاوف والظلام . فالكذب والمصائب والظلم قد تحبسنا ،

وتوجد غيوم لا نستطيع ان نبددها ، وعبثا نصارع ونكافح الظروف . ولا يوجد غير طريق واحد للنجاة . ان الطل والضباب ينزلان على الارض ، وفوق السحب يضيء نور الله . ونحن يمكننا ان نصعد ونرتفع الى نور شمس محضره على اجنحة الايمان

كثيرة هـي الدروس التي يمكننا ان نتعلمها هكذا . فنتعلم درس الاعتماد على الذات مـن الشجرة التي اذ تنمو وحدها في السهل او عند سفح الجبل تمد اصولها في اعماق الارض وبقوتها العابسة تتحدى العاصفة . وان قوة التأثير الباكـر اذ تلوى الشجرة وهي بعـد صغيرة ويشوّه جذعها ، لا يمكن لاية قوة ارضية بعد ذلك ان تعيد اليها تناسقها وجمالها الذي ضاع . ونتعلم سر الحياة المقدسة من سوسنة الماء التي وهي تنبت في بركة موحلة وهي محاطة بالاعشاب والاقذار تمد جذعها المجوف الى الرمال النقية في الاسفل واذ تستمد من هناك حياتها ترفع ازهارها العبقة الى النور في طهارة ونقاء لا تشوبهما شائبة

وهكذا كما يحصّل الاولاد والشباب معرفة الحقائق من المعلمين والكتب المدرسية، ليتعلموا ان يقتبسوا دروسا ويدركوا الحق لانفسهم . ففي عنايتهم بالبستان اسألوهم عما يتعلمونه من امر العناية بأغراسهم . وعندما يتطلعون الى منظر حقل جميل اسألوهم لـماذا البس الله الحقول والغابات بمثل تلك الالوان المتعددة الجميلة . لماذا لـم يكن كل شيء بلون احمر داكن كئيب ؟ وعندما يجمعون

الازهار دعوهم يفكرون فى السبب الذي لاجله ابقي جمال هذه الاشياء التي كانت قبلا فى جنة عدن . وعلموهم ان يلاحظوا البراهين الظاهرة فى كل مكان فى الطبيعة عن تفكير الله فينا ومطابقة كل الاشياء لحاجاتنا وسعادتنا

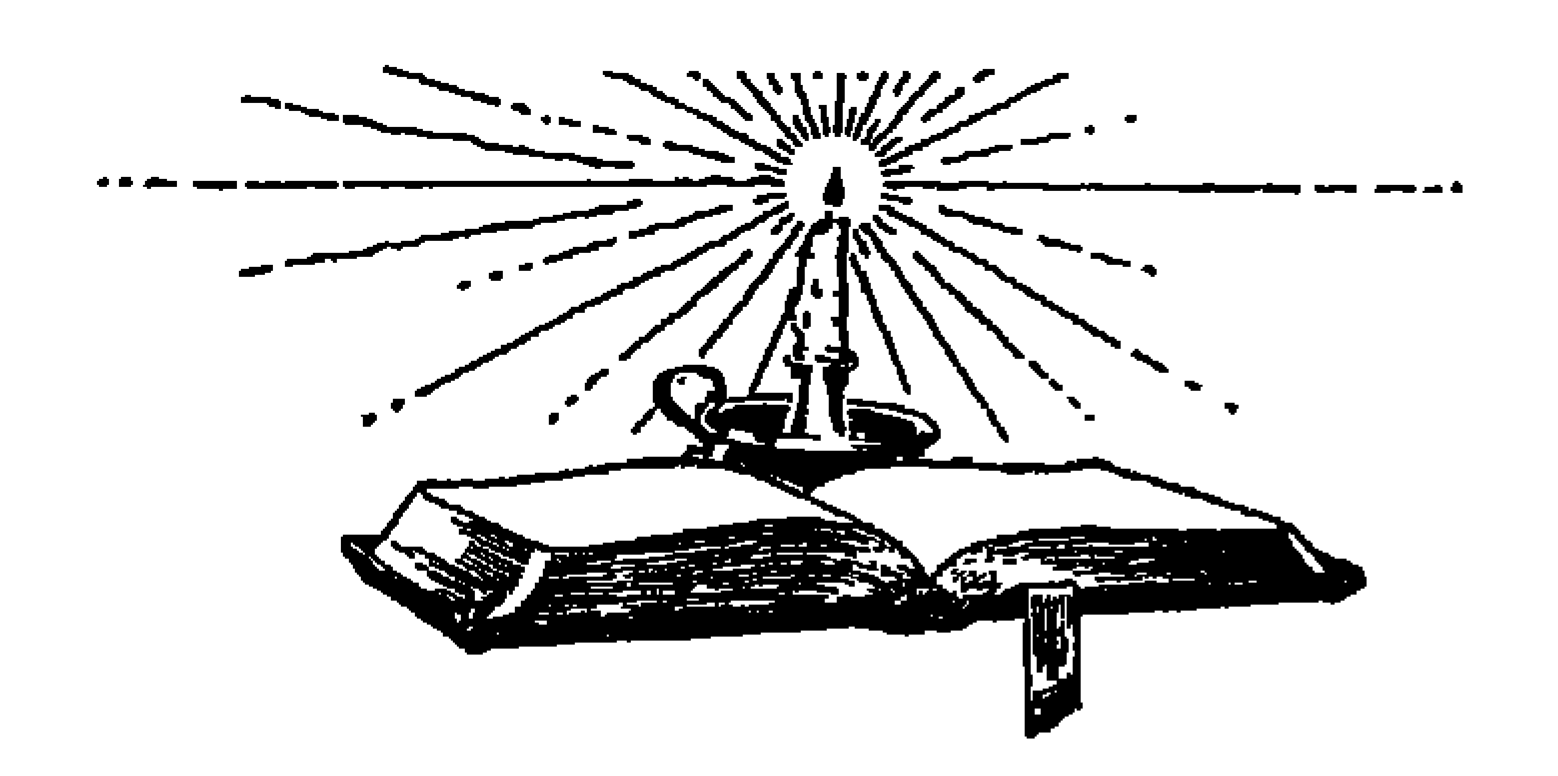
ان من يلاحظ فى الطبيعة عمل يدي الآب السماوي . وفى خصوبة الارض وجمالها يقرأ كتابة يد الآب ، هو وحده الذي يتعلم من اشياء الطبيعة دروسها العميقة جدا ويقبل اسمى خدماتها . وهو وحده الذي يستطيع ان يقدر تقديرا كاملا معنى ودلالة التل والوادي والنهر والبحر والذي ينظر اليها على انها تعبير عن فكر الله واعلان عن الخالق

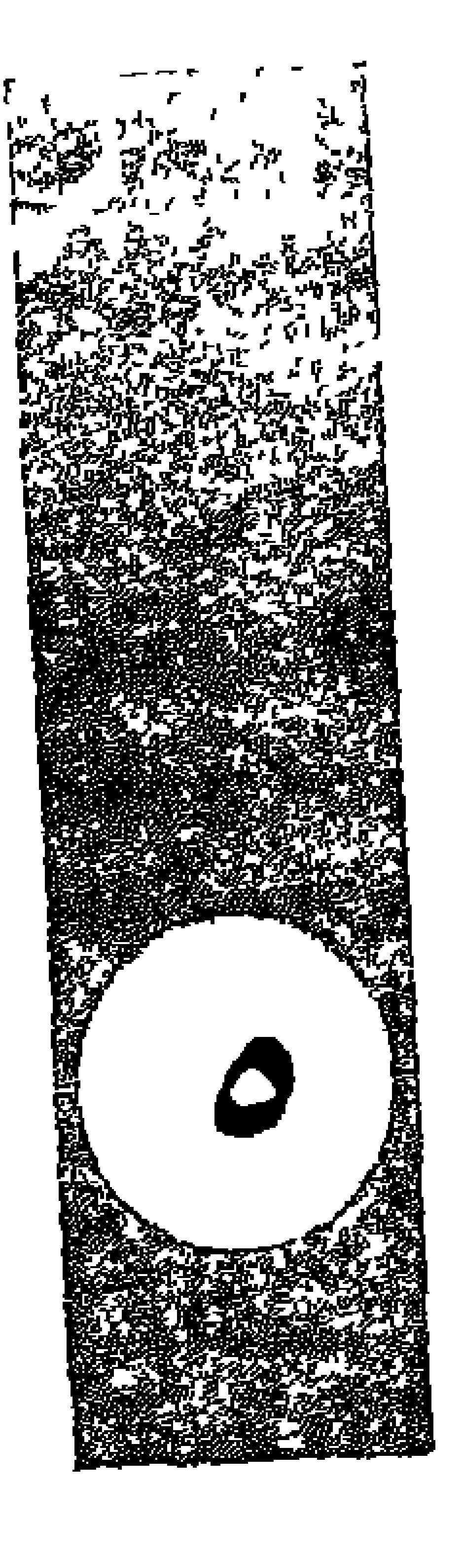
ان امثلة كثيرة من الطبيعة يستعملها كتبة اسفار الكتاب ، ونحن اذ نلاحظ امور العالم الطبيعي سنكون قادرين بارشاد الروح القدس على ان ندرك ادراكا كاملا دروس كلمة الله . وهكذا تصير الطبيعة خزانة لكلمة (الالهية)

ويجب تشجيع الاولاد على ان ينقبوا فى الطبيعة عن الاشياء التي تشرح تعاليم الكتاب وليتتبعوا فى الكتاب الصور المقتبسة من الطبيعة . عليهم ان يفتشوا فى الطبيعة وفى الاسفار المقدسة عن كل شيء يرمز الى المسيح ، وكذلك عن كل الاشياء التي استخدمها فى شرح الحق . وهكذا يمكنهم ان يتعلموا ان يروه فى الشجرة وفى الكرمة وفى الوردة وفى السوسنة ، فى الشمس وفى النجم . ويمكنهم ان يتعلموا سماع صوته فى اغرودة الطيور وفى حفيف

اوراق الاشجار وفى هزيم الرعد وفى موسيقى مياه البحر . وكل ما فى الطبيعة سيردد لهم دروسه الثمينة

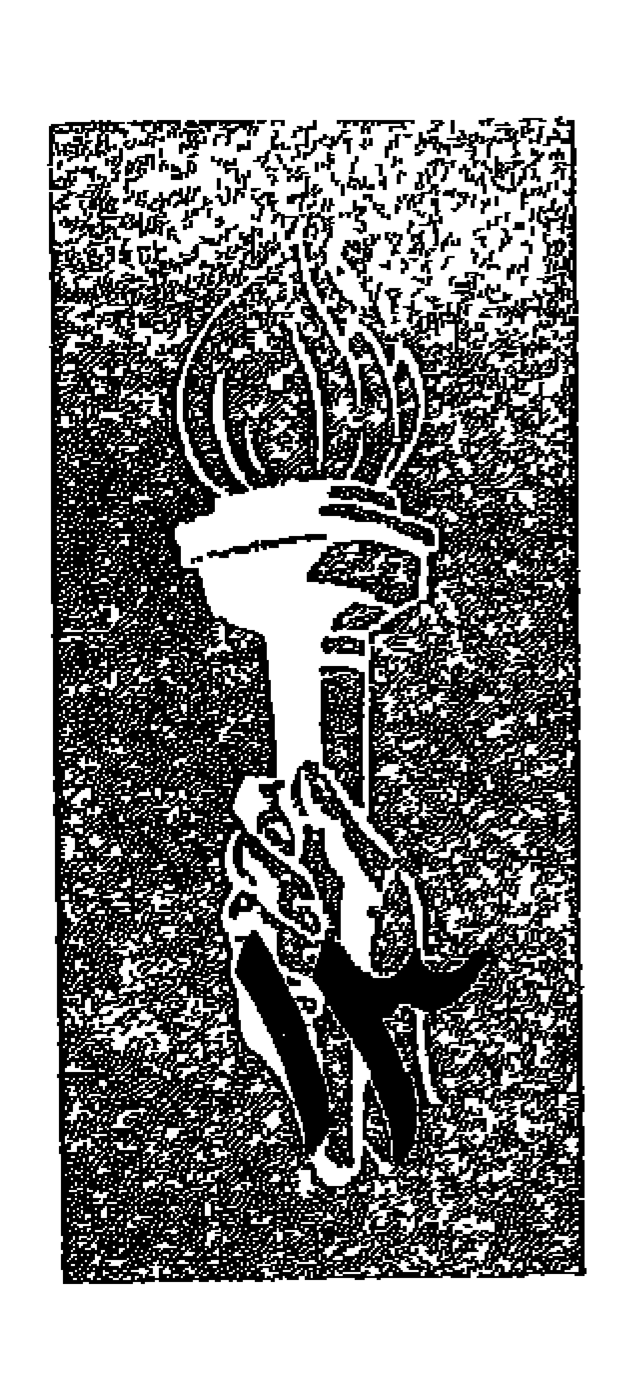
فالذين يتعرفون بالمسيـح هكـذا لن تكون الارض بالنسبة اليهم مكانا موحشا ومقفرا ، بل ستكون بيت ابيهم المملوء بحضور من قد عاش بينهم قبلا





القسم

الكِتَابُ المقَدَّسْ
كَمُربٍّ



الثقافة العقلية والروحية

ان قانون الله هو ان القوة تكتسب بواسطة المجهود لاجل العقل والنفس كما لاجل الجسم . والتمرن هو الذي ينمي . ووفقا لهذا القانون اعد الله فى كلمته الوسيلة لاجل النضوج العقلي والروحي

والكتاب المقدس يشتمل على كل المباديء التي يحتاجها الناس للفهم لكي يكونوا مؤهلين لهذه الحياة وللحياة العتيدة . وهذه المباديء يمكن للجميع ان يفهموها . ولا يمكن أن انسانا له روح تقدّر تعليمه يستطيع ان يقرا فصلا واحدا من الكتاب الا ويكتسب منه فكرة ما تساعده وتعينه . ولكن اثمن ما فى الكتاب من تعاليم لا يمكن اجتناؤها بالدراسة التي تكون بمحض الصدفة او الدراسة المتقطعة . فنظام الحق العظيم الذي فيه غير مقدم بحيث يفهمه القاريء المتسرع العديم الاكتراث . فكثير من كنوزه مخبوء فى الاغوار تحت السطح الظاهر ولا

يمكن الحصول عليه بغير التنقيب باجتهاد والسعي المتواصل . والحقائق التي يتكون من مجموعها كل عظيم يجب التنقيب عنها وجمعها معا ، « هنا قليل هناك قليل » (اشعياء ٢٨ : ١٠)

فاذ ينقّب عنها هكذا وتُجمع معا فسيكتشف انها متوافقة مع بعضها البعض توافقا كاملا . فكل انجيل هو ملحق للاناجيل الاخرى وكل نبوة هي شرح للاخرى ، وكل حق هو تطور واكتمال لحق آخر . فرموز التدبير اليهودي يوضحها الانجيل ، ولكل مبدإ من مبادىء كلمة الله مكانه ، وكل حقيقة لها مقامها . والبناء الكامل في رسمه وفي انجازه يحمل الشهادة لمبدعه . فمثل هذا البناء لا يمكن لفكر غير فكر الله السرمدي غير المحدود ان يفهمه او يصنعه

وفي التنقيب في اجزاء الكتاب المختلفة ودراسة علاقتها ببعضها فان اسمى قوى العقل البشري تستدعي لتقوم بنشاط عظيم وجبار . ولا يمكن لانسان ان يشتغل في تلك الدراسة دون نصوج في قوى عقله

هذا وان القيمة العقلية لدراسة الكتاب لا تنحصر في استخراج الحق وجمعه معا ، بل هي تنحصر ايضا في المجهود المطلوب لاجل فهم المواضيع المقدمة . فالعقل المشغول في المسائل العادية العامة وحدها يمسي عاجزا وواهنا . فاذا لم يُجهد في فهم الحقائق الجليلة البعيدة المدى فبعد قليل تضيع قوته على النمو . فلا شيء يمكن ان يعدل دراسة كلمة الله كحارس وواقٍ من هذا

الانحطاط . ان الكتاب المقدس هو افعل من كل كتاب آخر او كل الكتب الاخرى مجتمعة معا كوسيلة للتربية العقلية . فعظمة موضوعاته والبساطة الجليلة التي لاقواله وجمال صوره توقظ الافكار وتسمو بها اكثر مما يستطيع اي شيء آخر . ولا توجد دراسة اخرى تستطيع ان تمنح القوة العقلية كما يستطيع الاجتهاد فى تفهم حقائق الاعلان العجيبة . فاذ يلامس العقل افكار الله غير المحدود لا بد ان يتسع ويتقوى

بل ان قوة الكتاب المقدس فى انماء الطبيعة الروحية هي اعظم من ذلك بكثير . فالانسان الذي خُلق ليكون فى شركة مع الله لا يستطيع بغير تلك الشركة ان يعثر على حياته ونضجه الحقيقيين. واذ قد خُلق ليجد فى الله اسمى افراحه فانه لا يستطيع ان يجد فى اي شيء آخر ما يمكن ان يُشبع ويسكّن اشواق القلب ويشبع جوع النفس وعطشها . فالذي يدرس كلمة الله باخلاص وبروح قابلة للتعلم سعيا لتفهم حقائقها فسيصير على اتصال بمؤلف الكتاب ، ولن يكون هنالك حد تقف عنده امكانيات نموه ما لم يكن هو راغبا عن ذلك ونافرا منه

ان الكتاب المقدس فى دائرة اسلوبه الواسعة وموضوعاته فيه ما يلذ كل عقل ويؤثر فى كل قلب . ففيه يوجد تاريخ قديم جدا وتواريخ حياة هي اصدق من كل ما كتب ومبادىء للحكم لاجل السيادة على الدولة ، ولاجل تنظيم العائلة — مبادىء لا يمكن للحكمة البشرية ان تباريها .

124,125

وهو يحتوي على فلسفة عميقة جداً ، وفيه شعر من احلى واروع ما كتبه الشعراء ، مما يثير الشجون والانفعالات . ان اسفار الكتاب المقدس هي افضل فى قيمتها من كل ما قد انتجته قرائح الكتّاب البشريين بما لا يقاس ؛ حتى لو نظرنا اليه هكذا ، اما عن مجاله الاوسع بما لا يقاس ، وقيمته العظيمة الى اقصى حد فذلك يكون حين تنظر الى تلك الاسفار فى علاقتها بالفكرة المركزية السامية . فاذ تنظر اليها فى نور هذه الفكرة فكل بحث يكون لـه معنى جديد . ففي الحقائق المشروحة ابسط شرح توجد مبادىء عالية علو السماء وتشمل عالم الابد

والموضوع الرئيسي فى الكتاب ، الموضوع الذي يتجمع حوله كل موضوع آخر فى الكتاب هو تدبير الفداء ، واعادة صورة الله الى نفس الانسان . ومن اول خبر عن الرجاء فى الحكم الذي نطق به فى عدن الى ذلك الوعد الاخير المجيد المذكور فى سفر الرؤيا الذي يقول : « وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم » (رؤيا ٢٢ : ٤) فان عبء كل سفر وكل فصل او اصحاح من الكتاب هو الكشف عن هذا الموضوع العظيم وايضاحه ـ انهاض الانسان ـ وقدرة الله « الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح » (١ كورنثوس ١٥ : ٥٧)

فالذي يفهم هذا الفكر يجد امامه ميدانا للدرس لا حدود له . فعنده المفتاح الذي يفتح امامه كل خزانة كلمة الله

ان علم الفداء هو علم كل العلوم ، العلم الذي هو موضوع درس الملائكة وكل الخلائق فى العوالم غير الساقطة ، العلم الذي يشغل اهتمام ربنا ومخلصنا ، العلم الذي يدخل فى مقاصد فكر الاله السرمدي ـ « مكتوما فى الازمنة الازلية » (رومية ١٦ : ٢٥) ، العلم الذي سيكون موضوع تأمل ودراسة مفديي الله مدى اجيال الابد . هذه اسمى دراسة يمكن للانسان ان ينشغل بها . وهذه الدراسة دون كل دراسة اخرى تنشط العقل وتسمو بالنفس

« فضل المعرفة هو ان الحكمة تحيي اصحابها » . وقد قال يسوع : « الكلام الذي اكلمكم به هو روح وحياة » « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوك انت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي ارسلته » (جامعة ٧ : ١٢ ؛ يوحنا ٦ : ٦٣ ؛ ١٧ : ٣) .

ان القوة الخالقة التي اوجدت العوالم هي فى كلمة الله . وهذه الكلمة تمنح القوة وهي تلد حياة . وكل امر هو وعد . فاذ تذعن له الارادة وتقبله النفس فهو يجلب معه حياة الاله السرمدي . وهو يغير الطبيعة ويخلق النفس من جديد على صورة الله

واذ تُمنح الحياة هكذا فهي تحيا بنفس الكيفية : « بكل كلمة تخرج من فم الله » (متى ٤ : ٤) يحيا الانسان

ان العقل والنفس يبنيان بما يقتاتان به ، وعلينا نحن تقع مسؤولية ما نقيتهما به ، ففي مقدور كل واحد ان يختار الموضوعات والمباحث التي تشغل الافكار وتشكل الخلق . ان الله يقول عن كل انسان له امتياز الوصول الى

الكتب المقدسة : « اكتب له كثرة شرائعي » . « ادعني فاجيبك واخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها » (هوشع ٨ : ١٢ ؛ ارميا ٣٣ : ٣)

ان كل انسان اذ تكون كلمة الله بين يديه ، مهما يكن حظه فى الحياة يمكنه ان يعاشر من يختاره . فعلى صفحات الكتاب يمكنه ان يتحدث مع انبل وافضل بني الانسان ويمكنه ان يستمع لصوت الله السرمدي عندما يتحدث مع الناس . فاذ يدرس ويتأمل فى الموضوعات التي « تشتهي الملائكة ان تطلع عليها » (١ بطرس ١ : ١٢) يمكنه ان يتمتع بعشرتهم . ويمكنه ان يتبع خطوات المعلم السماوي ويصغي الى اقواله كما عندما كان يعلم على الجبل او السهل او البحر . ويمكنه وهو فى العالم ان يعيش فى جو السماء موزعا على الناس المحزونين والمجربين من ساكني الارض افكار الرجاء والاشتياق الى القداسة ، اذ يقترب اكثر فاكثر للشركة مع غير المنظور ، كذلك الذي فى سالف العصور كان يسير مع الله وكان يقترب اكثر فاكثر الى اعتاب عالم الابد حتى تفتح له الابواب ويدخل الى هناك . ولن يجد نفسه غريبا . فالاصوات التي تحييه هي اصوات القديسين الذين وان لم يرهم احد فقد كانوا عشراءه على الارض، الاصوات التي تعلم ان يميزها على الارض ويحبها . فالذي عاش فى شركة مع السماء عن طريق الكلمة لا يجد نفسه غريبا فى صحبته مع سكان السماء



العلم والكتاب المقدس

حيث ان سفر الطبيعة وسفر الاعلان يحملان نفس طابع العقل الكبير الجبار فلا يمكن الا ان يتكلما كلاما متناسقا ومتوافقا . انهما يشهدان لنفس الحقائق العظيمة باساليب ولغات مختلفة . ان العلم دائب ابدا على اكتشاف عجائب جديدة ولكنه لا يخرج من بحثه بشيء يمكن ان يضارب الاعلان الالهي او يناقضه لو فهم على حقيقته . ان سفر الطبيعة والكلمة المكتوبة كل منهما يريق نورا على الآخر . انهما يعرفاننا بالله اذ يعلماننا شيئا من النواميس التي يعمل بواسطتها

والاستدلالات المقتبسة خطأ من الحقائق الملاحظة في الطبيعة ادت مع هذا الى مناقضة وخلاف مزعوم بين العلم والاعلان الالهي ، وفي محاولة اعادة الانسجام والوفاق استخدمت تفسيرات للكتاب من شأنها ان تقوض وتدمر قوة كلمة الله . وقد ظن ان علم الجيولوجيا يناقض

التفسير الحرفي لما اورده موسى فى الكتاب عن الخليقة . وقد ادعى البعض ان تطور الارض من حالة التشويش والمادة التي كانت عليها قبل تكوينها كان يحتاج الى ملايين السنين . ولكي يتلاءم الكتاب مع اعلان العلم المزعوم هذا ادعوا ان ايام الخلق كانت حقبا كبيرة وغير محدودة بلغت آلاف ان لم يكن ملايين السنين

مثل هذا الاستنتاج لا داعي له اطلاقا . فقصة الكتاب هي على وفاق مع نفسها ومع تعليم الطبيعة . وهذا ما كتب فى الكتاب عن اليوم الاول المستخدم فى عمل الخلق : « وكان مساء وكان صباح يوما واحدا » (تكوين ١ : ٥) . وهذا هو نفس ما قيل عن كل من الايام الستة الاولى من ايام اسبوع الخلق . فالوحي يعلن ان كلا من هذه الفترات هو يوم يتكون من مساء وصباح ككل يوم آخر منذ ذلك الحين . وفيما يختص بعمل الخلق نفسه فشهادة الله هي هذه : « قال فكان . هو امر فصار » (مزمور ٣٣ : ٩) . فبالنسبة الى ذاك الذي استطاع ان يخلق عوالم لا تحصى فكم من الزمن يحتاج اليه لاجل تطوير الارض من حالة الفوضى ؟ فلكي نعلل عن اعماله هل نلتزم بأن نظلم كلمته ؟

صحيح ان الآثار والبقايا الموجودة فى الارض تشهد لوجود الناس والبهائم والنباتات التي كانت اكبر بكثير مما هو معروف اليوم . هذه يعتبر انها تبرهن على وجود الحياة النباتية والحيوانية قبل العصر الذي كتب فيه موسى تاريخ الخلق . ولكن فيما يختص بهذه الامور نجد ان تاريخ

الكتاب يقدم الايضاح الكافي . فقبل الطوفان كان نمو الحياة النباتية والحيوانية اسمى بما لا يقاس من كل ما قد عرف منذ ذلك الحين . فعند الطوفان تشقق وجه الارض وحدثت تغييرات ملحوظة ، وفي اعادة تكوين وجه الارض حفظت كثير من الدلائل على وجود الحياة قبل ذلك . فالغابات الشاسعة دفنت في جوف الارض في ايام الطوفان، وحيث انها استحالت الى فحم فهي تكوّن مناجم الفحم الواسعة وتنتج كميات من الزيت تعمل على راحتنا واسعادنا اليوم . فهذه الاشياء اذ تنكشف للنور هي شهود صامتة كثيرة جدا على صدق كلمة الله

وتوجد نظرية قريبة الشبه بهذه الخاصة بتطور الارض وهي تلك التي تنسب الى نوع من الجراثيم المتصاعدة والحيوانات اللافقرية وذوات الاربع في تطور الانسان الذي هو تاج مجد الخليقة

ولدى التأمل في الفرص المقدمة للانسان لاجل البحث والاستقصاء ، ومقدار قصر حياته ، ومحدودية مجال عمله ونشاطه ، وقصر بصيرته وانحسارها ، وتعدد وكثرة الاخطاء في تقديراته واستنتاجاته وعلى الخصوص ما يتعلق بالاحداث التي يظن انها سابقة لتاريخ الكتاب ، فما اكثر ما تعكس الاسقاطات والتنقيصات العلمية المزعومة ، تختصر او يلقى بها جانبا ، وبأي سرعة يحدث ان مدة تطور الارض المزعومة تزيد او تنقص من حين الى آخر بملايين السنين ، وكيف ان النظريات التي قدمها علماء

مختلفون تتطاحن احداهن مع الاخرى ـ فاذ نتأمل فى كل هذا ، هـل لاجـل امتياز تتبع تناسلنا مـن الجراثيم والحيوانات اللافقرية والقردة نرضى بأن ننبذ ظهريا عبارة الكتاب المقدس التي هي جليلة جدا فى بساطتها القائلة : « خلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه » ؟ (تكوين ١ : ٢٧) . وهل نرفض ذلك السجل الذي يتكلم عن سلالات الانسان ـ الذي هو افخر واسمى من كـل السجلات المحفوظة فى قصور الملوك ـ « بن آدم ابن الله » ؟ (لوقا ٣ : ٣٨)

ان كلا الاعلانين ، اعلان العلم واعلان اختبارات الحياة لو فهما فهما صحيحا يكونان على وفاق مع شهادة الكتاب المقدس لعمل الله الدائم فى الطبيعة

وفى المزمور الذي كتبه نحميا ترنم اللاويون قائلين : « انت هو الرب وحدك . انت صنعت السموات وسماء السموات وكل جندها والارض وكل ما عليها والبحار وكل ما فيها وانت تحييها كلها » (نحميا ٩ : ٦)

اما فيما يختص بهذه الارض فالكتاب يعلن ان عمل الخلق قد اكمل « الاعمال قد اكملت منذ تأسيس العالم » (عبرانيين ٤ : ٣) . ولكن قوة الله ما زالت تستخدم فى دعـم واسناد كـل مخلوقاته . فليس بسبب التركيب الميكانيكي الذي قد ادير مرة تسمـع النبضات وتتلاحق الانفاس واحد بعد الآخر بدافع قوة ذاتية ، فكل نسمة ، وكل خفقة فى القلب هي برهان على رعاية ذاك الذي به

130,131

نحيا ونتحرك ونوجد . فمن اصغر الهوام الى الانسان ، كل كائن حي يعتمد كل يوم على عنايتــه

« كلها اياك تترجى ... تعطيها فتلتقط . تفتح يدك فتشبع خيرا . تحجب وجهك فترتاع . تنزع ارواحها فتموت والى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق . وتجدد وجه الارض » (مزمور ١٠٤ : ٢٧ ـ ٣٠)

« يمد الشمال على الخلاء ويعلق الارض على لا شيء . يصر المياه في سحبه فلا يتمزق الغيم تحتها ... رسم حدا على وجه المياه عند اتصال النور بالظلمة » « اعمدة السموات ترتعد وترتاع من زجره . بقوته يزعج البحر ... بنفخته السموات مسفرة ويداه ابدأتا الحية الهاربة . ها هذه اطراف طرقه وما اخفض الكلام الذي نسمعه منه . واما رعد جبروته فمن يفهم » (ايوب ٢٦ : ٧ ـ ١٠ و ١١ ـ ١٤)

« الرب في الزوبعــة وفي العاصف طريقــه السحاب غبار رجليه » (ناحوم ١ : ٣)

ان القوة الجبارة التي تعمل في كل الطبيعة وتسند وتعضد كل الاشياء ليست، كما يدعي بعض رجال العلم ، مبدأ يسود على كل شيء او قوة محركة . الله روح ومع ذلك فهو كائن ذاتي لان الانسان جبل على صورته . وككائن ذاتي اعلن الله نفسه في ابنه . ويسوع الذي هو « بهاء مجده ورسم جوهره » (عبرانيين ١ : ٣) كان على الارض ووجد في الهيئة كانسان . وكمخلص شخصي جاء الى العالم ،

وكمخلص شخصي صعد الى العلاء ، وكمخلص شخصي يتشفع فى المواطن السماوية. فأمام عرش الله يخدم لاجلنا واحد « مثل ابن انسان » (دانيال ٧ : ١٣)

ان بولس الرسول اذ يكتب مسوقا بالروح القدس يعلن عن المسيح انه « الكل به وله قد خُلق . الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » (كولوسي ١ : ١٦ و ١٧) . ان اليد التي تسند العوالم فى الفضاء ، اليد التي تمسك كل الاشياء فى مسكونة الله فى نظام وتناسق وقوة لا تكل هي اليد التي سُمرت على الصليب لاجلنا

ان عظمة الله لا يمكننا ادراكها . « الرب فى السماء كرسيه » (مزمور ١١ : ٤) ومع ذلك فهو حاضر فى كل مكان بروحه . ان له معرفة وثيقة واهتماما شخصيا بكل عمل يديه

« من مثل الرب الهنا الساكن فى الاعالي الناظر الاسافل فى السموات وفى الارض » « اين أذهب من روحك ومن وجهك اين اهرب . ان صعدت الى السموات فانت هناك. وان فرشت فى الهاوية فها انت. ان اخذت جناحي الصبح وسكنت فى اقاصي البحر فهناك ايضا تهديني يدك وتمسكني يمينك » (مزمور ١١٣ : ٥ و ٦ ؛ مزمور ١٣٩ : ٧ ـ ١٠) . « انت عرفت جلوسي وقيامي . فهمت فكري من بعيد مسلكي ومربضي ذريت وكل طرقي عرفت . . . من خلف ومن قدام حاصرتني وجعلت عليّ يدك . عجيبة هذه المعرفة فوقي ارتفعت لا استطيعها » (مزمور ١٣٩ : ٢ ـ ٦)

ان خالق كل الاشياء هو الذي رسم المطابقة العجيبة بين الوسيلة والغاية ، والمؤونة للحاجة . انه هو الذي دبر في العالم المادي ان كل رغبة وشوق مغروس في النفس يجب اشباعه . وهو الذي خلق النفس البشرية بما فيها من قابلية لمعرفة والمحبة . وليس من دأبه ان يترك حاجات النفس دون اشباع . ولا يمكن لمبدإ لا يُدرك بالحواس او جوهر مبهم او مجرد الشرود ان يشبع حاجات واشواق الخلائق البشرية في هذه الحياة حياة الصراع مع الخطية والحزن والالم . لا يكفي ان نؤمن بالقانون والعنف ، وبالامور المجردة من العطف ولا نسمع ابدا الصرخة في طلب العون . اننا نحتاج الى ان نعرف عن ذراع قوية تسندنا وترفعنا ، نحتاج الى صديق سرمدي يشفق علينا . نحتاج الى ان نمسك بيد دافئة محبة والى قلب مفعم بالرقة والحنان . وهكذا اعلن الله عن نفسه في كلمته

ان من يتأمل ويدرس الطبيعة بتفكير عميق ويتفحص اسرارها سيعرف معرفة كاملة جهله وضعفه . وسيعرف أنه توجد اعماق ومرتفعات لا يستطيع الوصول اليها واسرار لا يمكنه اختراقها او سبر اغوارها ، وميادين رحبة للحق ممتدة امامه لم يدخلها احد. وسيكون مستعدا لان يقول ما قاله نيوتن : « يبدو لي انني اشبه طفلا على الشاطىء يجد الحصى والاصداف ، في حين ان الاوقيانوس العظيم الذي يمتد امامه لم يكتشفه احد »

ان الطلبة المتعمقين اكثر من غيرهم في العلم مضطرون

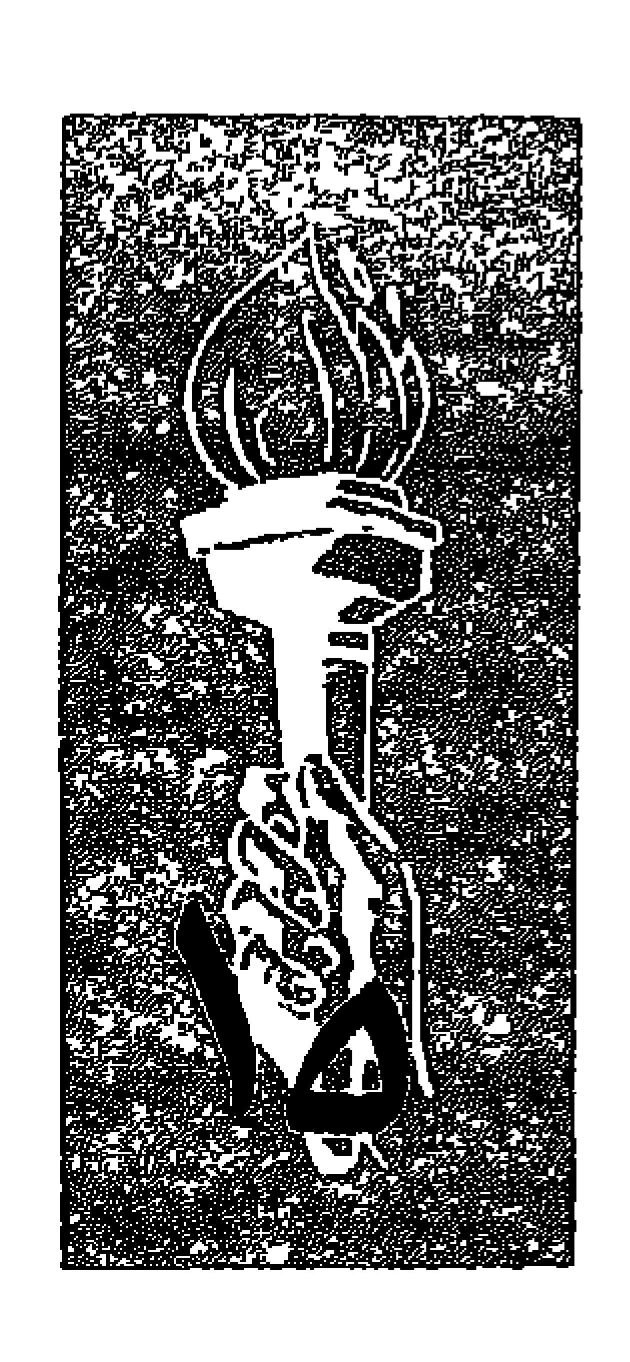
لان يلاحظوا فى الطبيعة عمل قوة لا محدودة. ولكن بالنسبة الى عقل الانسان وحده لا يمكن ان يكون تعليم الطبيعة الا متناقضا ومفشلا . انما فى نور الاعلان وحده يمكنه ان يقرأ قراءة صحيحة : « بالايمان نفهم » (عبرانيين ١١ : ٣)

« فى البدء ... الله » (تكوين ١ : ١) . هنا فقط يمكن للعقل فى تساؤله المشتاق وهو هارب كما هربت الحمامة الى الفلك ، ان يجد الراحة . ان المحبة اللامحدودة توجد فوق وتحت وفى الخلف جاعلة كل الاشياء تتمم « مسرة الصلاح » (٢ تسالونيكي ١ : ١١)

« لان اموره غير المنظورة ... مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته » (رومية ١ : ٢٠) . ولكن شهادتها لا يمكن ادراكها الا بواسطة مساعدة المعلم الالهي : « لان من من الناس يعرف امور الانسان الا روح الانسان الذي فيه . هكذا ايضا امور الله لا يعرفها احد الا روح الله » (١كورنثوس ٢ : ١١)

« واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق » (يوحنا ١٦ : ١٣) . انما فقط بمساعدة ذلك الروح الذي كان فى البدء : « يرف على وجه المياه ، » وبمساعدة ذلك « الكلمة » الذي : « كل شيء به كان » وذلك النور الذي : « ينير كل انسان آتيا الى العالم » يمكن تفسير شهادة العلم تفسيرا صحيحا . فبواسطة ارشادهم وحده يمكن ادراك اعمق الاسرار

انما فقط بواسطة ارشاد الرب العليم بكل شيء نستطيع بواسطة التأمل فى اعماله ان نفكر فى نفس افكاره



مبادئ العمل واساليبه

لا يوجد فرع من فروع العمل الشرعي الا ويقدم له الكتاب المقدس اعدادا جوهريا . فمبادئه عن الاجتهاد والامانة والاقتصاد والتعفف والطهارة هي السر فى نجاحه الحقيقي . فهذه المبادىء كما هي واردة فى سفر الامثال تكون خزانة للحكمة العملية . فأين يستطيع التاجر والصانع ومدير الاعمال فى اي مصلحة من مصالح العمل ان يجد كل منهم لنفسه او لمرؤوسه مبادىء مقررة افضل من هذه التي توجد فى كلام الحكيم حين يقول :

« ارأيت رجلا مجتهدا فى عمله . امام الملوك يقف لا يقف امام الرعاع » (امثال ٢٢ : ٢٩)

« فى كل تعب منفعة . وكلام الشفتين انما هو الى الفقر » (امثال ١٤ : ٢٣)

« نفس الكسلان تشتهي ولا شيء لها » « السكير

والمسرف يفتقران والنوم يكسو الخرق » (امثال ١٣ : ٤ ؛ ٢٣ : ٢١)

« الساعي بالوشاية يفشي السر. فلا تخالط المفتح شفتيه » (امثال ٢٠ : ١٩)

« ذو المعرفة يبقي كلامه » لكن « كل احمق ينازع » (امثال ١٧ : ٢٧ ؛ ٢٠ : ٣)

« لا تدخل فى سبيل الاشرار » « او يمشي انسان على الجمر ولا تكتوي رجلاه » (امثال ٤ : ١٤ ؛ ٦ : ٢٨)

« المساير الحكماء يصير حكيما » (امثال ١٣ : ٢٠)

« ذو الاصدقاء ينبغي ان يبدي الصداقة ورب صديق اقرب علاقة من الاخ » (امثال ١٨ : ٢٤) (طبعة سنة ١٨٧٨)

ان كل دائرة التزامنا لبعضنا البعض يجيبنا عليها قول المسيح : « فكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضا بهم » (متى ٧ : ١٢)

كم من الناس كان يمكن ان ينجوا من الافلاس والخراب لو انهم التفتوا الى الانذارات المتكررة والتي تشدد عليها كلمة الله

« المستعجل الى الغنى لا يبرأ » (امثال ٢٨ : ٢٠)

« غنى البطل يقل والجامع بيده يزداد » (امثال ١٣ : ١١)

« جمع الكنوز بلسان كاذب هو بخار مطرود لطالبي الموت » (امثال ٢١ : ٦)

« المقترض عبد للمقرض » (امثال ٢٢ : ٧)

« ضررا يضر من يضمن غريبا . ومن يبغض صفق الايدي مطمئن » (امثال ١١ : ١٥)

« لا تنقل التخم القديم ولا تدخل حقول الايتام . لان وليهم قوي . هو يقيم دعواهم عليك » .

« ظالم الفقير تكثيرا لماله ومعطي الغني انما هما للعوز » . « من يحفر حفرة يسقط فيها ومن يدحرج حجرا يرجع عليه » (امثال ٢٣ : ١٠ و ١١ ؛ ٢٢ : ١٦ ؛ ٢٦ : ٢٧)

هذه هي المبادىء التي يرتبط بها خير المجتمع وسعادته ، للمعاشرات الزمنية والدينية . ان هذه المبادىء هي التي تعطي الضمان لسلامة الاموال والحياة . لان كل ما يجعل الثقة والتعاون من الامور الممكنة نجد العالم مدينا فيه لشريعة الله كما هي مقدمة في كلمته ، وكما لا نزال نلاحظه فى الامور الغامضة وتكاد تكون مطموسة من قلوب الناس

ان قول المرنم : « شريعة فمك خير لي من الوف ذهب وفضة » (مزمور ١١٩ : ٧٢) يبين ما هو حق من غير وجهة النظر الدينية . هذا الكلام يقرر حقا مطلقا كاملا ، حقا معترفا به فى دنيا العمل . فحتى فى هذا العصر عصر اشتهاء جمع المال الذي اشتدت فيه المنافسة وصارت اساليبها سافلة ومستهترة لا يزال كثيرون يعترفون انه بالنسبة الى الشاب الحديث العهد بالحياة يتبرهن ان الاستقامة والاجتهاد والتعفف والطهارة والاقتصاد تكون

راس مال افضل من اية كمية من المال يمكنه ان يجمعها

ومع ذلك فحتى من بين من يقدرون هذه الصفات ويعترفون بأن الكتاب هو مصدرها لا يوجد غير القليلين الذين يعترفون بالمبادىء التي تستند عليها

ان ما يكمن فى اساس الاستقامة فى العمل والنجاح الحقيقي هو الاعتراف بملكية الله . ان خالق كل الاشياء هو المالك الاصلي ونحن وكلاؤه لا اكثر . فكل ما نملكه هو امانة مودعة لدينا منه لتنفق بحسب توجيهاته

هذا التزام يقع على كل انسان . وله دخل فى كل محيط النشاط البشري . وسواء اعترفنا بذلك ام لم نعترف فأننا وكلاء سلمنا الله وزنات ومساعدات وقد ُوجدنا فى العالم لنقوم بعمل قد عينه هو لنا

لقد اعطي لكل واحد « عمله » (مرقس ١٣ : ٣٤) ، العمل الذي تؤهله له امكانياته ، العمل الذي ينتج عنه اعظم خير له ولبني جنسه ويعطي اعظم المجد لله

وهكذا نرى ان عملنا او دعوتنا هي جزء من خطة الله العظيمة ، وطالما نتصرف فيها طبقا لمشيئته فهو نفسه المسؤول عن النتائج «عاملان مع الله» (١كورنثوس ٣ : ٩) ، فعملنا ودورنا فى العمل هو الامتثال بامانة لتوجيهاته . وهكذا فلا يوجد مكان للهم او الجزع . انما ُيطلب الاجتهاد والولاء والحرص والاقتصاد والفطنة . فكل مقدرة عقلية يجب استخدامها الى اقصى امكانياتها واسماها . ولكن ينبغي عدم الاعتماد على النتيجة الناجحة لجهودنا بل على

وعـد الله . فالكلمـة التي عالت العبرانيين فى البريـة واسندت ايليا فى ايام الجوع لها نفس القوة اليوم. « فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل او ماذا نشرب ... اطلبوا اولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم » (متى ٦ : ٣١ ــ ٣٣)

ان ذاك الذي يعطي الناس القدرة لاصطناع الثروة قرن بهذه العطية التزاما . فمن كل ما نملكه يطالب هو بنصيب معين . فالعشر للرب « كل عشر الارض من حبوب الارض واثمار الشجر » « كل عشر البقر والغنم ... يكون العاشر قدسا للرب » (لاويين ٢٧ : ٣٠ و ٣٢). والعهد الذي اخذه يعقوب على نفسه فى بيت ايل يرينا مدى الالتزام . فقد قال : « كل ما تعطيني فأني اعشره لك » (تكوين ٢٨ : ٢٢)

وقد امر الله شعبه قائلا : « هاتوا جميع العشور الى الخزنة » (ملاخي ٣ : ١٠) . فلا تقدم استغاثة الى الشكر او الكرم . فهذه هي مسألة امانة فقط . فالعشر هو للرب وهو يأمرنا ان نرد له ماله .

« ثم يسأل فى الوكلاء لكي يوجـد الانسان امينا » (١كورنثوس ٤ : ٢) . فاذا كانت الامانة مبدأ جوهريا فى اعمال الحياة افلا يجب علينا ان نعترف بالتزامنا لله ــ الالتزام الذي هو اساس كـل التزام آخـر ؟

اننا بموجب شروط وكالتنا نحـن قد وضعنا تحت التزام لا لله وحسب بل ايضا للانسان. ان كـل انسان مديون لمحبة الفادي اللامحدودة لاجل هبات الحيـاة . فالمأكل والملبس والمأوى ، الجسم والعقل والنفس ــ كلها

مقتنى دمه. وبواسطة الالتزام بالشكر والخدمة المفروضين علينا هكذا ربطنا المسيح ببني جنسنا. انه يأمرنا قائلا : «بالمحبة اخدموا بعضكم بعضا» (غلاطية ٥ : ١٣) : «بما انكم فعلتموه باحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم » (متى ٢٥ : ٤٠)

ان بولس يعلن قائلا : « اني مديون لليونانيين والبرابرة للحكماء والجهلاء » (رومية ١ : ١٤) . وكذلك نحن ايضا. فبسبب كل ما تباركت به حياتنا اكثر من غيرنا نحن تحت التزام لكل انسان يمكننا ان ننفعه ونخدمه

ان هذه الحقائق ليست لتخزن ولا هي لتوضع في غرفة الاحصاءات . فالاشياء التي نستعملها ليست ملكا لنا ، ونحن لن يمكننا ان نأمن على انفسنا اذا تناسينا هـذه الحقيقة. فلسنا الا وكلاء وعلى حسن تصرفنا في القيام بالتزاماتنا لله وللانسان تتوقف سعادة بني جنسنا ومصيرنا نحن في هذه الحياة والحياة العتيدة

« يوجد من يفرق فيزداد ايضا ومن يمسك اكثر من اللائق وانما الى الفقر . النفس السخية تسمن والمروي هو ايضا يروى » « ارم خبزك على وجه المياه فانك تجده بعد أيام كثيرة » (امثال ١١ : ٢٤ و ٢٥ ؛ جامعة ١١ : ١)

« لا تتعب لكي تصير غنيا ... هل تطيّر عينيك نحوه وليس هو. لانه انما يصنع لنفسه اجنحة. كالنسر يطير نحو السماء » (امثال ٢٣ : ٤ و ٥)

« اعطوا تعطوا. كيلا جيدا ملبد مهزوزا فائضا يعطون

فى احضانكم . لانه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم »
(لوقا ٦ : ٣٨)

« اكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك فتمتلىء خزائنك شبعا وتفيض معاصرك مسطارا » (امثال ٣ : ٩ و ١٠)

« هاتوا جميع العشور الى الخزنة ليكون فى بيتي طعام وجربوني بهذا قال رب الجنود ان كنت لا افتح لكم كوى السموات وافيض عليكم بركة حتى لا توسع . وانتهر من اجلكم الآكل فلا يفسد لكم ثمر الارض ولا يعقر لكم الكرم فى الحقل . . . ويطوبكم كل الامم لانكم تكونون ارض مسرة »
(ملاخي ٣ : ١٠ — ١٢)

« اذا سلكتم فى فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها اعطي مطركم فى حينه وتعطي الارض غلتها وتعطي اشجار الحقل اثمارها . ويلحق دراسكم بالقطاف ويلحق القطاف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون فى ارضكم آمنين . واجعل سلاما فى الارض . . . وليس من يزعجكم » (لاويين ٢٦ : ٣ — ٦) .

« اطلبوا الحق انصفوا المظلوم اقضوا لليتيم حاموا عن الارملة» «طوبى للذي ينظر الى المسكين . فى يوم الشر ينجيه الرب . الرب يحفظه ويحييه . يغتبط فى الارض ولا يسلمه الى مرام اعدائه » « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » (اشعياء ١ : ١٧ ؛ مزمور ٤١ : ١ و ٢ ؛ امثال ١٩ : ١٧)

140,141

ان من يشغل امواله ويستثمرها هكذا يكنز لنفسه كنزا مضاعفا . ففضلا عن كونه لا بد ان يترك كل شيء فى النهاية مهما يكن مبلغ حكمته فى حسن استخدامه فانه يكنز لنفسه ثروة للابدية ــ وهي كنز ذلك الخلق الذي هو اثمن ارث فى الارض وفى السماء

التعــــامل بـأمانــة فى العمـــل

« الرب عارف ايام الكملة وميراثهم الى الابد يكون . لا يخزون فى زمن السوء وفى ايام الجوع يشبعون » (مزمور ٣٧ : ١٨ و ١٩)

« السالك بالكمال والعامل الحق والمتكلم بالصدق فى قلبه ... يحلف للضرر ولا يغير » « السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة الراذل مكسب المظالم النافض يديه من قبض الرشوة ... ويغمض عينيه عن النظر الى الشر هــو فى الاعالي يسكــن ... يعطى خبزه ومياهه مأمونة. الملك ببهائه تنظر عيناك . تريان ارضا بعيدة » (مزمور ١٥ : ٢ ــ ٤ ؛ اشعياء ٣٣ : ١٥ ــ ١٧)

ان الله قد اورد فى كلمته صورة او وصفا للرجــل الناجح ــ الرجل الذي كانت حياته نجاحا بأصدق معنى ، الرجل الذي تسر السماء والارض كلتاهما بان تكرماه . وها هو ايوب يتكلم عن اختباراته فيقول :

« كما كنت فى ايام خريفي ورضى الله على خيمتي . والقدير بعد معي وحولي غلماني ... حين كنت اخرج الى

الباب فى القرية واهيىء فى الساحة مجلسي. رآني الغلمان فاختبأوا والاشياخ قاموا ووقفوا . العظماء امسكوا عن الكلام ووضعوا ايديهم على افواههم . صوت الشرفاء اختفى . . . لان الاذن سمعت فطوبتني والعين رأت فشهدت لي . لاني انقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين له . بركة الهالك حلت عليَّ وجعلت قلب الارملة يسر. لبست البر فكساني. كجبة وعمامة كان عدلي . كنت عيونا للعمي وارجلا للعرج . أب انا للفقراء ودعوى لم اعرفها فحصت عنها » « غريب لم يبت فى الخارج . فتحت للمسافر ابوابي » « لي سمعوا وانتظروا... نور وجهي لم يعبسوا . كنت اختار طريقهم واجلس رأسا واسكن كملك فى جيش كمن يعزي النائحين » (ايوب ٢٩ : ٤ ـ ١٦ ؛ ٣١ : ٣٢ ؛ ٢٩ : ٢١ ـ ٢٥)

« بركة الرب هي تغني ولا يزيد معها تعبا » (امثال ١٠ : ٢٢)

وها هي الحكمة تعلن قائلة : « عندي الغنى والكرامة. قنية فاخرة وحظ » (امثال ٨ : ١٨)

ثم ان الكتاب يرينا ايضا عواقب انصرافنا عن المبادىء المستقيمة فى تعاملنا مع الله ومع بعضنا البعض . فاولئك الذين استؤمنوا على عطاياه ولكنهم مع ذلك عديمو الاكتراث لمطاليبه يقول لهم :

« اجعلوا قلبكم على طرقكم . زرعتم كثيرا ودخلتم قليلا . تأكلون وليس الى الشبع . تشربون ولا ترون .

تكتسون ولا تدفأون . والآخذ اجرة يأخذ اجرة الكيس منقوب ... انتظرتم كثيرا واذا هو قليل ولما ادخلتموه البيت نفخت عليه » « كان احدكم يأتي الى عرمة عشرين فكانت عشرة . اتى الى حوض المعصرة ليغرف خمسين فورة فكانت عشرين » « لماذا يقول رب الجنود . لاجل بيتي الذي هو خراب » « ايسلب الانسان الله . فانكم سلبتموني . فقلتم بمَ سلبناك . فى العشور والتقدمة » « لذلك منعت السموات من فوقكم الندى ومنعت الارض غلتها » (حجي ١ : ٥ ـ ٩ ؛ ٢ : ١٦ ؛ ملاخي ٣ : ٨ ؛ حجي ١ : ١٠)

« لذلك من اجل انكم تدوسون المسكين ... بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة ولا تسكنون فيها وغرستم كروما شهية ولا تشربون خمرها » « يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر فى كل ما تمتد اليه يدك » « يسلم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران اليهم طول النهار فتكلان وليس فى يدك طائلة » (عاموس ٥ : ١١ ؛ تثنية ٢٨ : ٢٠ و ٣٢)

« محصل الغنى بغير حق فى نصف ايامه يتركه وفى آخرته يكون احمق » (ارميا ١٧ : ١١)

ان حسابات كل مصلحة وتفاصيل كل صفقة تمر امام فحص مدققين غير منظورين ، وهم خدام ذاك الذي لا اتفاق بينه وبين الظلم ولا يتغاضى ابدا عن الشر ولا يلتمس ابدا عذرا للخطإ

« ان رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل ... فلا ترتع من الامر لان فوق العالي عاليا يلاحظ والاعلى فوقهما » « لا ظلام ولا ظل موت حيث تختفي عمّال الاثم » (جامعة ٥ : ٨ و ايوب ٣٤ : ٢٢)

« جعلوا افواههم فى السماء ... وقالوا كيف يعلم الله وهل عند العلي معرفة » والله يقول : « هذه صنعت وسكتُ . ظننت اني مثلك. اوبخك واصف خطاياك امام عينيك » (مزمور ٧٣ : ٩ — ١١ ؛ ٥٠ : ٢١)

« فعدت ورفعت عينيّ ونظرت واذا بدرج طائر ... هذه هي اللعنة الخارجة على وجه كل الارض. لان كل سارق يباد من هنا بحسبها وكل حالف يباد من هناك بحسبها. اني اخرجها يقول رب الجنود فتدخل بيت السارق وبين الحالف باسمي زورا وتبيت فى وسط بيته وتفنيه مع خشبه وحجارته » (زكريا ٥ : ١ — ٤)

ان شريعة الله تنطق بالدينونة على كل فاعل شر . قد يهمل ذلك الصوت محتقرا اياه ، وقد يحاول ان يتجنب انذاراته ولكن عبثا . انه يلاحقه . وصوته يُسمع فى اذنيه وهو يقضي على سلامه . فاذا لم يلتفت اليه فهو يتعقبه الى القبر . ويشهد عليه فى يوم الدين . فتلك النار التي لا تطفأ تحرق نفسه وجسده فى النهاية

« لانه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه . او ماذا يعطي الانسان فداء عن نفسه » (مرقس ٨ : ٣٦ و ٣٧)

هذا سؤال يتطلب ان كل اب ومعلم وطالب يفكر فيه ــ ان يفكر فيه كل انسان ، صغيرا كان او كبيرا . لا يوجد مشروع عمل او خطة حياة يمكن ان يكون سليما اذا كان يستوعب فقط سني هذه الحياة الحاضرة القصيرة ولا يعد زادا او يقوم باستعداد للمستقبل اللانهائي. ليتعلم الشباب ان يعملوا حسابا للابدية ، وليتعلموا ان يختاروا المبادىء ويطلبوا الاملاك الباقية ، وان يكنزوا لانفسهم « كنزا لا ينفد فى السموات حيث لا يقرب سارق ولا يبلي سوس » وان يصنعوا لهم اصدقاء « بمال الظلم » حتى اذا فنوا يقبلونهم « فى المظال الابدية » (لوقا ١٢ : ٣٣ ؛ ١٦ : ٩)

فالذين يفعلون هذا هم جميعا الذين يقومون بافضل استعداد ممكن للحياة فى هذا العالم. ولا يمكن ان انسانا يكنز كنوزه فى السماء الا ويجد حياته هنا على الارض قد صارت بسبب ذلك غنية ونبيلة

« التقوى نافعة لكل شيء اذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة » (١ تيموثاوس ٤ : ٨)



تواريخ الكتاب

ان الكتاب المقدس كمرب, لا يوجد جزء منه اعظم قيمة من تواريخ الحياة الواردة فيه . هذه التواريخ تختلف عن غيرها من التواريخ فى كونها تتوخى الصدق التام . من المستحيل على العقل البشري المحدود ان يفسر تفسيرا صحيحا اعمال وتصورات شخص آخر فى كل شيء. وليس غير ذاك الذي هو مطلع على خفايا القلب ويفهم المنابع الخفية للبواعث والاعمال يستطيع ان يصور بصدق مطلق الخلق او يقدم صورة امينة للحياة البشرية . ولا توجد مثل هذه الصورة فى غير الكتاب المقدس ؛ كلمة الله

ولا توجد حقيقة يعلمنا اياها الكتاب باكثر وضوح من حقيقة كون اعمالنا هي نتيجة اخلاقنا . فاختبارات الحياة هي بدرجة كبيرة ثمرة افكارنا واعمالنا

« لعنة بلا سبب لا تأتي » (امثال ٢٦ : ٢)

« قولوا للصديق خير ... ويل للشرير شر . لان مجازاة يده تعمل به » (اشعياء ٣ : ١٠ و ١١)

« اسمعي ايتها الارض هأنذا جالب شرا على هـذا الشعب ثمر افكارهم » (ارميا ٦ : ١٩)

هذا حق مخيف ، ويجب ان ينطبع بعمق عظيم على الذهن وفى القلب . فكل عمل له رد فعل على فاعله . ان كل انسان يمكنه ان يتحقق ان الشرور التي تجلب على حياته اللعنة هي ثمرة الزرع الذي زرعه بنفسه . ومـع ذلك فحتى ونحن فى هذه الحالة فاننا لسنا بلا رجاء

ان يعقوب ، لكي يظفر بالبكورية التي كانت من حقه بموجب وعد الله ، لجأ الى الدهاء والخداع وقد حصد الحصاد فى بغض اخيه له. فمدى عشرين سنة قضاهـا منفيـا ظلـم وخدع واضطر اخـيرا ان يغنـم النجـاة بالهروب ، وقد حصد حصادا ثانيا اذ ان مساوىء وشرور اخلاقه رؤيت تنضج ثمراتها فى اولاده. وهـذه صورة صادقة كل الصدق للمجازاة التي تحل بحياة الانسان

ولكن الله يقول : « لأني لا اخاصم الى الابد ولا اغضب الى الدهر. لأن الروح يغشى عليها امامي والنسمات التي صنعتها . من اجل اثم مكسبه غضبت وضربته . استترت وغضبت فذهب عاصيا فى طريق قلبـه . رأيت طرقـه وسأشفيه واقوده وارد تعزيات له ولنائحيه ... سلام سلام للبعيد وللقريب قـال الرب وسأشفيه » (اشعياء ٥٧ : ١٦ ـ ١٩)

ان يعقوب لم ييأس فى ضيقه . لقد تاب وحاول ان يكفر عن اساءته لأخيه . وعندما كان مهددا بالموت بسبب غضب عيسو التمس العون من الله : « جاهد مع الملاك وغلب . بكى واسترحمه » « وباركه هناك » (هوشع ١٢ : ٤ ؛ تكوين ٣٢ : ٢٩) . وقد وقف ذاك الذي غفرت خطاياه بقوة الله ، لا كالمتعقب بعد ، بل كأمير مع الله . ففضلا عن كونه قد ظفر بالنجاة من اخيه الغاضب الثائر فقد نجا من نفسه. انكسرت قوة الشر التي كانت فى طبيعته وتغيرت اخلاقه وتجددت

وفى وقت المساء كان هناك نور . فاذ راجع يعقوب تاريخ حياته اعترف بقدرة الله التي سندنه فقال : « الله الذي رعاني منذ وجودي الى هذا اليوم. الملاك الذي خلصني من كل شر » (تكوين ٤٨ : ١٥ و ١٦) .

ونفس هذا الاختبار تكرر فى تاريخ بني يعقوب — فالخطية نتج عنها الجزاء . والتوبة اثمرت تمر البر للحياة

والله لا يلغي شرائعه . وهو لا يعمل بعكسها ، ولا يبطل عمل الخطية . ولكنه يغير . فبنعمته تستحيل اللعنة الى بركة

ان لاوي احد ابناء يعقوب ، كان من اقسى الاولاد واشدهم حقدا وانتقاما ، وكان احد الاثنين اللذين ارتكبا جريمة قتل اهل شكيم . وان صفات لاوي التي انعكست فى نسله جلبت عليهم حكم الله القائل : « اقسمهما فى يعقوب وافرقهما فى اسرائيل » (تكوين ٤٩ : ٧) . ولكن التوبة

احدثت اصلاحا ، وبواسطة امانة بني لاوي لله فى وسط ارتداد باقي الاسباط استحالت اللعنة الى اسمى آيات الكرامة . فالكتاب يقول :

« افرز الرب سبط لاوي ليحملوا تابوت عهد الرب ولكي يقفوا امام الرب ليخدموه ويباركوا باسمه » . « كان عهدي معه للحياة والسلام واعطيته اياها للتقوى فاتقاني ومن اسمي ارتاع هو . . . سلك معي فى السلام والاستقامة وارجع كثيرين عن الاثم » (تثنية ١٠ : ٨ ؛ ملاخي ٢ : ٥ و٦)

ان اللاويين الذين عينوا خداما للمقدس لم يأخذوا ميراثا فى الارض . وقد سكنوا معا فى مدن مفرزة لاستعمالهم وحصلوا على الاعالـــة مـــن العشور والعطايا والتقدمات المكرسة لخدمة الله . وكانوا معلمي الشعب وضيوفا عليهم فى كل اعيادهم ومواسمهم ، وكانوا مكرمين فى كل مكان كمن هم خدام الله ونوابه . وقد اعطي لكل الامة هذا الامر القائل : « احترز من ان تترك اللاوي كـــل ايامك على ارضك » « لاجل ذلك لم يكن للاوي قسم ولا نصيب مع اخوته . الرب هو نصيبه » (تثنية ١٢ : ١٩ ؛ ١٠ : ٩)

بالايمـــان نغـــلب

ان الحق القائل ان الانسان « كما شعر فى نفسه هكذا هو » (امثال ٢٣ : ٧) يجد تمثيلا آخـــر فى اختبـــار العبرانيين . فعلى حدود كنعان رجع الجواسيس مـــن تجسس الارض وقدموا تقريرهم . وقد غاب عن انظارهم

جمال الارض وخصوبتها بسبب خوفهم من الصعوبات التي قامت فى طريق امتلاكها . فالمدن ذات الاسوار العالية الى السماء ورجال الحرب الجبابرة ومركبات الحديد كل هذه اخافتهم وازعجت ايمانهم . فاذ استبعدت تلك الجماعة الله من المشكلة اشاعوا قرار الجواسيس غير المؤمنين قائلين : « لا نقدر ان نصعد الى الشعب لانهم اشد منا » (عدد ١٣ : ٣١) . وقد صدق كلامهم . فلم يستطيعوا الصعود وفنيت حياتهم فى القفر

ومع ذلك فان اثنين من اولئك الاثني عشر الذين قد تجسسوا الارض قد قالا كلاما مخالفا لهذا . وهذا ما قالاه : « اننا قادرون عليها » (عدد ١٣ : ٣٠) . وقد ترافعا حاسبين وعد الله اعظم واقوى من الجبابرة والمدن ذوات الاسوار ومركبات الحديد . وقد كان كلامهما صادقا بالنسبة اليهما . فمع انهما اشتركا مع اخوتهما فى الجولان فى القفر اربعين سنة فأن كالب ويشوع دخلا ارض الموعد . فاذ كان كالب شجاع القلب كما كان عندما خرج من مصر مع اجناد الرب فقد طلب ان يعطى له حصن الجبابرة نصيبا فأجيب الى طلبه. وبقوة الله طـرد الكنعانيين . فالكروم ومزارع الزيتون التي كانت قدماه قد وطئتها صارت ملكا له . فمع ان الجبناء والعصاة هلكوا فى البرية فأن هذين الرجلين المؤمنين اكلا من عنب اشكول

لا يوجد حق يورده الكتاب فى نور اوضح من خطر انحراف واحد عن الحق ــ الخطر على فاعل الشر وعلى

149,150

من يصل اليه تأثيره · ان للقدرة قوة عجيبة ، وعندما تكون فى جانب اميال طبيعتنا الشريرة فانها تكاد تكون مما لا يمكن مقاومته

ان امنع حصون الرذيلة فى عالمنا ليست هي الحياة الآثمة التي يحياها الخاطىء المتهتك الخليع او الانسان المنبوذ المنحط ؛ ولكنها تلك الحياة التي بالعكس من ذلك تبدو حياة فاضلة محترمة ونبيلة ولكن تتربى فيها خطية واحدة ويدمن فيها الانسان رذيلة واحدة . فبالنسبة الى النفس التي تكافح وتناضل فى الخفاء ضد تجربة هائلة وهي ترتعد على شفا الهاوية ، مثل هذه القدوة هي من اقوى المغريات لارتكاب الخطية . فذاك الذي وهو مزود بآراء سامية عن الحياة والحق والكرامة ومع ذلك فهو فى اصرار يتعدى وصية واحدة من وصايا شريعة الله المقدسة ــ هذا الانسان قد افسد مواهبه النبيلة حتى لقد صارت طعما او شركا لارتكاب الخطيـة . فالنبوغ والموهبة والعطف بل حتى اعمال الكرم والشفقة قد تنقلب هكذا حتى تصير حبائل للشيطان لاغواء النفوس لتتردى فى هوة الهلاك

هذا هو السبب الذي لاجله اورد الله امثلة عديدة جدا مبينا نتيجة عمل خاطىء واحد . فمن تلك القصة المحزنة قصة تلك الخطية الواحدة التي « جلبت على العالم الموت وكل الويلات التي حلت بنا مع ضياع جنة عدن » الى قصة ذاك الذي باع رب المجد بثلاثين من الفضـة فأن تاريخ

الكتاب مشحون بهذه الامثلة المرفوعة امامنا كشارات انذار فى المسالك الجانبية التي تبعد الناس عن طريق الحياة

ثم هنالك ايضا انذار فى ملاحظة النتائج التي تلت تسليما واحدا للضعيف البشري والخطأ الذي هو ثمرة من ثمار افلات الايمان

ان ايليا اذ فشل ايمانه مرة واحدة انهى عمل حياته فجأة . كان العبء الذي حمله عن العبرانيين عظيما وكان امينا فى انذاره لأمته وتحذيره الشعب من عبادة الاوثان ، وكان تضرعه بحرارة شديدة اذ مدى سني الجوع الثلاث والنصف كان يراقب وينتظر دليلا على النوبة. وقد وقف وحده الى جانب الله فوق جبل الكرمل . وبقوة الايمان انهارت الوثنية الى التراب وشهد المطر المبارك لسيول البركة المزمعة ان تنهمر على العبرانيين ولكنه فى اعيائه وضعفه هرب امام وعيد ايزابل واذ كان منفردا فى البرية طلب الموت لنفسه . لقد خذله ايمانه . والعمل الذي بداه لم يكن له ان يتممه. فقد امره الله ان يمسح رجلا آخر ليكون نبيا بدلا منه

ولكن الله لاحظ الخدمة القلبية الخالصة التي قام بها خادمه . فلم يكن ايليا ليهلك فى خوفه وفشله ووحدته فى البرية . ولم يكن له ان ينحدر الى الهاوية بل كان له ان يصعد مع ملائكة الله الى محضر مجده

ان تواريخ الحياة هذه تعلن ما لا بد ان يفهمه كل انسان يوما ما — وهو ان الخطية لا يمكنها ان تجلب غير

العار والخسارة ، وان عدم الايمان معناه الفشل ، ومع ذلك فأن رحمة الله تنزل الى الاغوار السحيقة والايمان برفع النفس التائبة لتشترك فى بنوة ابناء الله

تـــدريب الألـــم

ان كل من يقدمون فى هذا العالم خدمة امينة لله او للانسان يتلقون تدريبا اعداديا فى مدرسة الحزن والالم . وكلما كانت الامانة اخطر والخدمة اسمى كلما كان الاختبار اشد ايلاما وقســوة

ادرسوا اختبارات يوسف وموسى ودانيال وداود . وقارنوا بــين تاريخ داود فى عهد الصبا وتاريخ سليمان وفكروا فى النتائج

ان داود فى شبابه عاش فى ألفة ومحبة مع شاول . وان بقاءه فى البلاط واحتكاكه بعائلة الملك اعطياه بصيرة وادراكا لمعرفة الهموم والاحزان والارتباكات التي كـــان يخفيها بريق الملك وابهته . وقد رأى تفاهة المجد الانساني وعجزه عن جلب السلام للنفس. وكم كان ارتياحه وسروره عظيمين حين عاد من قصر الملك الى حظائره وقطعانه

وعندما صار طريدا فى البرية بسبب حسد شاول ، فان داود هذا الذي حرم من كل عون واعالة بشرية استند بالتمام على الله . وان حياة عدم الاستقرار وعدم الراحة فى البرية بمخاطرها التي لا تنتهي والحاجة الى الفرار مرارا عديدة» وصفات الناس الذين اجتمعوا اليه هناك «كل رجل

متضايق وكل من كان عليه دين وكل رجل مر النفس » (١ صموئيل ٢٢ : ٢) ـ كل هذا جعل تدريب النفس امرا لازما وجوهريا . فهـذه الاختبارات ايقظت وانمت القوة فى التعامل مع الناس والعطف على المظلومين وكراهة الظلم . وقد تعلم داود مدى سني الانتظار والخطر ان يجد فى الله عزاءه وسنده وحياته. وقد تعلم ايضا انه عن طريق الله وحده يمكنه ان يتبوأ عرش الملك ، وبواسطة حكمته تعالى وحدها يمكنه ان يحكم بحكمة . فعن طريق التدرب فى مدرسة الشدة والحزن استطاع داود ان يظفر بهذه الشهادة ـ وان يكن قد شوهها بعد ذلـك بخطيته العظيمة ، انـه كان « يجري قضاء وعدلا لكل شعبـه » (٢ صموئيل ٨ : ١٥)

وان التدريب الذي تلقاه داود واختباره الذي حصل عليه فى شبابه كان ينقص حياة سليمان . كـان يبدو ان سليمان كان محظوظا اكثر من الجميع فى ظروفه واخلاقه وحياته . فاذ كان سليمان نبيلا فى شبابه ونبيلا فى رجولته ومحبوبا من الهه فقد دخل الى مُلك كان يبشر بنجاح وكرامة عظيمين . وقد ذهلت الامم من المعرفة والفراسة اللتين تجلتا فى حياة الرجل الذي قد منحه الله الحكمة . ولكن كبرياء النجاح جعلت فاصلاً بينه وبين الله . فمن فرح الشركة مـع الله ارتد سليمان ليجد كفايته فى المسرات الحسية . وقد كتب عن هذا الاختبار يقول :

« فعظمت عملي. بنيت لنفسي بيوتا غرست لنفسي

كروما . عملت لنفسي جنات وفراديس . . . قنيت عبيدا وجواري . . . جمعت لنفسي ايضا فضة وذهبا وخصوصيات الملوك والبلدان . اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات . فعظمت وازددت اكثر من جميع الذين كانوا قبلي في اورشليم . . . ومهما اشتهته عيناي لم امسكه عنهما . لم امنع قلبي من كل فرح . لان قلبي فرح بكل تعبي . . . ثم التفت انا الى كل اعمالي التي عملتها يداي والى التعب الذي تعبته فى عمله فاذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس . ثم التفت لانظر الحكمة والحماقة والجهل . فما الانسان الذي يأتي وراء الملك الذي قد نصبوه منذ زمان »

« فكرهت الحياة ... فكرهت كل تعبي الذي تعبت فيه تحت الشمس » (جامعة ٢ : ٤ — ١٢ و ١٧ و ١٨)

ان سليمان قد تعلم بواسطة اختباره المرير بطل الحياة التي تطلب اسمى خير لها في الامور الارضية . فاقام مذابح للآلهة الوثنية ، ليعلم فقط انها باطلا تعده براحة نفسه

وفى اواخر سني حياته اذ تحول سليمان وهو متعب وظامىء بعيدا عن آبار الارض المشققة عاد ليشرب من نبع الحياة . ان تاريخ سني حياته التي ضاعت هباء بما فيها من عبر وانذارات سجلها بوحي روح الالهام لاجل الاجيال التي تعاقبت من بعده . وهكذا فمع ان البذار الذي قد زرعه حصده شعبه فى محاصيل الشر فأن عمل

حياة سليمان لم يضع كله . اخيرا امكن لتدريب الالم ان يتمم عمله

ولكن مع انبثاق نور ذلك الفجر كم كان يمكن ان يكون عمل حياته مجيدا لو ان سليمان تعلم فى شبابه الدرس الذي قد علمته الآلام لأناس آخرين فى حياتهم !

امتحـــان ايـــوب

ان لتواريخ الحياة فى الكتاب درس اسمى عن خدمة الحزن للذين يحبون الله والذين هـم « مدعوون حسب قصده » (رومية ٨ : ٢٨) ، « انتم شهودي يقول الرب وانا الله » (اشعياء ٤٣ : ١٢) — شهود على انه صالح ، وعلى ان الصلاح فائق . « صرنا منظرا للعالم للملائكة والناس » (١كورنثوس ٤ : ٩)

ان الايثار الذي هو مبدأ ملكوت الله هو المبدأ الذي يبغضه الشيطان ، وهو ينكر نفس وجوده . ومنذ بداية الصراع العظيم حاول ان يبرهن على ان مبادىء الله للعمل هي انانية . وهو يتصرف بنفس الطريقة فى معاملته لكل من يخدمون الله . ان عمل المسيح وكل من يحملون اسمه هو دحض وتكذيب ادعاء الشيطان

ان يسوع اتى فى صورة انسان ليقدم نفسه مثالا للإيثار . وكل من يقبلون هذا المبدأ يجب ان يكونوا عاملين معه فى ايضاح هذا فى الحياة العملية . فلأجل اختيار الحق لانه حق ، ولأجل الوقوف الى جانب الحق ولو كان الثمن

هو الالم والتضحية « هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندي يقول الرب » (اشعياء ٥٤ : ١٧)

وباكرا جدا فى تاريخ العالم اعطي تاريخ حياة انسان اثيرت عليه حرب الشيطان

ان شهادة فاحص القلوب عن ايوب القديس الشيخ الذي من عوص هي هذه : « ليس مثله فى الارض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر »

وقد اورد الشيطان التهمة الحقيرة ضد هذا الرجل قائلا : «هل مجانا يتقي ايوب الله . اليس انك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية . . . ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ما له » « مس عظمه ولحمه فأنه فى وجهك يجدف عليك »

فقال الرب للشيطان : « هوذا كل ما له فى يدك وانما اليه لا تمد يدك » « ها هو فى يدك ولكن احفظ نفسه »

فاذ سمح للشيطان بهذا اكتسح كل ما كان يملكه ايوب ـ الغنم والبقر والعبيد والجواري والبنين والبنات و « ضرب أيوب بقرح ردي من باطن قدمه الى هامته » (ايوب ١ : ٨ ـ ١٢ ؛ ٢ : ٥ ـ ٩)

وقد اضيف الى كأسه عنصر آخر من عناصر المرارة . فأن اصدقاءه اذ رأوا فى بلواه قصاص الخطية ضغطوا على روحه المسحوقة والمثقلة بالاحزان باتهامهم اياه بأنه فاعل شر

فاذ كان يبدو وكأنه متروك من السماء والارض واذ

ظل مع ذلك متمسكا بايمانه بالله واحساسه باستقامته ففي عذابه وحيرته صرخ قائلا :

« قد كرهت نفسي حياتي »
« ليتك تواريني فى الهاوية وتخفيني الى ان ينصرف غضبك وتعيّن لي اجلا فتذكرني » (ايوب ١٠ : ١ ؛ ١٤ : ١٣) .
« ها اني اصرخ ظلما فلا استجاب . ادعو وليس حكم ...
ازال عني كرامتي ونزع تاج رأسي ...
اقاربي قد خذلوني والذين عرفوني نسوني ...
الذين احببتهم انقلبوا عليَّ ...
تراءفوا تراءفوا انتم عليَّ يا اصحابي لأن يد الله قد مستني »
« من يعطيني ان اجده فآتي الى كرسيه ...
هأنذا اذهب شرقا فليس هو هناك وغربا فلا اشعر به .
شمالا حيث عمله فلا انظره . يتعطف الجنوب فلا أراه
لانه يعرف طريقي اذا جربني اخرج كالذهب »
« هوذا يقتلني . لا انتظر شيئا . فقط ازكي طريقي قدامه
« اما انا فقد علمت ان وليي حي والآخر على الارض يقوم »
(ايوب ١٩ : ٧ – ٢١ ؛ ٢٣ : ٣ – ١٠ ؛ ١٣ : ١٥ ؛ ١٩ : ٢٥)
« وبعد ذلك تلبس هذه الاعضاء بجلدي ومن جسدي اعاين الله » (ايوب ١٩ : ٢٦ و ٢٧) (طبعة سنة ١٨٧٨)
« الذي اراه انا لنفسي وعيناي تنظران وليس آخر »

وبحسب ايمان ايوب كان له . فقد قال : « اذا جربني اخرج كالذهب » (ايوب ٢٣ : ١٠) وهذا ما حدث .

فباحتماله الصبور زكى اخلاقه وكذلك اخلاق ذاك الذي كان هو يرمز اليه . « ورد الرب سبي ايوب ... وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفا ... وبارك الرب آخرة ايوب اكثر من اولاه » (ايوب ٤٢ : ١٠ ـ ١٢)

وفى تاريخ اولئك الذين عن طريق انكار الذات اندمجوا فى شركة آلام المسيح يقف ـ واحد فى العهد القديم وواحد فى العهد الجديد ـ اسما يوناثان ويوحنا المعمدان

يوناثان الوارث للعرش بحق ميلاده ، ومع ذلك فقد كان عالما انه نحي جانبا بموجب حكم الهي ، فاذ كان اخلص صديق لمنافسه ولطيفا وامينا له الى ابعد الحدود ، اذ حمى حياة داود معرضا حياته هو للخطر ، وثابتا الى جوار ابيه مدى ايام الظلام عند انحطاط قوته ، وسقط الى جواره فى النهاية ـ فان اسم يوناثان مذخور فى السماء ، وهو باقٍ على الارض شهادة على وجود المحبة الخالية من الانانية وقوتها

ويوحنا المعمدان اذ كان عند ظهوره بشيرا بمجيء مسيا ايقظ الامة . واينما ذهب من مكان الى مكان تبعته جماهير غفيرة من الشعب من كل رتبة ومركز . ولكن عندما اتى ذاك الذي قد شهد هو له تبدل كل شيء . فقد تبعت الجموع يسوع ، وكان يبدو ان عمل يوحنا موشك على الانتهاء . الا ان ايمانه لم يضعف . فلقد قال : « ينبغي ان ذلك يزيد واني انا انقص » (يوحنا ٣ : ٣٠)

وقد مر الوقت ولم يقم الملكوت الذي كان يوحنا

ينتظره بكل وثوق . فمن اعماق سجن هيرودس اذ كان منقطعا بعيدا عن الهواء المحيي وحرية البرية جعل ينتظر ويراقب

لم يكن هنالك استعراض لأسلحة الحرب ولا فتحت ابواب السجن ، بل كان هناك شفاء للمرضى وكرازة بالانجيل وانهاض نفوس الناس — هذه شهدت لرسالة المسيح

فاذ كان وحيدا فى السجن يرى الى اين يتجه طريقه كسيده قبل يوحنا الامانة — وهي الشركة مع المسيح فى التضحية . وقد تبعت رسل السماء يوحنا الى القبر . وشهد اجناد الكون الساقطون وغير الساقطين تزكيته للخدمة الخالية من الانانية

وفى كل الاجيال التي تعاقبت منذ ذلك الحين أسندت النفوس المتألمة بشهادة حياة يوحنا . ففي السجن وعلى المشنقة وفى وسط لهيب النار تشدد الرجال والنساء مدى عصور الظلام بذكرى ذاك الذي اعلن المسيح قائلا عنه : « لم يقم بين المولودين من النساء اعظم من يوحنا المعمدان » (متى ١١ : ١١)

« وماذا اقول ايضا لانه يعوزني الوقت ان اخبرت عن جدعون وباراق وشمشون ويفتاح . . . وصموئيل والانبياء الذين بالايمان قهروا ممالك صنعوا برا نالوا مواعيد سدوا افواه اسود اطفأوا قوة النار نجوا من حد السيف تقووا من ضعف صاروا اشداء فى الحرب هزموا جيوش غرباء

157,158

« اخذت نساء امواتهن بقيامة . وآخرون عذبوا ولم يقبلوا النجاة لكي ينالوا قيامة افضل . وآخرون تجربوا فى هزء وجلد ثم فى قيود ايضا وحبس . رجموا نشروا جربوا ماتوا قتلا بالسيف طافوا فى جلود غنم وجلود معزى معتازين مكروبين مذلين. وهم لم يكن العالم مستحقا لهم. تائهين فى براري وجبال ومغاير وشقوق الارض.

« فهؤلاء كلهم مشهودا لهم بالايمان لم ينالوا الموعد اذ سبق الله فنظر لنا شيئا افضل لكي لا يكملوا بدوننا » (عبرانيين ١١ : ٣٢ — ٤٠) .



الشّعر والغِناء

ان اقدم واسمى المنظومات الشعرية المعروفة للانسان توجد فى الكتاب المقدس . فقبلما تغنى اقدم شعراء العالم باشعارهم سرد راعي مديان تلك الاقوال لأيوب بجلالها الذي لا يبارى ولا تدانيه اسمى ابتكارات العبقرية البشرية ـ اذ قال :

« اين كنت حين اسست الارض ... ومن
حجز البحر بمصاريع حين اندفق ... اذ
جعلت السحاب لباسه والضباب قماطه
وجزمت عليه حدي واقمت له مغاليق
ومصاريع ، وقلت الى هنا تأتي ولا تتعدى
وهنا تتخم كبرياء لججك
هل فى ايامك امرت الصبح ، هل عرفت الفجر
موضعه ...
هل انتهيت الى ينابيع البحر او فى مقصورة
الغمر تمشيت

هل انكشفت لك ابواب الموت او عاينت ابواب
ظل الموت

هل ادركت عرض الارض· اخبر ان عرفته كله.
اين الطريق الى حيث يسكن النور : والظلمة
اين مقامها . . .
ادخلت الى خزائن الثلج ام ابصرت مخازن
البرد . . .
فى اي طريق يتوزع النور وتتفرق الشرقية
على الارض
من فرّع قنوات للهطل وطريقا للصواعق ،
ليمطر على ارض حيث لا انسان على قفر لا
احد فيه. ليروي البلقع والخلاء وينبت مخرج
العشب
« هل تربط انت عقد الثريا او تفك ربط الجبار
أتخرج المنازل فى اوقاتها وتهدي النعش مع
بناته » (ايوب ٣٨ : ٤ ـ ٢٧ و ٣١ و ٣٢)

فإن كنت تبحث عن جمال التعبير اقرأ الوصف عن وقت الربيع من نشيد الانشاد :
« لأن الشتاء قد مضى والمطر مرَّ وزال .
الزهور ظهرت فى الارض
بلغ اوان القضب وصوت اليمامة سمع فى
ارضنا
التينة اخرجت فجها وقمال الكروم تفيح

رائحتها . قومــي يــا حبيبتي يــا جميلتي وتعالي » (نشيد الانشاد ٢ : ١١ ــ ١٣) .

ثــم ان النبوة التي نطق بها بلعام مباركا العبرانيين وهو كاره ليست اقل من هذه جمالا :

« من أرام اتى بي بالاق ملك موآب من جبال المشرق

تعال العن لي يعقوب وهلم اشتم اسرائيل

كيف ألعن من لم يلعنه الله

وكيف اشتم من لم يشتمه الرب

اني من رأس الصخور أراه

ومن الآكام أبصره

هوذا شعب يسكن وحده

وبين الشعوب لا يُحسب ...

اني قد امرت أن اباركه

فأنه قد بارك فلا ارده

لم يبصر اثما فى يعقوب

ولا رأى تعبا فى اسرائيل

الرب الهه معــه

وهتاف ملك فيه ...

انه ليس عيافة على يعقوب

ولا عرافة على اسرائيل

فى الوقت يقال عن يعقوب وعن اسرائيل ما فعل الله »

« وقال ... وحي الذي يسمع اقوال الله

الذي يرى رؤيا القدير ...
ما احسن خيامك يا يعقوب
مساكنك يا اسرائيل
كأودية ممتدة ، كجنات على نهر
كشجرات عود غرسها الرب
كأرزات على مياه »
قال : « وحي الذي يسمع اقوال الله
ويعرف معرفة العلي ...
أراه ولكن ليس الآن
أبصره ولكن ليس قريبا
يبرز كوكب من يعقوب
ويقوم قضيب من اسرائيل ...
ويتسلط الذي من يعقوب »
(عدد ٢٣ : ٧ — ٢٣ ؛ ٢٤ : ٤ — ٦ و ١٦ — ١٩)

ان ترنيم الحمد هو جو السماء ؛ وعندما تتصل السماء بالارض فستكون هناك موسيقى وغناء : « الحمد وصوت الترنم » (اشعياء ٥١ : ٣)

وفوق الارض التي ُخلقت من جديد كما بدت جميلة ولا شائبة فيها تحت ابتسامة الله « ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله » (ايوب ٣٨ : ٧) . وهكذا اذ تتجاوب قلوب بني الانسان مع السماء فقد استجابت لصلاح الله فى اغاني الحمد. وكثير من احداث التاريخ البشري ارتبطت بأغاني الحمد

ان اقدم التسابيح المدونة فى الكتاب والتي نطق بها الناس كان هو هتاف الحمد المجيد الذي فاضت به قلوب العبرانيين عند بحرسوف حين قالوا :

« ارنم للرب فأنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما فى البحر
الرب قوتي ونشيدي. وقد صار خلاصي
هذا الهي فأمجده. اله ابي فأرفعه »
« يمينك يا رب معتزة بالقدرة . يمينك يا رب تحطم العدو . . .
من مثلك بين الآلهة يا رب. من مثلك معتزا فى القداسة. مخوفا بالتسابيح. صانعا عجائب »
« الرب يملك الى الدهر والابد . . .
رنموا للرب فأنه قد تعظم » (خروج ١٥ : ١ و ٢ و ٦ — ١١ و ١٨ — ٢١)

وما كان اعظم البركات التي حصل عليها الناس اذ استجابوا لتسابيح الحمد . ان الكلمات القليلة التي تحكي احد اختبارات البرية التي اجتازها العبرانيون فى البرية فى جولانهم فيها درس جدير بتفكيرنا :

« ومن هناك الى بئر • وهي البئر حيث قال الرب لموسى اجمع الشعب فأعطيهم ماء » (عدد ٢١ : ١٦)
حينئذ ترنم اسرائيل بهذا النشيد :

« اصعدي ايتها البئر اجيبوا لها
بئر حفرها رؤساء ، حفرها شرفاء الشعب
بصولجان بعصيهم » (عدد ٢١ : ١٧ و ١٨)

ومــا اكثــر مــا يتكرر هذا التاريــخ فى الاختبار الروحي ! وما اكثر ما تفك ينابيع التوبة والايمان والرجاء والمحبة والفرح فى النفس بواسطة كلام التسبيح المقدس !

لقــد خرجت جيــوش العبرانيين للخلاص العظيــم بقيــادة يهوشافاط بأغانــي الحمــد . فقد وصلت الى يهوشافاط اخبار عن حرب تدق ابوابه فقد قال له اولئك الناس : « قد جاء عليك جمهور كثير » « بنو موآب وبنو عمون ومعهم العمونيون » « فخاف يهوشافاط وجعل وجهه ليطلب الرب ونادى بصوم فى كل يهوذا . واجتمع يهوذا ليسألوا الرب . جاءوا ايضا من كل مدن يهوذا ليسألوا الرب » . واذ وقف يهوشافاط فى دار الهيكل امام الشعب سكب نفسه فى الصلاة متوسلا الى الله ومطالبا اياه بوعده ومعترفا بعجز العبرانيين اذ قال : « لأنه ليس فينا قوة امام هذا الجمهور الكثير الآتي علينا ونحن لا نعلم ماذا نعمل ولكن نحوك اعيننا » (٢ اخبار ٢٠ : ٢ و ١ و ٣ و ٤ و ١٢)

واذا بيحزئيل اللاوي قد «كان عليه روح الرب فى وسط الجماعة فقال اصغوا يا جميــع يهوذا وسكان اورشليم وايها الملك يهوشافاط هكذا قال الرب لكم لا تخافوا ولا ترتاعوا بسبب هذا الجمهور الكثير لان الحرب ليست لكم بل لله . . . ليس عليكم ان تحاربوا فى هذه . قفوا اثبتوا وانظروا خلاص الرب معكم . . . لا تخافوا ولا ترتاعوا . غدا اخرجوا للقائهم والرب معكم (٢ اخبار ٢٠ : ١٤ و ١٧)

« وبكروا صباحــا وخرجــوا الى بريــة تقــوع »

١ ٢ اخبار ٢٠ : ٢٠) . وقد سار امام الجيش مغنون رافعين اصوات الحمد لله ـ مسبحينه على النصرة التي قد وعدهم بها

وفي اليوم الرابع بعد ذلك عاد الجيش الى اورشليم يحملون غنيمة أعدائهم مرددين آيات الحمد لله على الانتصار الذي قد احرز

ان داود في وسط تقلبات حياته التي لم تكن تعرف الاستقرار كانت له شركة مع السماء بواسطة التسبيح . وما اجمل الصورة التي ترسمها اختباراته وهو غلام يرعى الغنم بهذه الكلمات :

« الرب راعيّ فلا يعوزني شيء . في مراعٍ
خضر يربضني. الى مياه الراحة يوردني ...
ايضا اذا سرت في وادي ظل الموت لا اخاف
شرا لانك انت معي. عصاك وعكازك هما
يعزيانني » (مزمور ٢٣ : ١ ـ ٤)

وفي رجولته حين كان هاربا مطاردا فاذ وجد ملاذا في الصخور وفي كهوف البرية كتب يقول :

« يا الله الهي انت. اليك ابكر . عطشت اليك
نفسي
يشتاق اليك جسدي في ارض ناشفة ويابسة
بلا ماء ...
لأنك كنت عونا لي وبظل جناحيك ابتهج »
« لماذا انت منحنية يانفسي ولماذا تئنين فيّ

163,164

ترجي الله لاني بعد احمده. خلاصي وجهي
والهي »
« الرب نوري وخلاصي ممن اخاف. الرب
حصن حياتي ممن ارتعب » (مزمور ٦٣ :
١ ـ ٧ ؛ ٤٢ : ١١ ؛ ٢٧ : ١)

ان نفس هذه الثقة تسمع فيما كتبه وهو ملك مخلوع عن عرشه وغير متوج عندما هرب من اورشليم حين تمرد ابنه أبشالوم عليه . فاذ كان قد انهكه الحزن والاعياء الذي ناله عند هروبه فقد توانى هو وجماعته بضع ساعات بجانب نهر الاردن بقصد الراحة . وقد ايقظه الإخطار الذي يأمره بالهروب فى الحال. كان يجب على تلك الجماعة من الرجال والنساء والاولاد الصغار ان يعبروا النهر العميق السريع الجريان تحت جنح الظلام لان جيوش الابن الخائن كانت تجدُّ فى اثرهم

ففي احلك ساعات التجربة تغنى داود بقوله :

« بصوتي الى الرب اصرخ فيجيبني من جبل
قدسه
انا اضطجعت ونمت . استيقظت لان الرب
يعضدني
لا اخاف من ربوات الشعوب المصطفين عليّ
من حولي » (مزمور ٣ : ٤ ــ ٦)

وبعدما ارتكب خطيته الفظيعة ففي حزن الندامة وكرهه لذاته اتجه مع ذلك الى الله كأفضل صديق له فصلى يقول :

« ارحمني يا الله حسب رحمتك . حسب
كثرة رافتك امحُ معاصيَّ ...
طهرني بالزوفا فأطهر. اغسلني فأبيض اكثر
من الثلج » (مزمور ٥١ : ١ ـ ٧)

ان داود فى حياتـه الطويلـة التي عاشهـا علـى الارض لم يجد مكان راحة او استقرار . وهو الذي قال : « لأننا نحن غرباء امامك ونزلاء مثل كـل آبائنا . ايامنا كالظل على الارض وليس رجاء » (١ اخبار ٢٩ : ١٥)

« الله لنا ملجأ وقوة . عونا فى الضيقات وُجد
شديدا. لذلك لا نخشى ولو تزحزحت الارض
ولو انقلبت الجبال الى قلب البحار »
« نهر سواقيه تفرح مدينة الله مقدس مساكن
العلي
الله فى وسطها فلن تتزعزع . يعينها الله عند
اقبال الصبح ...
رب الجنود معنا . ملجأنا اله يعقوب »
« الله هذا الهنا الى الدهر والابد
هو يهدينا حتى الى الموت » (مزمور ٤٦ :
١ و ٢ و ٤ ـ ٧ ؛ ٤٨ : ١٤)

ان يسوع فى حياته الارضية واجه التجربة بالتسبيح. وغالبا عندما كان الناس يتكلمون بالكلام الحاد اللاذع ، وغالبا عندما كان الجو الذي حولـه يبدو مثقلا بالحزن والتبرم والشك او الخوف الطاغي كانت تُسمع انشودته انشودة الايمان والفرح المقدس

165,166

وفى تلك الليلة الاخيرة الكئيبة ليلة عشاء الفصح وهو مزمع ان يخرج ليسلم ويموت ارتفع صوته وهو يترنم قائلا كلام المزمور :

« ليكن اسم الرب مباركا من الآن والى الابد
من مشرق الشمس الى مغربها اسم الرب مسبح »

« احببت لأن الرب يسمع صوتي تضرعاتي
لانه أمال أذنه اليَّ . فأدعوه مدة حياتي
اكتنفتني حبال الموت اصابتني شدائد الهاوية
كابدت ضيقا وحزنا. وباسم الرب دعوت آه يا
رب نجِّ نفسي. الرب حنَّان وصديق والهنا
رحيم الرب حافظ البسطاء. تذللت فخلصني
ارجعي يا نفسي الى راحتك لان الرب قد
احسن اليك
لانك انقذت نفسي من الموت وعيني من الدمعة
ورجليَّ من الزلق » (مزمور ١١٣ : ٢ و ٣ ؛ ١١٦ : ١ ـ ٨)

وفى وسط الظلمات الداجية فى ازمة الارض الاخيرة العظيمة سيضيء نور الله بأشد لمعان . وستسمع اغنية الرجاء والثقة فى أصفى وأعلى انغامها ـ قائلة :

« فى ذلك اليوم يغنَّى بهذه الاغنية فى ارض يهوذا
لنا مدينة قوية . يجعل الخلاص اسوارا ومترسة

افتحوا الابواب لتدخل الامة البارة الحافظة الامانة
ذو الرأي الممكن تحفظه سالما سالما لانه عليك متوكل
توكلوا على الرب الى الابد لان فى ياه الرب صخر الدهور » (اشعياء ٢٦ : ١ ــ ٤)

« ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون بترنم وفرح ابدي على رؤوسهم . ابتهاج وفرح يدركانهم ويهرب الحزن والتنهد » (اشعياء ٣٥ : ١٠)

« فيأتون ويرنمون فى مرتفع صهيون ويجرون الى جود الرب ... وتكون نفسهم كجنة ريا ولا يعودون يذوبون بعد » (ارميا ٣١ : ١٢)

قوة التسبيح

ان تاريخ تسابيح الكتاب مليء بالمقترحات من ناحية استعمالات وفوائد الموسيقى والتسبيح . فكثيرا ما تنحرف الموسيقى وتفسد لتخدم اغراض الشر وهكذا تصير من افعل العوامل المغرية للوقوع فى التجربة . ولكن متى استخدمت استخداما صائبا فأنها تصير هبة ثمينة من هبات الله قصد بها ان تسمو بالافكار الى المباحث السامية والنبيلة ، وتلهم النفس وترفعها

وكما ان بني اسرائيل فى اثناء رحلاتهم فى البرية كانوا يتسلون فى طريقهم بموسيقى التسابيح المقدسة هكذا

يأمر الله اولاده اليوم ان يبهجوا حياتهم حياة الاغتراب .
ولا توجد غير وسائل قليلة افعل فى تثبيت كلامه فى الذهن من ترديده فى التسبيح . ومثل هذا التسبيح له قوة عجيبة . فله قوة على اخضاع وترويض الطباع الفظة غير المهذبة ، قوة لايقاظ الفكر وايقاظ العطف ولترقية الانسجام فى العمل ولإبعاد الكآبة والتشاؤم اللذين يلاشيان الشجاعة ويضعفان النشاط والعمل

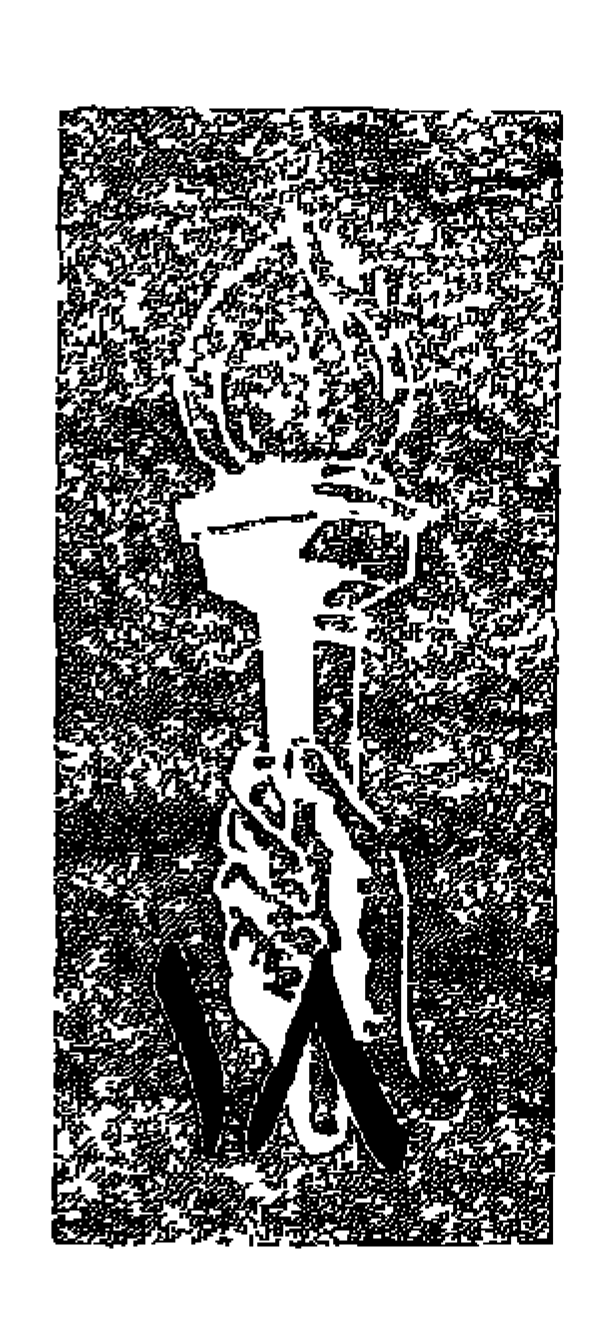
وهو من افضل الوسائل فى طبع الحق الروحي فى القلب . فكم من مرة تسترجع الذاكرة للنفس المتضايقة الموشكة على اليأس بعضا من كلام الله — قرار ترنيمة نسي منذ عهد الطفولة — والتجارب تضعف قوتها :
والحياة تتخذ معنى جديدا وغرضا جديدا ، وتمنح الشجاعة والفرح لنفوس اخرى !

ينبغي الا تغيب عن بالنا قيمة التسبيح كوسيلة للتربية . وليكن التسبيح فى البيت بترانيم حلوة وطاهرة ، ولنقلل من كلام الذم ونكثر من البهجة والرجاء والفرح .
ليكن فى المدرسة تسبيح وحينئذ يقترب التلاميذ الى الله ويزيدون اقترابا الى معلميهم والى بعضهم البعض

التسبيح كجزء من الخدمة الدينية هو عمل من اعمال العبادة كالصلاة . وفى الحق ان كثيرا من التسابيح هي صلوات. فاذا تعلم الطفل ان يعرف هذا فسيفكر اكثر فى معنى كلمات التسابيح وسيكون اكثر تأثرا بقوتها

167, 168

واذ يقودنا الفادي الى عتبة الاله السرمدي فاذ نتألق بمجد الله فيمكننا ان نتلقف موضوع التسبيحة من فرق الترنيم السماوية الذين حول العرش ، واذ يتردد صدى تسبيح الملائكة فى بيوتنا على الارض فستجتذب القلوب الى المرنمين السماويين . ان شركة السماء تبدأ علــى الارض . فنحن نتعلم هنا جوهر تسبيحة السماء



١٨ أسرار الكتاب المقدس

لا يمكن لعقل انسان محدود ان يدرك صفات الاله السرمدي غير المحدود او اعماله . فنحن لا نستطيع بواسطة البحث والاستقصاء ان نكتشف الله . فبالنسبة الى اقوى العقول واسماها تهذيبا ، كما بالنسبة الى اضعف العقول واشدها جهلا فأنه ذلك الكائن القدوس يجب ان يظل ملتحقا بالسرية . ولكن مع ان « السحاب والضباب حوله » فأن « العدل والحق قاعدة كرسيه » (مزمور ٩٧ : ٢) . فيمكننا حتى الان ان ندرك معاملته معنا بحيث نفهم الرحمة غير المحدودة متحدة ومرتبطة بالقوة السرمدية . ونستطيع ان نفهم من مقاصده قدر ما نستطيع ان نستوعبه . وابعد من هذا يمكننا ان نظل واثقين بتلك اليد القادرة على كل شيء والقلب المفعم بالمحبة

ان كلمة الله ، مثلها كمثل منشئها ومبدعها تقدم اسرارا

لا يمكن للخلائق المحدودة ان تدركها ادراكا كاملا . ولكن الله اودع فى الكتب المقدسة البرهان الكافي على ان الله مصدرها . فوجوده وصفاته وصدق كلمته ثابتة بموجب الشهادة التي تقرع ابواب عقولنا وهـي شهادة متعددة ووافرة. نعم انه لم يستبعد امكانية الشك ، وان الايمان يجب ان يبنى على البرهان لا على المظاهر ، فالذين يريدون ان يتشككوا لديهم الفرصة لذلك ، اما مـن يريدون ان يعرفوا الحق فيجدون اساسا راسخا لايمانهم

ولا يوجد سبب يدعونا للشك فى كلمة الله لكوننا لا ندرك اسرار عنايته : اننا فى العالم الطبيعي محاطون على الدوام بعجائب فوق ادراكنا . اذاً فهل نندهش عندما نجد فى العالم الروحي ايضا اسرارا لا نستطيع ان نسبر غورها ؟ ان الصعوبة كلها تكمن فى ضعف عقل الانسان وضيقه

واسرار الكتاب المقدس التي هي اسمى وابعد من ان تتطاول الحجج المضادة لها للنيل منها هي مـن اقوى البراهين على انه موحى به من الله . فاذا كان البيان الذي يورده عن الله مما يمكننا ان ندركه ، واذا امكن للعقول المحدودة أن تفهم عظمته وجلاله فان الكتاب المقدس لا يمكن ان يحمل البراهين ، التي لا تخطىء ، على مصدره الالهي كما هو الحال الآن . ان عظمة مواضيعه وابحاثه يجب ان تلهمنا الايمان بأنه كلمة الله

والكتاب المقدس يفصّل لنا الحق ببساطة ومطابقة لحاجات واشواق القلب البشري اذهلتا وسحرتا اسمى

العقول تهذيبا ، فى حين انه بالنسبة الى الوضعاء وغير المتعلمين يوضح لهم طريق الحياة : « من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل » (اشعياء ٣٥ : ٨) . لا حاجة بأي طفل ان يخطىء الطريق . ولا حاجة باي طالب مرتعب ان يفشل فى السير فى النور الطاهر المقدس . ومع ذلك فالحقائق الواردة بكل بساطة تتناول وتقدم ابحاثا سامية وبعيدة المدى وفوق مقدرة الادارك البشري بما لا يقاس — اسرار هي استتار مجده — اسرار تقهر العقل فى بحثه — فى حين انها تلهم طالب الحق المخلص بالوقار والايمان. وكلما فتشنا الكتاب المقدس ازددنا اقتناعا عميقا بأنه كلام الله الحي فينحني العقل البشري خشوعا امام جلال الاعلان الالهي

ان الله يقصد ان تنكشف حقائق كلمته دائما لمن يفتشها بغيرة . ففي حين ان « السرائر للرب الهنا » فان « المعلنات لنا ولبنينا » (تثنية ٢٩ : ٢٩) . ان فكرة كون بعض اجزاء الكتاب لا يمكن فهمها ادت الى اهمال بعض حقائقه ذات الاهمية البالغة . ان حقيقة كون اسرار الكتاب المقدس ليست كذلك لان الله قصد ان يخفي الحق بل لان ضعفنا او جهلنا يجعلانا عاجزين عن ادراك الحق او تخصيصه لنفوسنا — هذه الحقيقة تحتاج الى تأكيدها والاكثار من تكرارها . فالحصر او القصور ليس فى قصده بل فى مقدرتنا . ان الله يقصد اننا نفهم من اجزاء الكتاب تلك التي غالبا ما نغفلها على انها مما يستحيل علينا فهمه ، ان نفهم قدر ما تستطيع عقولنا ان تقبله. « كل الكتاب

هو موحى به من الله » لكي يكون كلٌ منا « متأهبا لكل عمل صالح » (٢ تيموثاوس ٣ : ١٦ و ١٧)

من المستحيل على اي عقل بشري ان يستنفد حقا واحدا او حتى وعدا واحدا من الكتاب . فإن واحدا يدرك المجد من وجهة نظر خاصة ، بينما آخر يدركه من وجهة اخرى . ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن ندرك غير لمحات بسيطة. امـا اللمعان او التألق الكامل فهو ابعد من ان نراه بعيوننا

وعندما نتأمل فى عظائم كلمة الله فأننا ننظر الى نبع يزيد اتساعا وعمقا امام ابصارنا . فاتساعه وعمقه يفوقان ادراكنا ومعرفتنا . وعندما نحدق النظر تتسع الرؤيا ، واذ تنبسط امامنا نرى بحرا لا حدود له ولا شواطىء

هذه الدراسة لهـا قوة منشطة . فالعقـل والقلب يكتسبان قوة جديدة وحياة جديدة

هذا الاختبار هو اسمى برهان على ان الله هو مبدع الكتاب. اننا نقبل كلمة الله كغذاء للنفس بنفس البرهان الذي به نتناول الطعام كغذاء للجسد . فالخبز يسد حاجة طبيعتنا ، فنحن نعلم بالاختبار بأنه يولد الدم والعظـم والمخ . طبّق نفس الاختبار على الكتاب ، فعندما تصير مبادئه بالفعل هي عناصر الخلق فماذا تكون النتيجة ؟ وما هي التغييرات التي حدثت فى الحياة ؟ « الاشياء العتيقة قد مضت . هوذا الكل قد صار جديدا » (٢كورنثوس ٥ : ١٧) . وبقوته حطم الرجال والنساء قيود العادات الآثمة.

وقد نبذوا الاثرة . والفاسدون صاروا ورعين والسكيرون اصبحوا صاحين ، والخلعاء صاروا اطهـارا . والنفوس التي كانت تحمل صورة الشيطان تغيرت الى صورة الله فهذا التغيير هو نفسه معجزة المعجزات. فالتغيير الذي يحدث بواسطة الكلمة هو من اعمق اسرار الكلمة . نحن لا نستطيع ادراكه ، انما نستطيع فقط ان نؤمن كما هو معلن فى الكتاب ان : « المسيح فيكم رجاء المجد » (كولوسي ١ : ٢٧)

ومعرفة هذا السر تقدم مفتاحا لمعرفة كل سر آخر ، وهي تفتح للنفس كنوز الكون وامكانيات للنضوج غير المحدود

وهذا النضوج يمكن اكتسابه حين يكشف لنا باستمرار عن صفات الله ـــ مجد وسر الكلمة المكتوبة . فلو امكن لنا ان نصل الى معرفة كاملة لله ولكلمته فلن يبقى لنا بعد ذلك حق نكتشفه ولا معرفة اعظم ولا نمو الى ما هو ابعد . ولن يعود الله هو السيد الاعظم والاسمى والانسان يكف عن التقدم . ولكن شكرا لله فالامر ليس كذلك. فما دام الله غير محدود وفيه كل كنوز الحكمة فاننا سنظل مدى اجيال الابد نفتش ونتعلم ، ومع ذلك فلن نستنفد غنى حكمته وصلاحه وقدرته



١٩ التَّاريخ والنُبُوة

ان الكتاب المقدس هو اقدم واشمل تاريخ يمكن للناس ان يقتنوه . وقد اتى جديدا من نبع الحق الازلي ، ومدى اجيال طويلة حفظت له يد الهية طهارته . وهو ينير الماضي البعيد جدا حيث تحاول المباحث العلمية البشرية ان تتطلع عبثا او تخترق الحجب . ففي كلمة الله وحدها نشاهد القوة التي وضعت اساسات الارض وبسطت السموات . ففي هذا الكتاب وحده نجد بيانا موثوقا به عن اصل الامم والشعوب . وفي هذا الكتاب فقط يقدّم تاريخ عن جنسنا لا تشوبه الكبرياء او التعصب البشري

في الاخبار القديمة للتاريخ البشري نجد ان نمو الامم وقيام الامبراطوريات وسقوطها يبدو وكأن يعتمد على ارادة الانسان وبسالته. وصوغ الاحداث يبدو وكأن الذي يتحكم فيه قوة الانسان او طموحه او هواه الى حد كبير. اما في كلمـة الله فأن الستار يزاح جانبا فتشاهد خلف وفوق

وداخل كل شيء تضارب المصالح البشرية والقوة والاهواء الانسانية ، نشاهد قوات الاله الكلي الرحمة تتمم بسكون وصبر مشورات ارادته

ان الكتاب المقدس يكشف لنا عن الفلسفة الحقيقية للتاريخ . ففي تلك الكلمات التي لا تبارى فى جمالها ورقتها التي نطق بها بولس الرسول فى مسامع حكماء اثينا اوضح قصد الله فى الخليقة وتوزيع الاجناس والامم ، اذ يقول : « وصنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض وختم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم . لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه » (اعمال ١٧ : ٢٦ و ٢٧) . فالله يعلن ان اي انسان يريد يمكنه ان يدخل « فى رباط العهد » (حزقيال ٢٠ : ٣٧) . وقد كان قصده فى الخلق ان يسكن الارض خلائق يجب ان يكون وجودهم بركة لانفسهم ولبعضهم البعض ومجدا لخالقهم . فكل من يريدون يمكنهم ان يقرنوا انفسهم بهذا القصد . وقد قيل عنهم : « هذا الشعب جبلته لنفسي. يحدث بتسبيحي » (اشعياء ٤٣ : ٢١)

لقد اعلن الله فى شريعته المبادىء التي هي اساس كل نجاح حقيقي للأمم وللافراد . ان موسى قد اعلن للشعب العبراني عن شريعة الله قائلا : « ذلك حكمتكم وفطنتكم » ، « لانها ليست امرا باطلا عليكم بل هي حياتكم » (تثنية ٤ : ٦ ؛ ٣٢ : ٤٧). والبركات التي ضُمنت هكذا للعبرانيين تُضمن لكل امة ولكل فرد تحت السموات الواسعة بنفس الشروط وبنفس الدرجـة

والسلطان الذي يمارسه كل حاكم على الارض هو منحة السماء له ، وعلى حسن استخدام السلطان المعطى له هكذا يتوقف نجاحه . وان كلام الرقيب الالهي لكل واحد هو هذا : « نطقتك وانت لم تعرفني « (اشعياء ٤٥ : ٥) . والكلام الذي ُوجّه الى نبوخذنصر قديماً هو درس الحياة لكل فرد : « فارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين لعله ُيطال اطمئنانك » (دانيال ٤ : ٢٧)

فلكي نفهم هذه الامور — لكي نفهم ان « البر يرفع شأن الامة » وان « الكرسي يثبت بالبر » و « ُيسند بالرحمة » (امثال ١٤ : ٣٤ ؛ ١٦ : ١٢ ؛ ٢٠ : ٢٨) ، ولكي نعترف بتفاعل هذه المبادىء فى اظهار قدرة ذاك الذي « يعزل ملوكا وينصب ملوكا » (دانيال ٢ : ٢١) — هذا لكي نفهم فلسفة التاريخ

وفى كلمة الله وحدها يوضح هذا بكل جلاء . ففيها يتضح ان قوة الامم وكذلك قوة الافراد لا توجد فى الفرص او المساعدات التي تجعلهم يبدو عليهم وكأنهم محصنون لا ُيقهرون ، ولا توجد فى عظمتهم التي يفاخرون بها . انما هي تقاس بالولاء الذي به يتممون قصد الله

والمثال الذي يوضح هذه الحقيقة يوجد فى تاريخ بابل القديمة . ان انفرض الحقيقي فى حكم الامة ُرمز به لنبوخذنصر بشجرة عظيمة « بلغ علوها الى السماء ومنظرها الى اقصى كل الارض . اوراقها جميلة وثمرها كثير وفيها طعام للجميع وتحتها استظل حيوان البر وفى اغصانها

سكنت طيور السماء » (دانيال ٤ : ١١ و ١٢) . هـذا التمثيل يرينا صفة الحكم الذي يتمم قصد الله ــ الحكم الذي يحمي الامة ويدعمها

رفع الله بابل ومجدها حتى تتمم قصده . وقد صحب النجاح هذه الامة حتى وصلت الى شأو رفيع في الثروة والسلطان لم يضارعها فيه اية امة منذ ذلك الحين ، وقد رمز اليها في كتاب الوحي بـ « رأس من ذهب » وهذا ينطبق عليها تماما (دانيال ٢ : ٣٨)

ولكــن الملك اخفق في الاعتراف بالقوة التي عظمته ومجدته . فان نبوخذنصر قال في كبرياء قلبه وعجرفته : « أليست هذه بابل العظيمة التي بنيتها لبيت الملك بقوة اقتداري ولجلال مجدي » (دانيال ٤ : ٣٠)

ان بابل بدلا من ان تكون حامية للناس صارت مضطهدة متكبرة وقاسية . وان كلام الوحي الذي يصور قسوة رؤساء اسرائيل وجشعهم يكشف عن سر سقوط بابــل وسقوط كثير من الممالك منذ بدء العالم : « تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم . المريض لم تقووه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردوه والضال لم تطلبوه بل بشدة وبعنف تسلطتم عليهم » (حزقيال ٣٤ : ٣ و ٤)

وقد صدر حكم الساهر الالهي على ملك بابل يقول : « لك يقولون يا نبوخذنصر الملك ان الملك قد زال عنك » (دانيال ٤ : ٣١)

« انزلي واجلسي على التراب ايتهـا العذراء ابنة بابـل
اجلسي على الارض بلا كرسي ...
اجلسي صامتة وادخلي فى الظلام يـا ابنـة الكلدانيين
لأنك لا تعودين تدعين سيدة الممالك » (اشعياء ٤٧ : ١ ـ ٥)
« ايتهـا الساكنة على ميـاه كثيرة الوافرة الخزائن قد اتت آخرتك
كيل اغتصابك

« وتصير بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين كتقليب الله سدوم وعمورة »
« واجعلها ميراثا للقنفذ وآجام مياه واكنسها بمكنسة الهلاك يقول رب الجنود » (ارميا ٥١ : ١٣ ؛ واشعياء ١٣ : ١٩ ؛ ١٤ : ٢٣)

ان كل امة ظهرت على مسرح التاريخ سمح لهـا بأن تحتل مكانها على الارض ليرى ما اذا كانت تتمم قصـد « الساهر القدوس » ام لا . ولقد تتبعت النبوة قيام وسقوط امبراطوريات العالم العظيمـة ـ بابـل ومادي وفارس واليونان وروما . ولقد اعاد التاريخ نفسه مـع كل من هذه الممالك كما مع الامم الاقل سطوة منها . فكل منها اعطيت لها فترة اختبار وكـل منهـا فشلت وانطفأ مجدها وفارقتها قوتها وحلت فى مكانها مملكة اخرى

176,177

وعندما رفضت الامم مبادىء الله وبهذا الرفض ختمت على هلاكها ، كان لا يزال ظاهرا ان القصد الالهي السائد يعمل فى كل تحركاتهم

هذا الدرس يُتعلَّم فى تشبيه رمـزي عجيب اعطي للنبي حزقيال وهو مسبي فى ارض الكلدانيين. وقد اعطيت الرؤيا فى وقت كان حزقيال فيه مثقلا ومنحني النفس بسبب الذكريات المحزنـة والتطيرات المضطربـة . كانت ارض آبائه خربة وقد اقفرت اورشليم من السكان . وكان النبي نفسه غريبا فى ارض تفشى فيها الطمع والقسوة . واذ كان يرى الطغيان والخطأ فى كل مكان تضايقت نفسه وناح نهارا وليلا . ولكن الرموز المقدمة له اعلنت عن قوة تفوق قوة ملوك الارض

فعلى شواطىء نهر خابور شاهد حزقيال ريحا عاصفة كان يبدو انها قادمة من الشمال ، « سحابة عظيمة ونار متواصلة وحولهـا لمعان ، ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع » . وكان يوجد عدد من البكرات متقاطعة مع بعضها حركتها اربع خلائق حية . وفي مكان عالٍ كـان يُرى « شبـه عرش كمنظر حجر العقيق الازرق وعلى شبـه العرش شبه كمنظر انسان عليه من فوق » « فظهر فى الكروبيم شبه يد انسان من تحت اجنحتها » (حزقيال ١ : ٤ و ٢٦ ؛ ١٠ : ٨) . وكانت البكرات معقدة جدا فى تنظيمها حتى لقد بدا عند اول نظرة كما لو انها فى حالة تشويش ، ولكنها كانت تدور فى توافق تام . والخلائق

السماوية التي كانت تسند وتقاد باليد التي تحت اجنحة الكروبيم كانت تستحث هذه البكرات، ومن فوقها على العرش الذي من عقيق ازرق كان الاله السرمدي، وحول العرش كانت توجد قوس قزح رمزا للرحمة الالهية

وكما ان التعقيدات الشبيهة بالبكرات كانت تحت ارشاد اليد التي تحت اجنحة الكروبيم فكذلك الرواية المعقدة للأحداث البشرية هي تحت سلطان الله . ففي غمرة المنازعات والضوضاء وضجيج الامم فالجالس فوق الكروبيم لا يزال يسوس شؤون الارض

ان تاريخ الامم التي قد احتلت زمانها ومكانها المحددين لها ، شاهدة بلا وعي للحق الذي لم تكن تفقه له معنى يتحدث الينا . ان الله قد عيّن لكل امة ولكل فرد فى يومنا هذا مكانا فى تدبيره العظيم . واليوم يقاس الرجال والامم بالمقياس الذي في يد ذاك الذي لا يخطيء . والجميع بمحض اختيارهم يقررون مصيرهم والله يسيطر على الجميع لاتمام قصده

أن التاريخ الذي قد حدده أهيه العظيم فى كلمته قارنا حلقة بأخرى فى السلسلة النبوية منذ الازل فى الماضي الى الابد فى المستقبل يخبرنا اين نحن اليوم فى موكب الدهور وما يمكن انتظاره فى الزمن الآتي . كل ما سبقت النبوة فانبأتنا بأنه سيحدث الى العصر الحاضر تتبع على صفحات التاريخ ويمكننا ان نتأكد ان كل ما سيأتي سيتم فى نظامه ودوره

والسقوط النهائي لكل ممالك الارض قد انبىء عنه بوضوح فى كلمة الحق . ففي النبوة التي قيلت عندما نطق الله بالحكم على آخر ملك فى اسرائيل قدمت هذه الرسالة :

«هكذا قال السيد الرب. انزع العمامة. ارفع التاج . . . ارفع الوضيع وضع الرفيع . منقلبا منقلبا منقلبا اجعله . هذا ايضا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه اياه » (حزقيال ٢١ : ٢٦ و ٢٧)

ان التاج الذي رفع عن اسرائيل مر بالتتابع الى ممالك بابل ومادي وفارس واليونان وروما . والله يقول : « لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه اياه »

ذلك الوقت قريب . فاليوم تعلن علامات الازمنة اننا واقفون على عتبة الاحداث العظيمة الخطيرة . وكل ما فى عالمنا هو فى حالة اهتياج . وامام انظارنا تتم نبوة المخلص عن الاحداث التي تسبق مجيئه : « سوف تسمعون بحروب واخبار حروب ... لانه تقوم امة على امة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات واوبئة وزلازل فى اماكن » (متى ٢٤ : ٦ و ٧)

والوقت الراهن هو وقت اهتمام طاغ لكل الاحياء . فالحكام والساسة والرجال الذين يشغلون مناصب تنطوي على الامانة والسلطان ، والرجال والنساء المفكرون من كل الطبقات ركزوا انتباههم على الاحداث الجارية حولنا . انهم يراقبون العلاقات المتوترة القلقة الكائنة بين الامم . وهم يلاحظون الشدة التي تتحكم فى كل عنصر ارضي

ويعترفون بان شيئا عظيما وحاسما موشك ان يقع ، وان العالم على حافة ازمة هائلة

ان الملائكة يمسكون الآن برياح الحرب حتى لا تهب الى ان يقدم للعالم انذار بدينونته القادمة . ولكن عاصفة تتجمع موشكة ان تهب على الارض . وعندما يأمر الله الملائكة بأن يفكوا الرياح ويطلقوها سيكون هنالك مشهد حرب لا يمكن لقلم كاتب ان يصوره

ان الكتاب المقدس وحده يقدم فكرة صحيحة عن هذه الامور . ففيه يكشف عن المشاهد الختامية العظيمة في تاريخ عالمنا . المشاهد التي سبق ان القت ظلالها امامها واذا بصوت اقترابها يجعل الارض ترتجف وقلوب الناس تخور من فرط الخوف والهلع

« هوذا الرب يخلي الارض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها ... لانهم تعدوا الشرائع غيروا الفريضة نكثوا العهد الابدي . لذلك لعنة اكلت الارض وعوقب الساكنون فيها ... بطل فرح الدفوف انقطع ضجيج المبتهجين بطل فرح العود » (اشعياء ٢٤ : ١ ــ ٨)

« آه على اليوم لان يوم الرب قريب. يأتي كخراب من القادر على كل شيء ... عفنت الحبوب تحت مدرها. خلت الاهراء. انهدمت المخازن لانه قد يبس القمح . كم تئن البهائم هامت قطعان البقر لان ليس لها مرعى حتى قطعان الغنم تفنى» « الجفنة يبست والتينة ذبلت. الرمانة والنخلة والتفاحة كل اشجار الحقل يبست. انه قد يبست البهجة من بني البشر » (يوئيل ١ : ١٥ ــ ١٨ و ١٢)

« احشائي توجعني ... لا استطيع السكوت. لانك سمعت يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب . بكسر على كسر نودي لانه قد خربت كل الارض »

« نظرت الى الارض واذا هي خربة وخالية والى السموات فلا نور لها . نظرت الى الجبال واذا هي ترتجف وكل الآكام تقلقلت . نظرت واذا لا انسان وكل طيور السماء هربت. نظرت واذا البستان برية وكل مدنها نقضت » (ارميا ٤ : ١٩ و ٢٠ و ٢٣ – ٢٦)

« آه لان ذلك اليوم عظيم وليس مثله . وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه » (ارميا ٣٠ : ٧)
« هلم يا شعبي ادخل مخادعك واغلق ابوابك خلفك . اختبىء نحو لحيظة حتى يعبر الغضب » (اشعياء ٢٦ : ٢٠)
« لانك قلت انت يا رب ملجإي. جعلت العلي مسكنك.
لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك » (مزمور ٩١ : ٩ و ١٠)
« اله الآلهة الرب تكلم ودعا الارض من مشرق الشمس الى مغربها
من صهيون كمال الجمال الله اشرق . يأتي الهنا ولا يصمت ...
يدعو السموات من فوق والارض الى مداينة شعبه...
وتخبر السموات بعدله لانه الله هو الديان » (مزمور ٥٠ : ١ – ٣ و ٤ – ٦) .
« يا بنت صهيون ... يفديك الرب من يد اعدائك .

والان قــد اجتمعت عليــك امــم كثيرة الذين يقولــون لتتدنس ولتتفرس عيوننا فى صهيون . وهم لا يعرفون افكار الرب ولا يفهمون قصده » « لاني ارفدك واشفيك من جروحك يقول الرب » « ارد سبي خيام يعقوب وارحم مساكنه » (ميخا ٤ : ١٠ ـ ١٢ ؛ ارميا ٣٠ : ١٧ و ١٨)

« ويقال فى ذلــك اليوم هوذا هــذا الهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه. نبتهج ونفرح بخلاصه »

« يبلع الموت الى الابد . . . وينزع عار شعبه عن كل الارض لان الرب قد تكلم » (اشعياء ٢٥ : ٩ و ٨)

« انظر الى صهيون مدينــة اعيادنا . عيناك تريان اورشليم مسكنا مطمئنا خيمة لا تنتقل . . . فإن الرب قاضينا. الرب شارعنا. الرب ملكنا » (اشعياء ٣٣ : ٢٠ ــ ٢٢)

« يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسي الارض » (اشعياء ١١ : ٤) .

حينئذ سيتم قصد الله وسيكرم كل من تحت الشمس مبادىء ملكوته

« لا يسمع بعد ظلم فى ارضك ولا خراب او سحق فى تخومك

بل تسمين اسوارك خلاصا وابوابك تسبيحا »

« بالبر تثبتين بعيدة عــن الظلم فلا تخافين وعــن الارتعاب فلا يدنو منك » (اشعياء ٦٠ : ١٨ ؛ ٥٤ : ١٤)

ان الانبياء الذين كشفت لهم هذه المشاهد العظيمة

اشتاقوا لفهم فحواها . انهم قد فتشوا وبحثوا « باحثين اي وقت او ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم ... الذين اعلن لهم انهم ليس لانفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الامور التي اخبرتم بها انتم ... التي تشتهي الملائكة ان تطلع عليها » (١ بطرس ١ : ١٠ – ١٢)

وبالنسبة الينا نحن الواقفين على نفس حافة اتمام النبوات ما اعظم اهميتها ، وبأي اهتمام عميق وحي يجب ان نعتبر رسوم الامور الآتية ــ الاحداث التي منذ خرج ابوانا الاولان من عدن كان اولاد الله يرقبونها وينتظرونها ويتوقون اليها ويصلون طالبين تحقيقها !

وفى هذا الوقت الذي يجيء قبل الازمة الاخيرة العظيمة كما كان الحال قبل هلاك العالم اولا فالناس مشغولون فى المسرات وفى الركض وراء الشهوات . فاذ هم مشغولون ومستغرقون فى الامور المنظورة والزائلة فقد غابت عن انظارهم الامور غير المنظورة والابدية . فلأجل الاشياء التي تفنى بالاستعمال يضحون بالفنى الذي لا يفنى ولا يزول . فعقولهم تحتاج الى ان تسمو وترتفع وآراؤهم عن الحياة يجب ان تتسع . فهم بحاجة الى من يوقظهم من سبات الاحلام العالمية

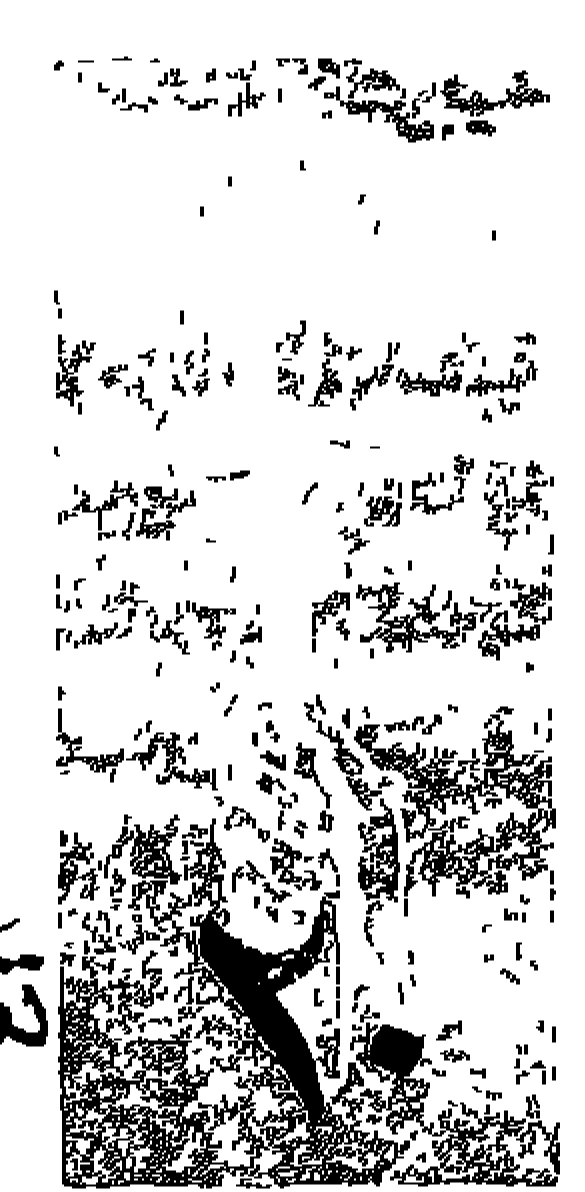
وعليهم ان يتعلموا من قيام الامم وسقوطها كما هو موضح فى الكتاب المقدس مقدار تفاهة المجد العالمي الخارجي . فبابل بكل سلطانها وفخامتها التي لم يشاهد عالمنا مثيلا لها منذ ذلك الحين ــ ذلك السلطان وتلك

الفخامــة اللذين بدا للعالم في ذلك العصر انهمـا ثابتان وباقيان ـ كم زالت واختفت من الوجود تماما ! لقد هلكت وتلاشت « كعشب الحقل» . وهكذا يهلك كل ما ليس الله اساسه ودعامته . فكل ما هو مرتبط بقصده ويعبر عن صفاته هو وحده الذي يبقى . فمبادئه هي الاشياء الوحيدة الثابتة التي يعرفها عالمنـا

هذه هي الحقائق العظيمة التي يحتاج الى ان يتعلمها الكبار والصغار . نحن بحاجة الى ان ندرس تغلغل وتفاعل قصد الله في تاريخ الامم وفي اعلان الامور الآتية حتى يمكننا ان نقدّر الامور المنظورة وغير المنظورة بقيمتها الحقيقية ، وحتى نفهم ما هو الهدف الحقيقي في الحياة وحتى عندما نرى امور الزمان الحاضر في نور الابدية يمكننا ان نستخدمها اصدق وانبل استخدام . وهكذا اذ نتعلم في هذا العالم مبادىء ملكوت الله ونصير ضمن رعايـاه ومواطنيه فعند مجيئه نكون مستعدين للدخول معه الى ملكـه

ان اليوم قريب . فبالنسبة الى الدروس التي يجب ان نتعلمها والعمل الذي يجب انجازه والتغيير الذي يجب ان يحدث في اخلاقنا ، نجد ان فترة الوقت الباقية لانجاز كل ذلك قصيرة جـدا

« هوذا بيت اسرائيل قائلون الرؤيا التي هو رائيها هي الى ايام كثيرة وهو متنبىء لأزمنة بعيدة . لذلك قل لهم . هكذا قال السيد الرب . لا يطول بعد شيء من كلامي . الكلمة التي تكلمت بها تكون يقول السيد الرب » (حزقيال ١٢ : ٢٧ و ٢٨)



٢٠ تعليم الكتاب المقدس ودراسته

كان يسوع يدرس الكتاب المقدس فى صباه وفى شبابه وفى رجولته . فكصبي صغير كان كل يوم يأتي عند ركبتي امه ليتعلم من اسفار الانبياء . وفى شبابه كـان يقضي فرصة الصباح الباكر ووقت الغروب على سفح الجبل او بين اشجار الوعر فى الصلاة ودرس كلمة الله لمدة ساعة . وفى اثناء خدمته نجد معرفته الوثيقـة للكتـاب تشهد لاجتهاده فى دراسة اسفاره . وحيث انه قد اكتسب كما يمكننا نحن ايضا فان قوته العجيبة فى العقل والروح هي شهادة لقيمة الكتاب كوسيلة من وسائل التربية

ان ابانا السماوي اذ اعطانا كلمته لم يغفل الاطفال . فأين يمكن ان يوجد فى كل ما كتبه الناس اي شيء يمكن ان يكون له سلطان على القلب ، شيء يلائم ملاءمة حسنة فى ايقاظ اهتمام الصغار كقصص الكتاب المقدس ؟

ففي هذه القصص البسيطة يمكـن ايضاح المبادىء

العظيمة فى شريعة الله . وهكذا بواسطة الامثلة المناسبة تماما لفهم الطفل وادراكه يمكن للآباء والمعلمين ان يبدأوا باكرا جدا فى اطاعة وصية الرب الخاصة بوصاياه. «قصها على اولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشي فى الطريق وحين تنام وحين تقوم » (تثنية ٦ : ٧)

ان استخدام الامثال والسبورات (اللوح الاسود) والخرائط والصور يكون مساعدا فى شرح هذه الدروس وترسيخها فى الذاكرة . ويجب على الآباء والمعلمين ان يبحثوا دائما عن اساليب افضل . فتعليم الكتاب يجب ان يظفر بأحدث تفكيرنا وافضل اساليبنا واعظم غيرة فى جهودنا

وفى ايقاظ وتقوية حب دراسة الكتاب المقدس يتوقف الشيء الكثير على استخدام ساعة العبادة . فساعات العبادة الصباحية والمسائية يجب ان تكون احلى واكثر الساعات عونا طوال اليوم. وليكن مفهوما انه ينبغي عدم اقحام اي فكر من افكار الاضطراب او القسوة فى هذه الساعات ، وان الوالدين والاولاد يجتمعون ليلتقوا بيسوع ويدعوا الملائكة القديسين للحضور الى البيت . ولتكن الخدمات قصيرة ومليئة بالحياة ومطابقة لتلك المناسبة وان تتنوع بين حين وآخر . وليشترك الجميع فى قراءة الكتاب وان يتعلموا ويرددوا مرارا شريعة الله . ومما يزيد من اهتمام الاطفال كونهم يُسمح لهم احيانا باختيار الفصول التي تُقرأ . اسألوهم عنها ودعوهم يقدمون اسئلة .

واذكروا اي شيء يصلح شرحا للفصل الكتابي . وعندما لا تكون الخدمة مملة اكثر مما يلزم ليشترك الاطفال فى الصلاه وفى التسبيح حتى ولو كانت الترنيمة عددا واحدا
فلكي تصير مثل هذه الخدمة كما يجب ان تكون يجب التفكير فى الإعداد لها . ويجب على الوالدين ان يقضوا وقتا كل يوم فى درس الكتاب مع اولادهم . لا شك ان هذا سيتطلب جهدا وتخطيطا وبعض التضحية للقيام به ولكن المجهود سيكون له جزاء وفير

وفى الاستعداد لتعليم وصايا الله يأمرنا تعالى بأن نخبئها فى القلب ـ قلوب الآباء . فهو يقول : « لتكن هذه الكلمات التي انا اوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على اولادك » (تثنية ٦ : ٦ و ٧). فلكي نحبب أولادنا فى الكتاب علينا نحن انفسنا ان نحبه • ولكي نوقظ فى نفوسهم حبا لدراسته علينا نحن ان نحبه . ان تعليمنا لهم ستكون له نفس قوة التأثير الذي تقدمه بقدوتنا وروحنا

ان الله قد دعا ابراهيم ليكون معلما لكلامه . واختاره ليكون ابا لامة عظيمة لانه رأى ان ابراهيم سيعلم اولاده وبيته مبادىء شريعة الله . وكان تأثير حياة ابراهيم هو الذي اضفى قوة على تعليمه . كانت عائلته العظيمة مكونة من اكثر من الف نسمة ، وكان كثيرون منهم ارباب عائلات ، وكان عدد غير قليل منهم مهتدين من الوثنية منذ عهد قريب . مثل هذا البيت احتاج الى يد ثابتة لتمسك بالدفة . فالوسائل المذبذبة المترددة لم تكن لتجدي . وقد

قال الله عن ابراهيم : « لاني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده » (تكوين ١٨ : ١٩) . ومع ذلك فقد مارس سلطانه بحكمة ومحبة ورقة جعلته يكسب القلوب. وشهادة الرقيب الالهي هي هذه : « ان يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا » (تكوين ١٨ : ١٩) . وقد امتد تأثير ابراهيم الى ابعد من محيط بيته . فاينما نصب خيمتــه اقــام بجوارها مذبحا للذبيحة والعبادة . وعندما كان ينقض الخيمة كان المذبح يظل باقيا • وكثيرون مــن الكنعانيين الجوابين الذين قد اكتسبوا معرفتهم لله من حياة ابراهيم كانوا يتأخرون بجانب المذبح ليقدموا ذبيحة للرب

وان تعليم كلمة الله اليوم لن يكون اقل تأثيرا متى وجد انعكاسا واستجابة امينة فى حياة المعلــم

ولا يكفي ان تعرف ما قد فكر فيه الآخرون او تعلموه عن الكتاب . فكل واحد سيقدم لله حسابا عن نفسه فى يوم الدين ، وعلى كل واحد ان يتعلم لنفسه الآن ما هو الحق . ولكن لكي تكون الدراسة فعالة يجب تجنيد اهتمام التلميذ . وعلى الخصوص يجب ان يقوم بهذا شخص عليه ان يتعامل مع الاطفال والشباب الذين يختلفون اختلافا بينا فى المزاج والتربية وعادات التفكير ــ فهذه مسألــة ينبغي ان لا تغيب عن انظارنا . وفى تعليمنا الكتاب المقدس للأولاد يمكننا ان نكتسب الشيء الكثير بملاحظة اتجاه ميول عقولهم، والاشياء التي يسرون بها واثارة اهتمامهم لمعرفة ما يقوله الكتاب المقدس عن هذه الاشياء . فذاك الذي خلقنا

بصلاحياتنا المتعددة اعطى فى كلمته شيئا لكل واحد . فاذ يرى التلاميذ ان دروس الكتاب تنطبق على حياتهم علموهم ان ينظروا اليه كناصح ومشير

وعلموهم ايضا ان يقدروا جماله العجيب . ان كثيرا من الكتب التي لا قيمة حقيقية لها ، الكتب المثيرة غير الصحية بل هي وبيلة تمتدح او على الاقل يسمح باستعمالها بسبب قيمتها العلمية المزعومة . فلماذا نسمح لاولادنا او نوجههم لان ينهلوا من هذه الينابيع الملوثة الموبوءة فى حين ان لهم كامل الحرية بأن يردوا ينابيع كلمة الله النقية ؟ أن الكتاب به ملء وقوة وعمق فى المعنى لا ينضب . فشجعوا الاولاد والشباب على ان ينقبوا عن كنوزه كنوز الفكر والتعبير

واذ يجتذب عقولهم جمال هذه النفائس فان قوة مهدئة مسكنة ومسيطرة تلمس قلوبهم . وسيجتذبون الى ذاك الذي قد اعلن لهم نفسه . وسيشتاق عدد ليس بالقليل الى ان يعرفوا المزيد عن اعماله وطرقه

ويجب ان يتعلم تلميذ الكتاب ان يدنو منه بروح المتعلم . علينا ان نفتش صفحاته ليس بحثا عن برهان يسند آراءنا بل لنعرف ما الذي يقوله الله

والمعرفة الحقيقية للكتاب يمكن اكتسابها بواسطة معونة الروح القدس وحده اذ انه هو الذي اعطانا الكلمة. ولكي نكتسب هذه المعرفة علينا ان نعيش بموجبها . فعلينا ان نطيع كل ما تأمرنا به كلمة الله . ولنا ان نطالب بكل

188,189

مواعيدها . والحياة التي تفرضها علينا هي الحياة التي بقوتها يجب ان نعيش . فحسبما نعتبر الكتاب المقدس ونقدره يمكننا ان ندرسه دراسة فعالة ومثمرة

ان دراسة الكتاب المقدس تقتضي منا بذل اقصى الجهد واعمق الفكر المثابر . فكما ان عامل المنجم يحفر طلبا الكنز الذهبي فى الارض هكذا يجب علينا ، بنفس النشاط والمثابرة ، ان نطلب كنز كلمة الله

وفى درس الكتاب المقدس يوميا كثيرا ما يكون درسه آية بعد آية ذا عون كبير . فليأخذ الطالب آية ويركز فكره وعقله فى الفكرة التي وضعها الله فى تلك الآية لاجله ، ومن ثم يتأمل فى الفكرة حتى تصير فكرته . فاذ يدرس فصلا بهذه الكيفية حتى يصير معناه واضحا لديه تماما فذلك يكون اجدى من تلاوة اصحاحات كثيرة بدون ان يضع غرضا محددا امامه وبدون ان يحصل على اي تعليم ايجابي

من اهم اسباب العجز العقلي والضعف الخلقي انعدام التركيز للحصول على غايات ذات قيمة . اننا نفاخر بتوزيع كتبنا ومطبوعاتنا على اوسع مدى، ولكن الاكثار من الكتب، حتى الكتب التي لا ضرر منها فى ذاتها قد يكون شرا اكيدا. فبواسطة السيل المنهمر من المطبوعات التي تأتي من دور الطباعة فان الكبار والصغار يكوّنون عادة القراءة السطحية السريعة فيفقد العقل القوة على التفكير المتصل الناشط ، وفوق ذلك فأن عددا كبيرا من المجلات والكتب التي ، كضفادع ارض مصر تغطي وجه الارض بازدياد مستمر ليست

189,190

مجرد امور عادية عاطلة ومضعفة ولكنها نجسة ومحطّة . ان تأثيرها ليس فقط لتسكر العقل وتدمره بل لتفسد النفس وتهلكها . فالعقل او القلب الخامل الكسول الذي لا هدف له يسقط فريسه سهلة المنال للشر . فعلى التركيبات العضوية المريضة العديمة الحياة تنمو الزوائد الفطرية . وعقل الكسلان هو معمل الشيطان . فليوجه العقل الى مثل سامية ومقدسة وليكن للحياة هدف نبيل وغرض يستوعب كل شيء وحينئذ لن يجد الشر موطئا لقدمه

اذاً فليُعلَّم الشباب أن يدرسوا كلمة الله بكل دقة . فهي اذ تقبل فى النفس تصير متراسا قويا يحميها من التجربة . والمرنم يقول : « خبأت كلامك فى قلبي لكيلا اخطىء اليك » « بكلام شفتيك انا تحفظت من طرق المعتنف » (مزمور ١١٩ : ١١ ؛ ١٧ : ٤)

والكتاب المقدس يفسر نفسه. فيجب مقارنة آية بآية. ويجب على الطالب ان يتعلم ان يرى الكلمة ككل وان يرى صلة اجزائها . وعليه ان يكتسب معرفة موضوعها المركزي الجليل عن قصد الله الاصلي لاجل العالم وعن نشوب الصراع الهائل وعمل الفداء . وعليه ان يدرك طبيعة المبدأين اللذين يتنازعان لاجل السيادة ، وعليه ان يتعلم ايضا ان يتتبع عملهما فى سجلات التاريخ والنبوة الى النهاية العظيمة . وعليه ان يرى كيف ان هذا الصراع يتدخل فى كل طور من اطوار الاختبار البشري ، وكيف انه هو نفسه

فى كل عمل من اعمال حياته يظهر الواحد او الآخر من الباعثين المتصارعين ، وكيف انه سواء اراد ام لم يرد هو حتى الآن يقرر ويحكم على اي جانب من جانبي الصراع يوجد

ان كل جزء من اجزاء الكتاب المقدس معطى بوحي من الله ونافع . ويجب ان يظفر العهد القديم بالانتباه كالعهد الجديد سواء بسواء . فاذ ندرس العهد القديم نجد ينابيع حية تتدفق حيث لا يرى القارىء المهمل غير القفر

وسفر الرؤيا بالارتباط بسفر دانيال يتطلب دراسة خاصة . فليفكر كل معلم خائف الله كيف يدرك بكل وضوح ويقدم الانجيل او البشارة التي اتى مخلصنا بنفسه ليعلم بها عبده يوحنا — « اعلان يسوع المسيح الذي اعطاه اياه الله ليري عبيده ما لا بد ان يكون عن قريب » (رؤيا ١ : ١) . ينبغي الا يفشل احد عند دراسة سفر الرؤيا بسبب رموزه الغامضة . « ان كان احدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعيّر » (يعقوب ١ : ٥)

« طوبى للذي يقرأ وللذين يسمعون اقوال النبوة ويحفظون ما هو مكتوب فيها لان الوقت قريب » (رؤيا ١ : ٣)

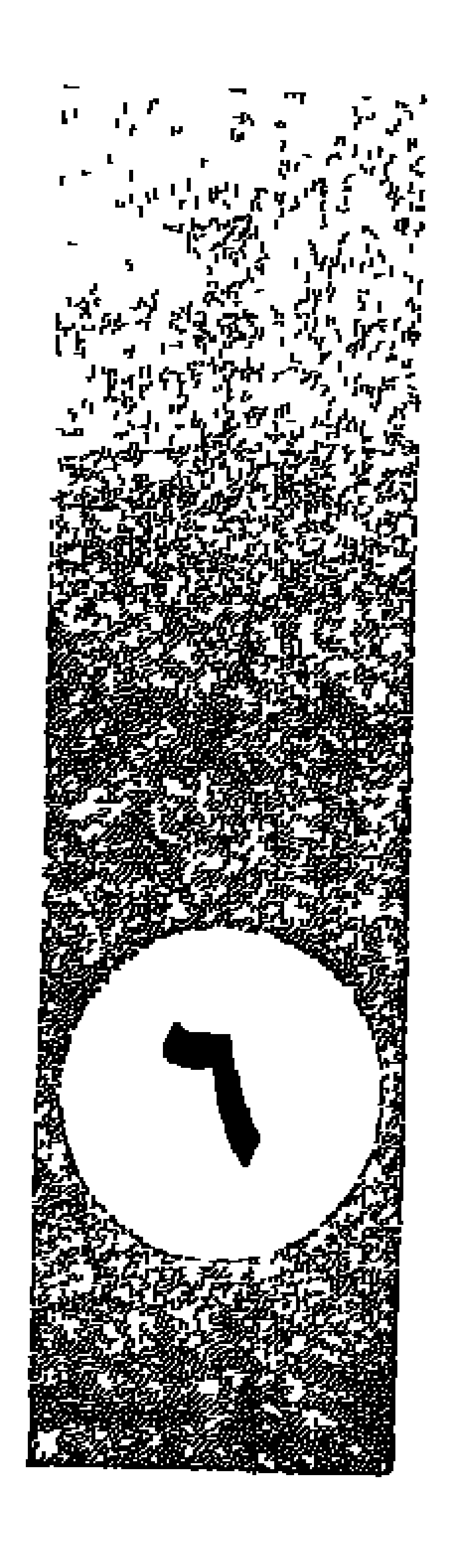
عندما توقظ فى النفس محبة صادقة للكتاب ويبدأ الطالب يعرف مقدار اتساع الحقل والقيمة الغالية الثمينة

التي للكنز الذي يحتوي عليه فهو يشتاق لانتهاز كل فرصة للتعرف بكلمة الله . ودراستها لن تكون محددة بأي وقت او مكان خاص . وهذه الدراسة المتواصلة ستكون افضل وسيلة لغرس محبة الكتاب المقدس في النفس . فليحتفظ الطالب بالكتاب المقدس معه دائما . فحسبما تكون لديك فرصة اقرأ آية وتأمل فيها. فحين تكون سائرا في الشوارع او منتظرا القطار في محطة سكة حديد ، او منتظرا مقابلة صديق بينك وبينه موعد فاحسن استخدام الفرصة لاكتساب فكرة ثمينة من خزانة الحق

ان القوى العظيمة الباعثة للنفس هي الايمان والرجاء والمحبة، والى هذه الثلاثة تستحث دراسة الكتاب المقدس ان سار فيها الانسان سيرا صحيحا. ان الجمال الخارجي للكتاب ، جمال الخيال والتعبير ان هو الا التنسيق لكنزه الحقيقي ـ جمال القداسة . وفي تاريخ الرجال الذين ساروا مع الله يمكننا ان نرى لمحات من مجده . ففي ذاك الذي « كله مشتهيات » نرى السيد الذي كل جمال في الارض والسماء ليس الا انعكاسا باهتا له . فلقد قال : « وانا ان ارتفعت عن الارض اجذب اليّ الجميع » (يوحنا ١٢ : ٣٢) . فاذ يشاهد تلميذ الكتاب شخص الفادي تستيقظ في النفس قوة الايمان العجيبة والهيام والمحبة . والانسان يثبت نظره في رؤيا المسيح. والانسان اذ يشاهده يزيد تشبها بما يهيم به . وحينئذ تصير كلمات بولس الرسول هي لغة النفس اذ يقول : « اني احسب كل شيء

ايضا خسارة من اجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي ... لاعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (فيلبى ٣ : ٨ — ١٠)

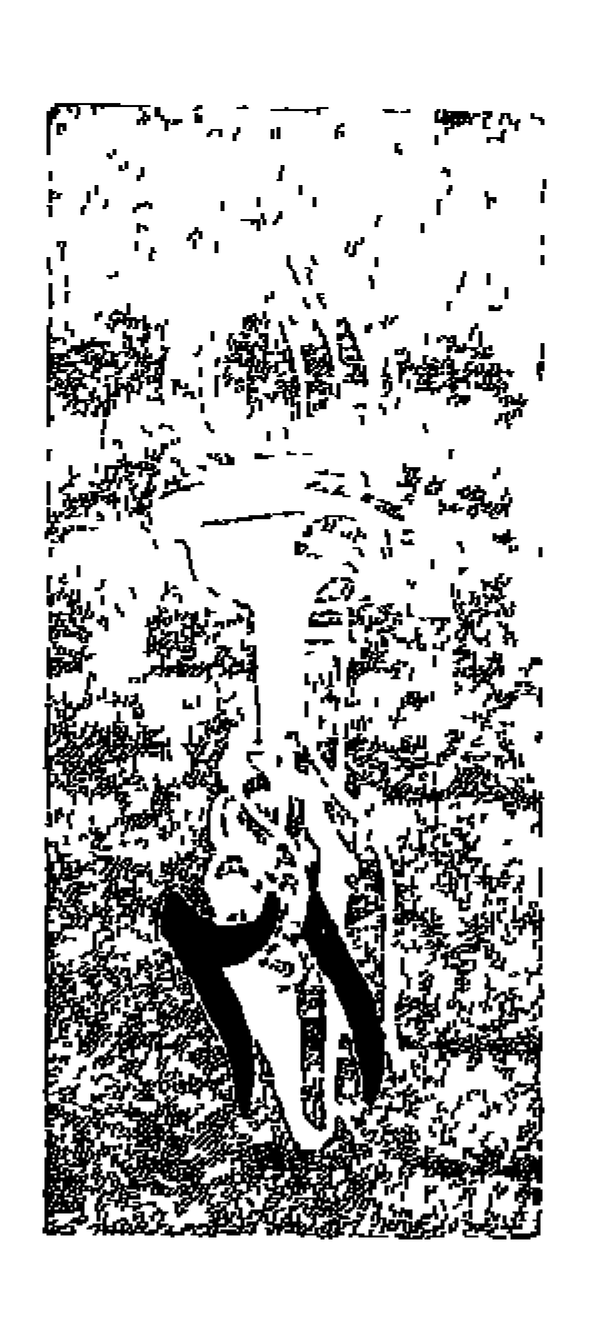
ان ينابيع السلام والفرح السماوي المفتوحة فى النفس بواسطة كلام الوحي ستصير نهرا عظيما من التأثير والقوة ليبارك كل من يقتربون منه. فليصر شباب اليوم ، الشباب الذين يكبرون والكتاب بين ايديهم آخذين ومعطين لقوته المحيية ، وما اعظم ينابيع البركة التي تفيض للعالم ! — المؤثرات التي يندر ان ندرك قوتها للشفاء والعزاء — انها انهار ماء حي. ينابيع تنبع « الى حياة ابدية » (يوحنا ٤ : ١٤)



القسم

التربيَة البدنيَّة

« ايها الحبيب في كل شيء اروم ان تكون ناجحا وصحيحا كما ان نفسك ناجحة »



دراسة الفيسيولوجيا

حيث ان العقل والنفس يجدان تعبيرا عن طريق الجسم فكلا النشاط العقلي والروحي يعتمدان على قوة الجسم ونشاطه بدرجة كبيرة ، فاي شيء يرقي وينجح صحة الجسم يزيد من نضوج العقل القوي والخلق المتزن. فبدون الصحة لا يستطيع انسان ان يفهم فهما واضحا او ان ينجز انجازا كاملا التزاماته لنفسه أو لبني جنسه او نحو خالقه . ولذلك يجب المحافظة على الصحة بكل امانة كالخلق . وان معرفة الفيسيولوجيا وحفظ الصحة يجب ان تكون اساس كل مجهود تربوي

ولكن مع ان حقائق الفيسيولوجيا مفهومة الآن لدى الجميع فان هنالك اهمالا مخيفا من ناحية مبادىء الصحة . وحتى بين من لهم معرفة بهذه المبادىء لا يوجد غير القليلين الذين يمارسونها عمليا . فالناس يتبعون الميل

او النزعات بعمى وجهل كما لو ان الحياة تتحكم فيها مجرد الصدفة وليس قوانين محددة لا تتغير

ان الشباب فى نضارة الحياة ونشاطها قلما يعرفون قيمة نشاطهم المتكاثر . فالكنز الذي هو اغلى من الذهب وجوهري لاجل النجاح والتقدم من العلم والمقام والغنى ـ كيف يُنظر اليه باحتقار واستخفاف . وبأي طياشة يبعثر ! ما اكثر ما يضحي الناس بالصحة فى كفاحهم سعيا وراء الغنى او السلطان ، وعندما يكاد يصل الفرد الى الهدف الذي يشتهيه يسقط عاجزا ، فى حين ان انسانا آخر يملك صحة وجلدا فائقا قد فاز بالجعالة التي كان يتوق اليها ! ما اكثر الناس الذين بسبب ظروف المرض الذي جاء نتيجة اهمال قوانين الصحة انساقوا الى اعمال شريرة مضحين بكل ما جاء لهذه الحياة والحياة الاخرى !

وفى دراسة الفيسيولوجيا يجب ارشاد التلاميذ لرؤية قيمة القوة البدنية وكيف يمكن حفظها وانماؤها بحيث تساهم اعظم واسمى مساهمة فى احراز النجاح فى معركة الحياة العظيمة

ويجب تعليم الاطفال منذ الصغر دروسا سهلة بسيطة عن مبادىء الفيسيولوجيا وعلم الصحة . ولتبدأ الام بهذا العمل فى البيت ويجب متابعته بكل امانة فى المدرسة . واذ يتقدم التلاميذ فى العمر يجب الاستمرار فى تعليم هـذه المادة حتى يصيروا مؤهلين للعناية بالبيت الذي يعيشون فيه . ويجب عليهم ان يدركوا اهمية التحفظ من المرض

بالمحافظة على نشاط كل عضو . كما يجب تعليمهم كيف يعالجون الامراض العادية والاصابات التي تنجم عن الحوادث . فعلى كل مدرسة ان تقدم للطلبة ارشادات فى الفيسيولوجيا وعلم الصحة، وبقدر المستطاع يجب امدادها بالامور المساعدة على تمثيل ورسم جسم الانسان واستخدام الجسم والعناية به

توجد بعض المسائل غير متضمنة عادة فى درس الفيسيولوجيا وينبغي ملاحظتها — امور اعظم قيمة للطالب من كثير من الاصطلاحات الفنية التي يتعلمونها عادة فى هذه المادة . ويجب ان يتعلم الشباب ان نواميس الطبيعة هي نواميس الله لمبدأ اساسي لكل تربية فى هذه المواد — وانها حقا صادرة من الله كالوصايا العشر . ان الله قد كتب على كل الاعصاب والعضلات والالياف التي فى الجسم الشرائع والقوانين التي يجب ان تحكم تركيب اجسامنا . فكل انتهاك لهذه القوانين بسبب الاهمال او العناد هو خطية نرتكبها ضد خالقنا

اذاً فكم هو لازم ان تقدم معرفة كاملة لهذه القوانين ! فمبادىء علم الصحة المنطبقة على الطعام والتمرينات البدنية ورعاية الاطفال ومعالجة المرضى وكثير من امثال هذه الامور يجب ان يكرس لها اهتمام اكثر مما تظفر به عادة

يجب تأكيد تأثير العقل على الجسم وكذلك تأثير الجسم على العقل . ان القوة الكهربائية التي فى المخ التي

تتقوى وتتحسن بواسطة القوة العقلية تحيي الجهاز كله وهي مساعد ثمين فى مقاومة المرض . فيجب أن يصير هذا واضحا . ان قوة الارادة واهمية ضبط النفس فى حفظ الصحــة وفى استردادها وتأثــير ضغط الغضب المدمر والضجر والانانية او النجاسة ، ومن الناحية الاخرى القوة العجيبة المحيية التي توجد فى الفرح والايثار والشكر ، يجب تبيانهــا

يوجد حق فيسيولوجي ــ حق نحن بحاجة الى التأمل فيــه ــ فى الكتاب : « القلب الفرحان يطيب الجسم » (امثال ١٧ : ٢٢)

يقول الله : « ليحفظ قلبك وصاياي. فانها تزيدك طول ايام وسني حياة وسلامة » « هي حياة للذين يجدونها ودواء لكل الجسد » . والكتاب يقول : « الكلام الحسن شهد عسل حلو للنفس وشفاء للعظام » (امثال ٣ : ١ و ٢ ؛ ٤ : ٢٢ ؛ ١٦ : ٢٤)

ان الشباب يحتاجون الى ان يدركوا الحق العميق الموجود فى الحقيقة الكتابية القائلة ان عند الله « ينبوع الحياة » (مزمور ٣٦ : ٩) . فليس هو فقط الموجد لكل شيء ولكنه ايضا حياة لكل الاحياء • فحياته هي التي نتناولها فى اشراق الشمس وفى الهواء النقي البليل وفى الطعام الذي يبني اجسامنا ويسند قوتنا . فبحياته نحن نوجد ساعة بعد ساعة ولحظة بعد اخرى . ان كل هباته تؤول الى الحياة والصحة والفرح لولا ان الخطيــة قــد افسدتها

« صنع الكل حسنا فى وقته » (جامعة ٣ : ١١) . والجمال او الحسن الحقيقي يتحقق لا فى افساد واتلاف عمل الله بل فى التجاوب والتوافق مع شرائع ذاك الذي خلق كل الاشياء والذي يجد سروره ولذته فى جمالها وكمالها

وعند دراسة التركيب الميكانيكي للجسم يجب توجيه الالتفات الى المطابقة العجيبة بين الوسائل والغايات والعمل المتناسق واعتماد الاعضاء المختلفة . فاذ يوقظ اهتمام الطالب هكذا ويقوده ذلك الى ان يرى اهمية التهذيب البدني فان المعلم يستطيع ان يعمل الكثير لضمان النمو الصحيح السليم والعادات الصالحة

ومن بين اول الامور التي يجب ان نهدف اليها ، انوضع السليم فى الجلوس والوقوف. لقد خلق الله الانسان مستقيما وهو يريده ان يكون حائزا لا على المنفعة الجسمانية وحسب بل على المنفعة العقلية والادبية والجمال والعظمة ورباطة الجأش والشجاعة والاعتماد على النفس التي تساعد عليها هيئة الانتصاب الى حد كبير . ليقدم المعلم أرشادات عن هذا الامر بالقدوة والوصية . بينوا لهم ما هي الهيئة السليمة واصروا على التمسك بها

ويلي الهيئة السليمة والانتصاب فى الاهمية التنفس وتهذيب الصوت . ان من يجلس ويقف منتصبا هو الذي يتنفس تنفسا سليما اكثر من غيره . ولكن على المعلم ان يقنع تلاميذه بأهمية التنفس العميق . بينوا لهم العمل

الصحي لاعضاء التنفس وانه يساعد الدورة الدموية وينشط الجسم كله ويثير الشهية ويصلح الهضم ويساعد على النوم الهادىء اللذيذ ، وهكذا ففضلا عن كونه ينعش الجسم فهو ايضا يهدىء ويسكن العقل . وعندما تبينون لهم اهمية التنفس العميق يجب الاصرار على ممارسته . فلتعط تمرينات رياضية تساعد على هذا ، وانظروا ان هذه العادة قد تمكنت منهم

ان تهذيب الصوت له مكانة مهمة فى التربية البدنية اذ من شأنه ان يوسع الرئتين ويقويهما ويبعد المرض . فلكي نضمن الالقاء الصحيح فى القراءة والخطابة اهتموا بأن يكون لاعضاء البطن المجال الكامل فى التنفس وان اعضاء التنفس غير مضغوط عليها . ليقع الاجهاد على عضلات البطن لا على عضلات الزور . وبهذه الكيفية يمكن منع الاعياء الشديد والمرض الخطير الذي يصيب الزور والرئتين . ويجب الالتفات والحرص على ضمان النطق الواضح بنغمات ناعمة رخيمة وان يكون الالقاء على مهل . فهذا فضلا عن كونه يحسن الصحة فانه يزيد كثيرا من موافقة وملاءمة وجدارة عمل الطالب

وفى تعليم هذه الامور تقدم فرصة ذهبية لتبصير الطلبة بجهالة وشر شد الحزام بقوة وكل عمل آخر من شأنه ان يقيد العمل الحيوي . ان عددا يكاد لا يحصى من الامراض يأتي نتيجة الطرق غير الصحية فى اللبس فيجب تقديم ارشادات مهمة حريصة من هذه الناحية . اقنعوا

التلاميذ بخطر السماح للثياب بأن تثقل الارداف اذ تضغط على اي عضو من اعضاء الجسم . فيجب تنظيم اللبس بحيث يعطى المجال للتنفس بكل حرية ويمكن رفع الذراعين فوق الرأس بدون صعوبة . ان اعاقة الرئتين فضلا عن كونها تمنع نموهما فهي تعطل عمليتي الهضم ودورة الدم وهكذا تضعف الجسم كله . كل امثال هذه الاعمال تضعف القوى الجسمانية والعقلية ، وهكذا تعطل تقدم الطالب وكثيرا ما تحول بينه وبين النجاح

وفى دراسة علم الصحة ينتهز المعلم الغيور كل فرصة لتبيان لزوم النظافة فى العادات الشخصية وفى كل البيئة التي يعيش فيها الانسان . ويجب التشديد على قيمة الاستحمام كل يوم فى تحسين الصحة وتنشيط قوى العقل . ويجب توجيه الالتفات ايضا الى نور الشمس والتهوية والقوانين الصحية فى غرفة النوم والمطبخ. علموا التلاميذ ان غرفة النوم الصحية والمطبخ النظيف نظافة كاملة والمائدة المنسقة بذوق سليم والمزودة باطعمة صحية سيكون لها اثر عظيم فى ضمان سعادة العائلة وتقدير كل زائر عاقل اكثر من الاثاثات الغالية الثمن فى غرفة الاستقبال . ان حقيقة كون « الحياة افضل من الطعام والجسد افضل من اللباس » (لوقا ١٢ : ٢٣) هي درس لسنا الآن اقل حاجة اليه مما عندما علّم به المعلم الالهي منذ اكثر من تسعة عشر قرنا

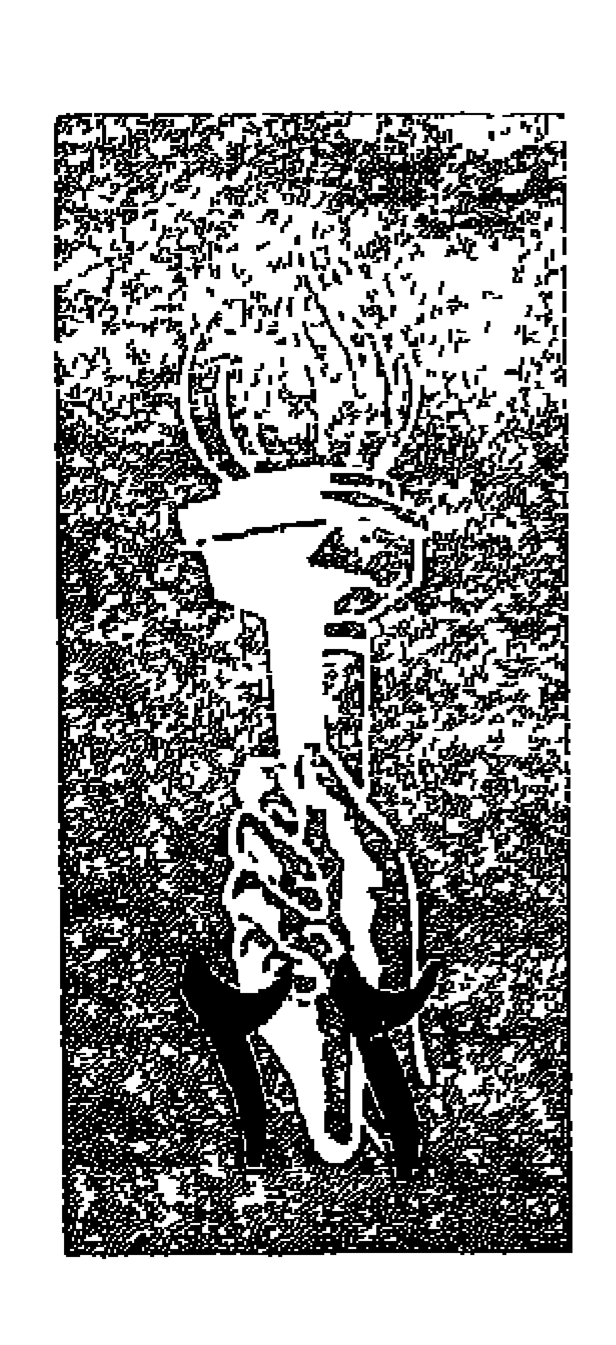
ويجب على طالب الفيسيولوجيا ان يتعلم ان غاية

199,200

دراسته ليست مجرد اكتساب معرفة الحقائق والمبادىء . فهذا وحده قليل النفع . فقد يفهم اهمية التهوية وقد تكون غرفته مزودة بالهواء النقي ، ولكن ما لم يملأ رئتيه تماما بالهواء فسيقاسي الكثير من جراء التنفس الناقص. وهكذا يمكن فهم لزوم النظافة ويمكن تدبير المساعدات اللازمة ولكن ذلك كله بلا جدوى ما لم يستعمل . ان المطلب العظيم في تعليم هذه المبادىء هو اقناع التلميذ بأهميتها بحيث يمارسها بكل امانة

ان كلمة الله ترينا بواسطة اجمل رمز مؤثر التقدير الذي يظهره نحو تركيب الجسم والمسؤولية التي تقع علينا لحفظه في افضل حالة . اذ يقول الرسول : « ام لستم تعلمون ان جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وانكم لستم لانفسكم » « ان كان احد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لان هيكل الله مقدس الذي انتم هو » (١ كورنثوس ٦ : ١٩ ؛ ٣ : ١٧)

فلتنطبع على عقول التلاميذ فكرة كون الجسد هو هيكل يشتهي الله السكنى فيه وانه ينبغي حفظه طاهرا تسكنه الافكار السامية والنبيلة . فكما في درس الفيسيولوجيا يرون انهم حقا قد امتازوا « عجبا » (مزمور ١٣٩ : ١٤) فسيلهمون بالوقار . وبدلا من تشويه عمل يدي الله فسيطمعون في عمل كل ما يمكنهم عمله لاجل انجاز تدبير الخالق العجيب المجيد . وهكذا يعتبرون الطاعة لقوانين الصحة لا كمسألة تضحية او انكار ذات بل كما هي في حقيقتها امتياز وبركة لا يمكن تقديرهما



ضبط النفس والاغذية

على كل طالب ان يفهم العلاقة بين عيشة البساطة والتفكير السامي . علينا ان نقرر كل بمفرده ما اذا كانت حياتنا ستخضع لسلطان العقل او الجسد . فعلى كل شاب بمفرده ان يقوم بذلك الاختيار الذي يشكل حياته ، ويجب عليه الا يدخر جهدا ليفهم القوى التي سيتعامل معها والمؤثرات التي تشكل الخلق والمصير

الادمان عدو يحتاج الجميع الى ان يتحفظوا منه . ان التفشي السريع لهذا الشر الرهيب يجب ان يوقظ كل محب لجنسه لمحاربته . ان عمل تقديم ارشادات فى مواضيع ضبط النفس فى المدارس هي سير فى الاتجاه الصحيح. والارشاد فى هذا النوع من العمل يجب تقديمه فى كل مدرسة وكل بيت . يجب ان يدرك الشباب والصغار تأثير الكحول والتبغ وامثال هذه السموم فى هدم الجسم وتعمية العقل واظلامه واستعباد النفس للشهوات.

ويجب ايضاح هذه الحقيقة وهي انــه ولا واحــد ممن يتعاطون هذه الاشياء يمكن ان يظل محتفظا بكامل قوى جسمه وعقله وخلقه امدا طويلا

انما لكي نصل الى جذر عدم الاعتدال يجب ان نتعمق الى ما هو ابعد من الكحول او التبغ • فالكسل او عدم وجود هدف ليسعى الانسان الى تحقيقه او العشراء الاشرار قد يكون اي من هذه هو السبب الاصلي السابق . فكثيرا ما يوجد الكحول فى غرفة المائدة فى البيوت والعائلات التي تحسب نفسها مدققة ومتعففة . فأي شيء يخل بنظام الهضم او يحدث اهتياجا غير لائق فى العقل او يضعف الجسم باية وسيلة مزعجا توازن قوى العقل والجسم او يضعف سيطرة العقل على الجسم فكل هذا يؤول الى عدم الاعتدال . ان سقوط كثيرين مــن الشباب الذين كــان يرجى منهم الخير يمكن ارجاع سببه الى الافراط فى الاكل والنهم الذي خلقه الطعام غير الصحي

الشاي والقهوة والتوابل والحلوى والفطائر كلها عوامل فعالة فى سوء الهضم . واللحم ايضا مضر . فتأثيره المنبه بالطبيعة يجب ان يكون حجة كافية لعدم تعاطيه، والامراض التي تكاد تكون عامة فى كل البهائم يجب ان تجعله مكروها جدا . وهو يهيج الاعصاب ويثير الشهوات وهكذا يعطي ميزان القوة للأميال الدنيا

ان من يعوّدون انفسهم الطعام الدسم المنبه يجدون بعد وقت ان المعدة لا تقنع بالطعام البسيط . فهي تطلب ما

هو متبّل وحرّيف ومنبه بدرجة عالية . فاذ تضطرب الاعصاب ويضعف الجسم فالارادة تبدو عاجزة عن مقاومة الشهوة غير الطبيعية . وغشاء المعدة الدقيق يصير مهتاجا وملتهبا حتى ان اقوى طعام منبه يعجز عن اعطاء الراحة. ويخلق فى الجسم ظمأ لا يمكن ان يطفئه غير المسكر

يجب التحفظ من بدايات الشر . ففي ارشاد الشباب يجب ايضاح اثر الانحراف الذي يبدو صغيرا ــ الانحراف البسيط عن الحق يجب ايضاح آثاره ايضاحا كاملا . ليتعلم الطالب قيمة الغذاء البسيط الصحي فى منع اشتهاء المنبهات غير الطبيعية . ولتغرس فى النفس عادة ضبط النفس فى سن مبكرة . وليقتنع الشباب بفكرة كونهم يجب ان يكونوا سادة لا عبيدا . ان الله قد جعلهم ملوكا على المملكة التي فى داخلهم فيجب عليهم ان يمارسوا سلطانهم المعين لهم من السماء . فمتى قدمت لهم هذه الارشادات بامانة فالنتائج ستمتد الى ابعد من دائرة الشباب انفسهم . وستنتشر التأثيرات فتخلص آلافا من الرجال والنساء الذين هم على شفا الدمار

الغذاء والنضوج العقلي

ان الصلة بين الغذاء والنضوج العقلي ينبغي ان تلاقي اهتماما اكثر كثيرا مما لاقت . فالارتباك العقلي والبلادة هما فى الغالب من نتائج الاخطاء فى الغذاء

كثيرا ما يشدد على ان الشهية تكون مرشدا امينا عند

اختبار الغذاء . لو ان قوانين الصحة اتبعت واطيعت دائما لكان هذا صحيحا . ولكن بسبب العادات الخاطئة التي يتوارثها الناس جيلا بعد جيل انحرفت الشهية وفسدت بحيث انها دائما تشتهي شيئا مضرا . والشهية كمرشد لا يمكن الوثوق بها الآن

وفى درس قوانين الصحة يجب ان يتعلم الطلبة القيمة الغذائية للأطعمة المختلفة . ويجب ايضاح تأثير الاغذية المركزة والمنبهة ، وكذلك الاطعمة الناقصة فى عناصر الغذاء. والشاي والقهوة والخبز المصنوع من دقيق ناعم (الافرنجي) والمخللات والخضر الحرشة والحلوى والتوابل والفطائر لا تقدم الغذاء الكافي . وكثيرا ما اعتلت صحة طالب نتيجة تناوله هذه الاطعمة . وكثيرون من الاطفال هم ناقصون فى النمو وعاجزون عن القيام بأي نشاط عقلي او بدني وذلك لنقص التغذية الذي صاروا ضحية له. ان البقول والفواكه والنقل والخضر اذا عمل منها خليط مناسب فهي تحتوي على كل عناصر الغذاء . ومتى اعدت اعدادا جيدا فهي تكون الغذاء الاصلح لتحسين صحة وقوة الجسم والعقل

وهنالك حاجة لمراعاة ليس فقط خواص الطعام بل ايضا موافقته لمن يأكله. فكثيرا ما يحدث ان الطعام الذي يمكن ان يأكله من يزاولون اعمالا بدنية تستدعي بذل الجهد الجسماني ، بكل حرية ، ينبغي ان يتجنبه من يشتغلون فى أعمال فكرية . وكذلك يجب الالتفات الى الخليط المناسب من الاطعمة . فالذين يشغلون عقولهم وغيرهم ممن

يزاولون اعمالا تتطلب الجلوس فى اماكنهم طوال الوقت يجب ان لا يتناولوا الا اصنافا قليلة من كل وجبة

ثم يجب الاحتراس من الاكثار من الاكل حتى ما كان طعاما صحيا جدا . ان الطبيعة لا يمكنها ان تستخدم اكثر من حاجتها لاجل بناء اعضاء الجسم المختلفة والافراط يربك الجسم . كثيرا ما يُظن ان طالبا ضعفت قواه وانهارت بسبب ادمان الدرس بينما السبب الحقيقي هو الاكثار من الاكل . وفى حين يعطى الالتفات اللائق لقوانين الصحة لا يوجد خطر كبير من الاجهاد العقلي ، ولكن فى كثير من الحالات التي تسمى بالهبوط العقلي نجد ان ما يضني الجسم ويضعف العقل هو اكتظاظ المعدة بالطعام

وفى معظم الحالات يفضّل الاقتصار على وجبتين فى اليوم بدلا من ثلاث . والعشاء متى اخذ فى ساعة مبكرة يصطدم مع هضم الوجبة السابقة . ومتى اخذ فى ساعة متأخرة فلا يمكن ان يُهضم قبل وقت النوم . وهكذا لا تتمتع المعدة بفترة راحة كافية . والنوم يتخلله الانزعاج والمخ والاعصاب تُنهك وتتعب . والشهية لتناول طعام الافطار تتلف وتعجز ، وكل الجسم يصيبه الخمول ولا يكون مستعدا للقيام بواجبات اليوم

ينبغي عدم اغفال اهمية الانتظام فى وقت الاكل ووقت النوم . فحيث ان عملية بناء الجسم تتم فى اثناء ساعات الراحة فمن اللازم جدا خصوصا بالنسبة الى الشباب ان تكون النوم منتظما وكافيا

وبقدر الامكان علينا ان نتجنب الاسراع فى الاكل . فكلما كان وقت الاكل قصيرا كلما وجب الاقلال من الاكل . فخير للانسان ان يحذف وجبة من ان يأكل دون ان يمضغ الطعام جيدا

ووقت الاكل يجب ان يكون وقتا للاحاديث الاجتماعية والانتعاش والترفيه . فكل ما يثقل او يهيج يجب استبعاده . ويجب تربية الثقة واللطف والشكر لواهب كل خير فى النفوس ، والحديث يكون مفرحا وحافزا للفكر الذي يسمو بالنفس المعيية

ان مراعاة ضبط النفس والانتظام فى كل شيء لها قوة عجيبة . وهذا سيفعل اكثر من الظروف او الهبات الطبيعية فى تنمية تلك العذوبة وهدوء المزاج اللذين لهما دخل كبير فى تمهيد طريق الحياة . وفى نفس الوقت فأن قوة ضبط النفس اذ تكتسب هكذا سيرى انها من اثمن المعدات لاجل المكافحة بنجاح مع الواجبات الصارمة والحقائق التي تنتظر كل انسان

يقول الكتاب عن الحكمة ان : « طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام » (امثال ٣ : ١٧) . فعلى كل شاب فى بلادنا بما امامه من امكانيات عن مصير اسمى من مصير الملوك المتوجين ان يتأمل فى الدرس الذي تشتمل عليه كلمات الحكيم القائلة : « طوبى لك ايتها الارض اذا كان . . . رؤساؤك يأكلون فى الوقت للقوة لا للسكر » (جامعة ١٠ : ١٧)



التسلية البريئة أو الرياضة

(الترويح عن النفس)

يوجد فرق بين التسلية واللهو . فالتسلية او الرياضة متى كانت امينة لاسمها الذي هو التجديد اوالخلق من جديد ، تعمل على التقوية والبناء والتعمير. فاذ تنتحي بنا جانبا بعيدا عن مشاغلنا العادية واعمالنا تقدم انتعاشا للعقل والجسم وهكذا تقدرنا على العودة بنشاط جديد الى عمل الحياة الجدي . اما اللهو من الناحية الاخرى فالناس يطلبونه لاجل اللذة وفى الغالب كثيرا ما ينتهي الى الافراط ، وهو يلتهم القوى التي يحتاج اليها لاجل العمل النافع ، وهكذا يتبرهن انه معطل لنجاح الحياة الحقيقي.

ان الجسم كله يُطلب منه ان يعمل . وما لم تُحفظ قوى الجسم فى حالة الصحة بواسطة التمرين الناشط فقوى العقل لا يمكن ان تظل عاملة وقتا طويلا فى اسمى امكانياتها. ان خمول الجسم الذي يبدو انه امر لا مفر

منه فى غرف التدريس ـ بالاضافة الى حالات اخرى غير صحية تجعل المدرسة مكانا شاقا للاطفال وعلى الخصوص من كان منهم ضعيفا فى تركيبه الجسماني . وفى احيان كثيرة لا تكون التهوية كافية . والمقاعد غير المريحة تشجع الاولاد على ان يكونوا فى اوضاع غير طبيعية وهكذا يتقيد عمل الرئتين والقلب . فهنا يلتزم الاطفال الصغار بأن نقضوا من ثلاث الى خمس ساعات يوميا يستنشقون الهواء الملوث وربما يكون محملا بجراثيم المرض . فلا غرابة ان كان اساس المرض الذي يدوم مدى الحياة كثيرا ما يوضع فى حجرة الدراسة . والمخ الذي هو ادق كل اعضاء الجسم والذي منه يقتبس النشاط العصبي فى كل الجسم يقاسي اعظم ضرر . فاذ يرغم على القيام بنشاط سابق للأوان او مفرط وهذا فى ظروف غير صحية فهو يضعف ، وغالبا ما تكون النتائج الوبيلة دائمة وراسخة

ينبغي ان لا يظل الاطفال محبوسين طويلا فى داخل الصفوف ، ينبغي ان لا يطلب منهم ان يكفوا عن الدرس بكل مشقة قبلما يوضع اساس سليم للنمو الجسماني . ففي السنوات الثماني او العشر الاولى من حياة الطفل يكون الحقل او البستان هو افضل مدرسة وتكون الام افضل معلمة ، والطبيعة افضل كتاب مدرسي . وحتى بعدما يشب ويصير قادرا على الذهاب الى المدرسة فان صحته يجب اعتبارها اهم كثيرا من علوم الكتب . فيجب ان يحاط بالظروف الاعظم موافقة لنمو الجسم والعقل

والطفل ليس هو الوحيد المعرض لخطر عدم وجود

هواء او تمرينات . ففي المدارس العليا كما فى المدارس الصغرى يلاحظ ان هذه الامور اللازمة لاجل الصحة لا تزال مهملة اهمالا فاضحا . فكثيرا ما يرى طالب جالسا يوما بعد يوم فى غرفة مقفلة او ضيقة منحنيا على كتبه وصدره منقبض حتى ما يستطيع ان يتنفس نفسا كاملا عميقا ، ودمه يجري فى عروقه متكاسلا وقدماه باردتان ورأسه حار . فلأن الجسم لا يتغذى الغذاء الكافي فالعضلات تضعف والجسم كله يصيبه الوهن والامراض. وكثيرا ما يصير امثال هؤلاء الطلبة سقماء مدى الحياة . كان يمكنهم ان يخرجوا من المدرسة وقد زادوا صحة فى الجسم كما فى العقل لو انهم واصلوا دراستهم فى ظروف حسنة بالتمرن بانتظام فى نور الشمس والهواء الطلق

ان الطالب الذي يكافح للحصول على التربية مع قصر وقته وضآلة موارده عليه ان يعرف ان الوقت الذي يقضى فى التمرينات البدنية لا يذهب ضياعا . فالذي ينكب على كتبه باستمرار سيجد بعد زمن ان العقل قد فقد نضارته. والذين يهتمون اهتماما لائقا بنمو الجسم سيتقدمون فى مواد العلم اكثر مما لو كرسوا كل الوقت للدرس

ان العقل اذ يتتبع فكرا واحدا بنوع خاص كثيرا ما يفقد اتزانه . ولكن كل مقدرة يمكن تدريبها بلا خوف اذا كانت قوى العقل والجسم تعمل بجهد متساو واذا تنوعت مواضيع التفكير

ان تكاسل الجسم عن العمل لا يقلل قوى العقل

وحدها بل ايضا القوة الادبية . ان اعصاب الدماغ التي تتصل بالجسم كله هي الوسيلة التي بواسطتها تتصل السماء بالانسان وتتحدث اليه وتؤثر فى عمق اعماق النفس والحياة . فأي شيء يعطل سريان التيار الكهربائي فى الجهاز العصبي وهكذا يضعف القوى الحيوية ويقلل من الحساسية العقلية يجعل من الصعب ايقاظ الطبيعة الادبية

زد على ذلك فان ادمان الدرس اذ يزيد من جريان الدم الى المخ يخلق اهتياجا سقيما يؤول الى التقليل من قوة ضبط النفس وفى اغلب الاحيان يعطي السيادة للنزعات او الشذوذ . وهكذا يفتح الباب للنجاسة . ان سوء استخدام او عدم استخدام قوى الجسم هو المسؤول الاول عن تيار الفساد المتفشي فى العالم . ان « الكبرياء والشبع من الخبز وسلام الاطمئنان »هي الاعداء المميتة للانسان ونجاحه وتقدمه اليوم وفى هذا العصر كما حينما ادت الى انقلاب سدوم وخرابها (حزقيال ١٦ : ٤٩)

فيجب على المعلمين ان يفهموا هذه الامور وان يعلموا تلاميذهم هذه الحقائق . علموا الطلبة ان العيشة المستقيمة تتوقف على التفكير السليم وان النشاط الجسماني لازم لاجل طهارة الفكر

ان المشكلة التي كثيرا ما تحير المعلمين هي مشكلة التسلية المناسبة لتلاميذهم : ان التمرينات الرياضية تشغل حيزا نافعا فى كثير من المدارس ، ولكن بدون رقابة

حريصة تمارس بافراط . وفى الملعب الرياضي وجد ان كثيرين من الشباب بواسطة براعتهم التي حاولوا اظهارها اوقعوا بأنفسهم اذى دام مدى الحيـــاة

ان التمرن فى اي ملعب رياضي مهما ادير ادارة حسنة لا يمكن ان يملأ فراغ التمرن فى الهواء الطلق ، ولاجل هذا يجب ان تدبر مدارسنا فرصة افضل . يجب على التلاميذ ان يمارسوا التمرين الناشط . ان قليلا من المساوىء يجب ان يُخشى خطرها اكثر من البلادة والطياشة . ومع ذلك فان اتجاه معظم العاب الرياضة هو موضوع التفكير الجزع لمن قد وضعوا على قلوبهم خير الشباب . ان المعلمين ينزعجون عندما يفكرون فى تأثير هذه الرياضة على تقدم الطالب فى المدرسة ونجاحـــه فى الحياة المستقبلـــة . ان الالعاب التي تستغرق جانبا كبيرا من وقته تصرف العقل عن الدرس . انها لا تساعد على اعداد الشباب للشغل العملي الجدي فى الحياة . ان تأثيرها لا يؤول الى التهذيب او الكرم او الرجولة الحقـــة

ان بعضا من اشهر الملاهي ككرة القدم والملاكمة امست مدارس للوحشية . انها تكون نفس الصفات والخصائص التي كانت للالعاب فى روما قديما. فحب السيادة والتفاخر بالقوة الوحشية واحتقار الحياة فى طياشة تسلط على الشباب قوة مفسدة للاخلاق ومخيفة

وتوجد العاب رياضية اخرى وهي وان تكن ليست متوحشة فهي مكروهة بسبب الافراط فى ممارستها. فهي

تثير حب الملذات والاهتياج وهكذا تربي كراهية العمل النافع والنفور منه والميل الى نبذ الواجبات العملية والمسؤوليات . وهي تميل الى تدمير التلذذ بحقائق الحياة الرصينة وتمتعاتها الساكنة . وهكذا يفتح الباب للاسراف والعصيان بنتائجها المرعبة

ان حفلات الانس كما تدار عادة هي من معطلات النمو الحقيقي ان فى العقل او فى الخلق . ان جماعات المستهترين وعادات الاسراف وطلب الملذات وفى اغلب الاحيان الجماعة المنغمسة فى الملذات والشهوات تتكون وهي توجه كل الحياة للشر . ولكن بدلا من اساليب اللهو هذه يمكن للوالدين والمعلمين ان يعملوا الكثير لتوفير تسليات صحية محيية

ففي هذا وفى كل ما له دخل فى سعادتنا يرشدنا الوحي الى الطريق . ففي العصور السالفة عندما كان الناس تحت ارشاد الله المباشر كانت الحياة بسيطة . فقد عاشوا قريبين من قلب الطبيعة وقد شارك الاولاد والديهم فى العمل ودرسوا الوان الجمال واسرار خزانة الطبيعة . وفى هدوء الحقل والغابة تأملوا فى تلك الحقائق العظيمة المسلمة كوديعة مقدسة من جيل لجيل . مثل هذه التربية انتجت رجالا اقوياء . . .

وفى هذا العصر صارت الحياة مصطنعة وكاذبة وقد انحط الناس . ومع اننا لا نستطيع ان نعود عودة كاملة الى العادات البسيطة التي اصطلح الناس عليها فى تلك

العصور الخوالي فأننا نستطيع أن نتعلم منهم دروسا تجعل اوقات تسليتنا خليقة بالاسم الذي أطلق عليها — اوقات بناء وتدعيم للجسم والعقل والنفس

ان بيئة البيت والمدرسة لها دخل كبير فى مشكلة التسلية . ففي اختيار بيت او موقع مدرسة يجب التفكير فى هذه الامور . فالذين يعتبرون سلامة العقل والجسم اهم من المال او مطاليب المجتمع وعاداته يجب ان يبحثوا لأولادهم عن منفعة تعليم الطبيعة والتسلية فى وسط بيئتها . فلو امكن ان تكون كل مدرسة فى موقع وسط بحيث يعمل التلاميذ فى الارض كما يسهل عليهم الوصول الى الحقول والغابات لكان ذلك يصير عونا كبيرا فى العمل التربوي

وفى انواع التسلية للطالب يمكن الوصول الى افضل النتائج بواسطة تعاون المدرس الشخصي . ان المعلم الامين يستطيع ان يقدم لتلاميذه هدايا قليلة ولكن اثمن هدية هي هدية مصاحبته لهم . انه حق بالنسبة الى الرجال والنساء وبالاحرى بالنسبة للشباب والاطفال اننا نستطيع ان نفهمهم عن طريق الاحتكاك بهم عن طريق العطف ، ونحن بحاجة الى التفاهم حتى يمكن ان نقدم نفعا فعالا . ولكي يتقوى رباط التعاطف بين المدرس والطالب فأفعل الوسائل هي المصاحبة البهيجة بينهما خارج غرفة الدرس . فى بعض المدارس يكون المعلم مع تلاميذه دائما فى ساعات تسليتهم . انه يشترك معهم فى مزاولة اعمالهم ويصحبهم فى نزهاتهم ورحلاتهم ويبدو انه قد جعل نفسه كواحد

منهم. حبذا لو عُمم هذا العمل فى كل مدارسنا . ان التضحية المطلوبة من المدرس قد تكون عظيمة ولكنه سيحصد الجزاء الوفير

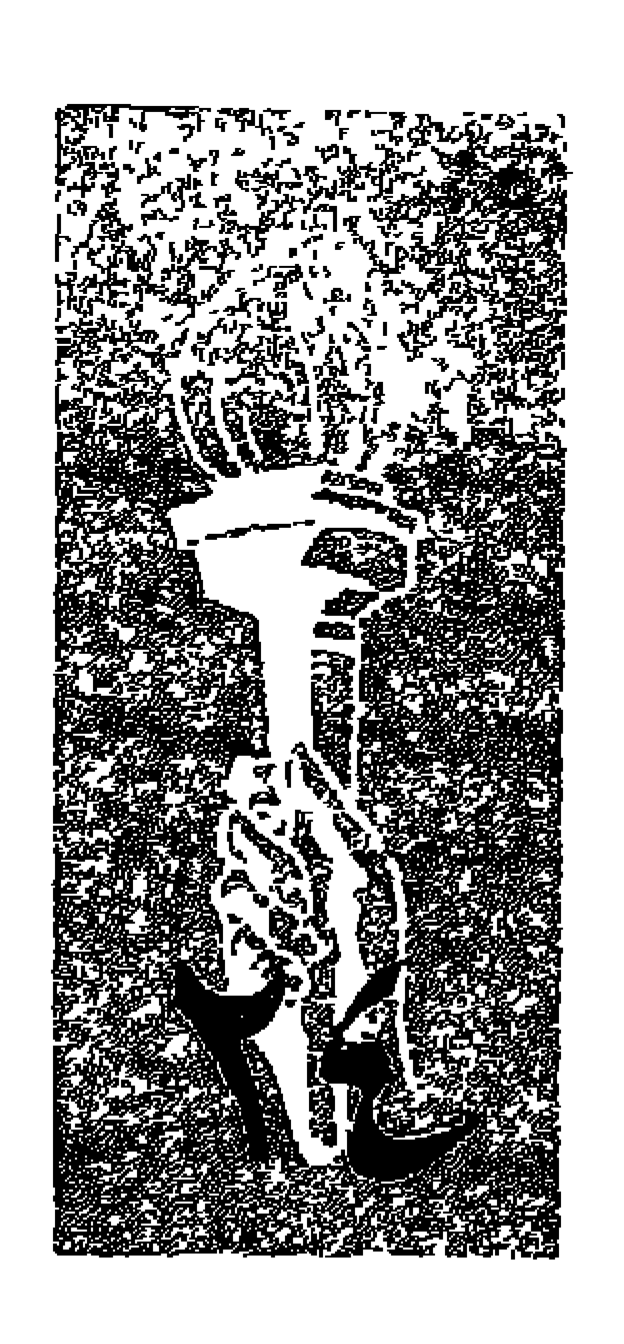
ولا توجد تسلية مساعدة للتلاميذ وحدهم ، ولكنها يمكن ان تكون بركة عظيمة للاولاد والشباب اذا جعلتهم يساعدون الآخرين. ان الشباب اذ هم بطبيعتهم متحمسون ويسهل التأثير عليهم فهم سرعان ما يستجيبون لاي اقتراح. ففي التدبير لتهذيب وزرع النباتات ليحاول المدرس ان يوقظ فى نفوس الطلبة اهتماما بتجميل بيئة المدرسة وغرفة الدرس. وستكون النتيجة منفعة مزدوجة. فما يحاول التلاميذ ان يجملوه لن يرغبوا فى افساده او تشويهه. وسيشجع الاولاد على ان يكون ذوقهم مهذبا وعلى حب النظام والحرص ، واذ تتربى فى نفوس الاولاد روح الشركة والتعاون فانها ستكون بركة لهم مدى العمر

وهكذا ايضا يمكن ان يبذل اهتمام جديد لعمل الحديقة او الرحلة الى حقل او غابة اذ يشجع ذلك الاولاد على ان يذكروا اولئك المحرومين من هذه الاماكن الجميلة ويجعلوهم يشركونهم معهم فى التمتع باشياء الطبيعة الجميلة

والمعلم اليقظ سيجد فرصا كثيرة لتوجيه التلاميذ الى اعمال المعونة. ان الاطفال الصغار على الخصوص يولون معلمهم اعظم ثقة واحترام. فاي شيء يقترحه من ناحية المساعدة فى عمل البيت او الامانة فى الواجبات اليومية

او خدمة المرضى والفقراء لا بـد ان تؤتي ثمارها. وهكذا يمكن الحصول على ربح مزدوج مرة اخرى. واقتراح عمل الرفق والاشفاق لا بـد ان يكـون له رد فعـل على من اقترحه. وان الشكر والتعاون من جانب الآباء سيخفف من عبء المدرس وينير الطريق امامه

ان الالتفات الى التسلية والتربية البدنية لا شك انـه احيانا يتعارض مع الروتين الرتيب في العمل المدرسي . ولكن هذا التعارض لن يكون معطلا حقيقيا. ففي تنشيط العقل والجسم فان تربية روح الايثار وارتباط الطالـب بالمعلم برباط المصلحة المشتركة والعشرة الحبية فان انفاق الوقت والجهد سيكافىء بمئة ضعف. وسيتوفر متنفس مبارك لذلك النشاط الذي لا يستقر والذي غالبا ما يكون مصدر خطر للشباب. ان شـغل العقل بالخير والصلاح كحارس له من الشر هو افضل بكثير من حواجز القانون والنظام التي لا تحصى



تربية العمل اليدوي

عند خلق العالم عين العمل على انه بركة. وكان يعني النمو والقوة والسعادة. ولكن حالات التغير التي طرأت على الارض بسبب لعنة الخطية احدثت تغييرا في حالات العمل، ومع انه الان مصحوب بالجزع والاعياء والالم فانه لا يزال نبعا للسعادة والنضوج. وهو حارس يقي من التجربة. فتدريبه يوقف الانغماس في الشهوات عند حده ويرقي الاجتهاد والطهارة والثبات. وهكذا يصير جزءا من تدبير الله العظيم لاسترجاعنا من السقوط

ويجب ارشاد الشباب لرؤية عظمة العمل الحقيقية. بينوا لهم ان الله هو العامل الذي لا يكف عن العمل. وكل ما في الطبيعة يقوم بالعمل المعين له. فالعمل يشمل كل الخليقة، فعلينا نحن ايضا ان اردنا ان نتمم رسالتنا ان نكون نشيطين

وفي عملنا يجب ان نكون عاملين مع الله. فهو يعطينا

الارض وذخائرها وكنوزهـا ولكن علينا ان نطبقهـا على استعمالنا وراحتنا. انه يجعل الاشجار تنمو ، انما علينا نحن ان نعد الخشب ونبني البيت. لقـد اخفى الفضـة والذهب فى جوف الارض والحديد والفحم ، ولكننا لـن نستطيع الحصول عليها بغير تعب

بينوا للناس انه فى حين ان الله قد خلق كل الاشياء ويسيطر عليها دائما فقد منحنا قوة قريبة الشبه بقوته . وقد منحنا قدرا من السلطان على قوى الطبيعة. فكمـا دعا الله الارض واخرجها بامره فى جمالها من ذلك الخراب وتلك الفوضى ، هكذا يمكننا نحن ان نخرج النظام والجمال من الارتباك والتشويش. ومع ان كل الاشـياء الان قـد شوهها الشر فاننا اذ ننظر الى عملنا الكامل نحس بفرح مماثل لفرحه ، اذ عندما نظر الى الارض الجميلة قال عنها انها « حسنة جدا »

وكقاعدة او قانون نقول ان انفع تمرين للشباب يوجد فى العمل النافع. فالطفل الصغير يجد تسليته ويحصل جسمه على النمو بواسطة اللعب ، والعابه يجب ان تكون من النوع الذي يساعد على النمو فى عقله وروحه كما فى جسده. فاذ يكتسب القوة والذكاء فان افضل تسلية له توجد فى نوع من انواع المجهود النافع. فما يدرب اليـد على المساعدة ويعلم الشباب ان يضطلعوا بنصيبهم من اعباء الحياة هو افعل شيء فى زيادة نمو العقل والخلق

ان الشباب بحاجة الى ان يتعلموا ان الحياة معناهـا

العمل الجدي والمسؤولية والحرص. وهم يحتاجون الى تربية تجعلهم عمليين ـ رجالا ونساء يستطيعون مكافحة الطوارىء. وعليهم ان يتعلموا ان التدريب على العمل المنسق والمنظم جيدا لازم وجوهري ليس فقط للوقاية من تقلبات الحياة بل ايضا كمساعد للنضوج الشامل

ولكن بالرغم من كل ما قيل وكتب عن عظمة العمل وكرامته فهنالك شعور سائد بانه يحط من قدر الانسان. فالشبان يشتاقون الى ان يكونوا معلمين او كتبة او تجارا او اطباء او محامين او ان يشغلوا وظيفة اخرى لا تتطلب تعبا جسمانيا . والشابات ينفرن من شغل البيت ويطلبن تربية فى مواد اخرى. هؤلاء يحتاجون الى ان يتعلموا ان قدر الرجل او المرأة لا ينحط بسبب العمل الشريف. ولكن الذي يحط من قدر الانسان هو الكسل والتواكل الاناني. والكسل يلد الانغماس ، والنتيجة تكون حياة خاوية جدباء ـ حقل يساعد على نمو كل شر ، « لان ارضا قد شربت المطر الآتي عليها مرارا كثيرة وانتجت عشبا صالحا للذين فلحت من اجلهم تنال بركة من الله . ولكن ان اخرجت شوكا وحسكا فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق » (عبرانيين ٦ : ٧ و ٨)

ان كثيرا من فروع الدراسة التي تستهلك وقت الطالب غير لازمة للنفع او السعادة ، ولكن يلزم كل شاب ان يحصل على معرفة كاملة للواجبات اليومية. واذا لزم الحال فيمكن للشابة ان تستغني عن معرفة اللغة الفرنسية

والجبر وحتى العزف على البيان ولكن لا بد لها من ان تتعلم كيف تخبز الخبز الجيد وكيف ترتق الملابس وتفصلها وان تتمم الواجبات اليومية الكثيرة الخاصة بتدبير المنزل بكفاءة

ولاجل ضمان صحة وسعادة كل العائلة فاعظم شيء حيوي هو المهارة والذكاء من جانب الطاهية. فبسبب الطعام غير الصحي والمعد اعدادا رديئا يمكنها ان تعيق بل وتدمر نفع الكبار ونمو الصغار. او من الناحية الاخرى اذ تعد طعاما موافقا لحاجات الجسد وفى نفس الوقت شهيا ولذيذ الطعم فهي تستطيع ان تنجز فى جانب الصواب قدر ما كانت تحدثه من الضرر لو سارت فى الاتجاه الخاطيء. وهكذا فى حالات كثيرة نجد ان سعادة الحياة مرتبطة بالامانة فى اداء الواجبات العادية

وحيث ان الرجال والنساء لهم دور فى تدبير شؤون البيت ، فكذلك يجب على الاولاد والبنات ان يحصلوا على معرفة واجبات البيت. فترتيب السرير او تنظيم اية غرفة او غسل الاطباق او اعداد وجبة طعام او أن يغسل الصبي ثيابه ويصلحها لا يجعله ذلك اقل شهامة ورجولة ، بل هذا يزيد من نفعه وسعادته. واذا كانت الفتيات بدورهن يتعلمن ان يسرجن جوادا ويستعملن المنشار والمطرقة ومشط الارض والمجرفة فسيكن اكثر اهلية لمواجهة طوارىء الحياة

ليتعلم الاطفال والشباب من الكتاب المقدس كيف اكرم

الله شغل العامل الذي يكد كل يوم. وليقرأوا عن بني الانبياء (٢ ملوك ٦ : ١ - ٧) ، طلبة المدرسة الذين كانوا يبنون بيتا لانفسهم ، ولاجلهم اجريت معجزة حتى لا تضيع الفأس المستعارة. وليقرأوا عن يسوع النجار وبولس صانع الخيام الذي قرن اسمى خدمة بعمل حرفته ، فجمع بين البشري والالهي. وليقرأوا عن الصبي الذي استخدم المخلص ارغفته الخمسة فى اجراء تلك المعجزة العجيبة باشباع جمع غفير من الناس ، وعن غزالة حائكة الثياب التي اقيمت من الاموات لتستأنف صنع الملابس للفقراء ، وعن المرأة الحكيمة الفاضلة الموصوفة فى سفر الامثال التي « تطلب صوفا وكتانا وتشتغل بيدين راضيتين » والتي « تعطي اكلا لاهل بيتها وفريضة لفتياتها » والتي « تغرس كرما » « وتشدد ذراعيها » والتي : « تبسط كفيها للفقير وتمد يديها الى المسكين » والتي « تراقب طرق اهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل » (امثال ٣١ : ١٣و١٥و١٦و١٧و٢٠ و٢٧)

يقول الله عن مثل هذه المرأة انها « تمدح. اعطوها من ثمر يديها ولتمدحها اعمالها فى الابواب » (امثال ٣١ : ٣٠ و ٣١)

ان المدرسة الصناعية الاولى لكل طفل يجب ان تكون هي البيت. وبقدر المستطاع يجب ان تكون المسهلات للعمل اليدوي متصلة بكل مدرسة. والى حد كبير يمكن ان مثل هذه التربية تسد فى مكان الملعب الرياضي مضافا الى ذلك تهيئة تدريب نافع وثمين

ان التدريب على العمل اليدوي يستحق اهتماما اكثر مما حصل عليه. فيجب اقامة مدارس تقدم افضل المسهلات الممكنة لاجل النمو الجسماني والتربية الصناعية، بالاضافة الى اسمى تربية عقلية وادبية . ويجب تقديم ارشادات فى الزراعة والصناعات تشتمل على اكبر عدد ممكن من انفع الحرف ـ وكذلك فى الاقتصاد المنزلي العائلي والطهو الصحي والحياكة وتفصيل وصنع الملابس بطريقة صحية ومعالجة المرضى وامثال هذه الاعمال. ويجب اعداد بساتين وورش وغرف للعمليات ويجب ان يكون العمل فى كل فرع من هذه الفروع تحت توجيه معلمين ماهرين

ويجب ان يكون للعمل هدف محدد وان يكون متقنا وكاملا. وفى حين ان كل انسان يحتاج الى ان يكون له بعض الالمام بالحرف المختلفة فمن اللازم له ان يكون ماهرا وخبيرا فى حرفة واحدة على الاقل. وكل شاب عند تركه المدرسة يجب ان يكون قد اكتسب معرفة صناعية او مهنة يكسب منها رزقه اذا دعت الضرورة

والاعتراض الذي يتقدم به كثيرون ضد التربية الصناعية فى المدارس هو كثرة النفقة التي يتطلبها ذلك . ولكن الفرض الذي يجب الوصول اليه يستحق تلك النفقة. فلا يوجد عمل آخر مسلم الينا مهم كتربية الشباب ، وكل نفقة تطلب لاجل انجازه بكيفية صائبة هي مال ينفق انفاقا صالحا فى عمل لازم

وحتى من وجهة نظر النتائج المالية فان النفقة المطلوبة

لاجل التدريب على العمل اليدوي سيتبرهن انها افضل اقتصاد . فجماهير غفيرة من اولادنا سيحفظون بهذه الكيفية من زوايا الشوارع ومن الحانات ، فالانفاق على البساتين والورش والحمامات سيعوض عنه بدلا من انفاقه على المستشفيات والاصلاحيات. والتلاميذ انفسهم اذ يتربون على عادات الاجتهاد ويصيرون بارعين فى انواع العمل النافع المنتج ــ فمن ذا الذي يستطيع تقدير قيمتهم للمجتمع وللأمة ؟

والحرف التي تمارس فى الهواء الطلق كاسترخاء وراحة من الدرس ، واذ تقدم تمرينا لكل الجسم لها اعظم قيمة. ليس من تدريب مهني اكثر اهمية من الزراعة . فيجب بذل مجهود اعظم لخلق الاهتمام وتشجيع الاتجاه نحو الصناعات الزراعية. وليسترع المعلم انتباه التلاميذ الى ما يقوله الكتاب عن الزراعة : ان قصد الله نحو الانسان كان ان يفلح الارض ، وان الانسان الاول حاكم العالم كله اعطيت له جنة ليزرعها ، وان كثيرين من اعاظم رجال العالم واشرافها الحقيقيين كانوا فلاحين فى الارض. بينوا لهم الفرص التي فى مثل تلك الحياة. يقول الحكيم : « الملك مخدوم من الحقل » (جامعة ٥ : ٩). والكتاب يعلن عمن يزرع الأرض قائلا : « يرشده بالحق يعلمه الهه » (اشعياء ٢٨ : ٢٦) : « من يحمي تينة يأكل ثمرتها » (امثال ٢٧ : ١٨). فالذي يكسب رزقه من الزراعة ينجو من كثير من التجارب ويتمتع بامتيازات وبركات لا تحصى يحرم منها من ينحصر عملهم فى المدن العظيمة. وفى هذه

الايام ايام الاحتكارات الهائلة والتنافس والمضاربة نجد ان قليلـين هـم الذين يتمتعون بالاستقلال الحقيقي وضمان الربح المعقول لكدهم وتعبهم كالذي يفلح الارض

وفي دراسة الزراعة ليعط للتلاميذ ليس فقط الامـور النظرية بل ايضا العملية . وفيما هم يتعلمون ما يمكـن للعلم ان يعلمه من ناحية طبيعة الارض وتهيئتها وقيمـة المحاصيل المختلفة وافضل اساليب الانتاج لتكن معرفتهم عملية بكونهم يستخدمونها. وليشترك المعلمون مع التلاميذ في العمل ويبينوا لهم النتائج التي يمكن تحقيقها عن طريق بذل الجهد الواعي. وهكذا يمكن ان يخلق فيهم اهتمام حقيقي وطموح لانجاز العمل بافضل طريقة ممكنة. مثـل هذا الطموح مضافا اليه تأثير التمرين المنشط والشمس والهواء النقي ، كل هذا يخلق حبا لعمل الزراعة بحيث انه بالنسبة لكثيرين من الشباب سيجعلهم يقررون نوع الحرفة التي يحترفونها. وهكـذا يمكن تشغيل قـوى ومؤثرات يمكنها ان تصل الى حد تحويل تيار الهجرة الذي يتجه الان بكل قوة نحو المدن العظيمة

وهكذا يمكن لمدارسنا ايضا ان تساعد بكيفية فعالـة في ميل واستعداد الطبقات المتعطلة . ان آلافا من الناس العاجزين الجياع الذين ينضمون الى الطبقات المجرمة كل يوم يمكنهم اعالة انفسهم وان يعيشوا حياة سعيدة صحية ومستقلة لو امكن توجيههم نحو العمل الماهر الناشط في زراعة الارض

ثم ان منفعة التربية المهنية يحتاج اليها ايضا الرجال الاخصائيون. فيمكن ان يكون لانسان عقل ممتاز وقد يكون سريعا فى فهم الآراء. وقد تكون معرفته ومهارته من اسباب قبوله فى مهنته المختارة ومع ذلك فقد يكون ابعد ما يكون عن اللياقة للقيام بواجباته. فالتربية التي تقتبس من الكتب وحدها تنتهي الى التفكير السطحي . ان الشغل العملي يشجع على الملاحظة الدقيقة والتفكير المستقل. ومتى مورس بكيفية صائبة فهو يؤول الى تنمية تلك الحكمة العملية التي نسميها الذوق السليم. وهو ينمي القدرة على التخطيط والتنفيذ ويقوي الشجاعة والمثابرة ويتطلب ممارسة اللباقة والمهارة

ان الطبيب الذي قد وضع اساس معرفة حرفته بالخدمة الفعلية فى غرفة المرضى ستكون عنده سرعة فى بصيرته ومعرفة شاملة وقدرة فى الطوارىء على تقديم الخدمة اللازمة ــ وكل المؤهلات اللازمة التي لا يمكن لغير التربية العملية ان تقدمها كاملة

والراعي والمرسل والمعلم سيجدون ان تأثيرهم على الشعب قد زاد كثيرا عندما يتضح انهم حائزون على المعرفة والمهارة اللتين يحتاج اليهما لاجل اداء الواجبات العملية فى الحياة اليومية. وكثيرا ما يتوقف نجاح المرسل وربما حياته نفسها على معرفة الامور العملية. فالقدرة على اعداد الطعام او على معالجة الحوادث والطوارىء او معالجة المرض او بناء بيت او كنيسة اذا لزم ــ فهذه كثيرا ما توجد كل الفرق بين النجاح والفشل فى عمل حياته

220,221

ان كثيرين من الطلبــة اذ يحرزون التربية يكتسبون اثمن تربية ان ارادوا ان يصيروا سندا لانفسهم. فبدلا من ان يورطوا انفسهم فى الاستدانة او الاعتماد على والديهم المنكرين لذواتهم ليعتمد الشبان والشابات على انفسهم . وبهذه الكيفية يعرفون قيمة المــال وقيمة الوقت والقــوة والفرص ، ولن يكونــوا فى خطــر جسيم من ان يجربــوا للانفماس فى عادات الكسل والاسراف. ودروس الاقتصاد والاجتهاد وانكار الذات وادارة العمل بكيفية عملية والثبات على العزم متى حذقها الشباب ستكون اهم جزء من سلاحهم الذي به يخوضون معركة الحياة. واذ يتعلم الطالب درس مساعدة النفس سيساعد معاهد العلم ويحفظها من عبء الاستدانة الذي ترزح تحته كثير من المدارس والذي كان له دخل كبير فى تعطيل نفعها وتعجيزه

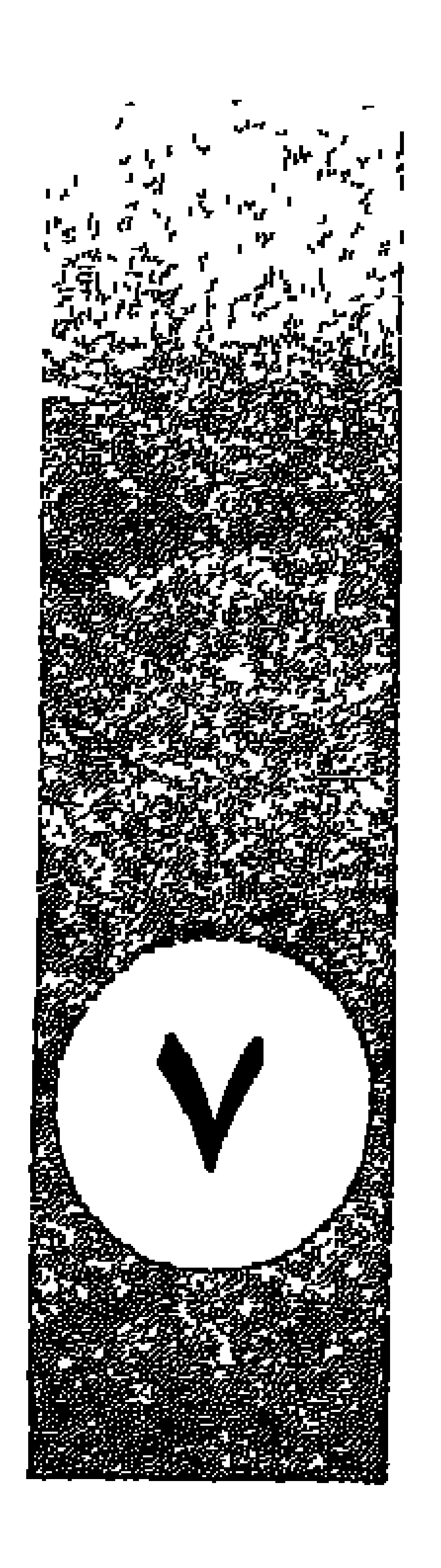
ليقتنع الشباب بفكرة كــون التربية لن تعلمهم كيف يهربون من واجبات الحياة الكريهة واعبائها الثقيلة ، وان غايتهــا تخفيف العمــل بتعليم اساليب افضــل واهداف اسمى. علموهم ان هدف الحياة الحقيقي ليس هو الظفر باعظم ربح ممكن لانفســهم بل هو تمجيد خالقهم فى القيــام بنصيبهم من عمل العالم وتقديم يد العون لمن هم اضعف منهم او اكثر جهلا

وهنالك سبب عظيم لاجلــه ينظر الى العمل البدني بالطريقة المهينة الطائشة التي يعمل بها لكونه يعمل بتهاون وعدم مبالاة. فهو يعمل بدافع من الضرورة او الاضطرار

لا بالاختيار. فالعامل لا يضع كل قلبه فيه ، وهو لا يحتفظ بعزة نفسه ولا يظفر باحترام الآخرين. فيجب ان تصحح التربية اليدوية هذا الخطأ. فيجب ان تنمي عادات الدقة والاتقان. ويجب على التلاميذ ان يتعلموا اللباقة والاسلوب ، وعليهم ان يتعلموا الاقتصاد فى الوقت وجعل كل حركة ذات قيمة. وعليهم الا يكتفوا بتعلم افضل الاساليب بل ان يلهموا بان يتقدموا دائما فى طريق التحسن. وليكن هدفهم ان يعملوا عملهم بحيث يكون قريبا جدا من الكمال بقدر ما تستطيعه العقول والايدي البشرية

مثل هذا التعليم يجعل الشباب سادة للعمل لا عبيدا له. وهو سيخفف من تعب العامل الكادح وهو سيشرف حتى احقر الحرف. فالذي يعتبر العمل مجرد استرقاق ويشرع فيه بجهل قائم على الرضى بالذات دون ان يبذل اي جهد فى سبيل التحسن سيجده حملا ثقيلا. اما اولئك الذين يلاحظون العلم فى احقر عمل سيرون فيه نبلا وجمالا وسيسرون باتمامه بامانة وكفاءة

فالشاب الذي يتربى هكذا مهما تكن حرفته فى الحياة طالما هي حرفة شريفة سيجعل مركزه مركز نفع وكرامة



القسم ٧

بناء الخُلق

« انظر ان تصنع كل شيء حسب المثال الذي اظهر لك في الجبل »



التربية والخلق

ان التربية الحقة لا تتجاهل قيمة المعرفة العلميـــة او العلوم الادبية ولكنها تقدر القوة اكثر من المعلومات، وتقدر الصلاح اكثر من القوة ، وتقدر الخلق فوق العلوم العقلية. ان العالم لا يحتاج الى رجال ذوي عقول جبارة قدر حاجته الى رجال ذوي اخـــلاق نبيلـــة. يحتاج الى رجـــال فيهم يسيطر المبدأ على المقدرة

«الحكمة هي الرأس. فاقتن الحكمة». «لسان الحكماء يحسن المعرفة» (امثال ٤ : ٧ ؛ ١٥ : ٢). والتربية الحقة تمنح هذه الحكمـــة . انها تعلمنـــا ان نستخدم افضـــل استخدام لا قوة واحدة بل كل قوانا ومعلوماتنا. وهكـــذا هي تشمل كل محيط التزامنا ــ لانفسنا وللعالم ولله

ان بناء الخلق هو اهم عمل وكل الى بني الانسان ، ولم يسبق من قبل ان كانت دراسته هامة كما هي الان . ولم يسبق لاي جيل سابق ان دعي لمواجهة مثل هـــذه

الاحـداث الخطيرة ، ولم يسبق للشـبان والشـابات ان جابهتهم مخاطر هائلة كالتي تجابههم اليوم

ففي وقت كهذا في اي اتجاه تتجه التربية المعطاة ؟ والى اي باعث يوجه النداء ؟ الى طلب ما للذات . ان كثيرا من التربية التي تعطى هي تحريف وتشويه لاسمها. وفي التربيـة الحقة يجد الطموح الإنساني والجشـع في طلب السلطان واغفال حقوق الانسانية واحتياجاتها ، التي هـي لعنة عالمنا ، تأثيرا معاكسا. ان تدبير الله للحياة فيه مجال لكل انسان. فعلى كل واحد ان يستثمر وزناته افضـل استثمار ، والامانة في عمل هذا ، سواء أكانت الهبات قليلة او كثيرة تؤهل الانسان للكرامة . ففي تدبير الله لا مجـال للتنافس الاناني. فالذين يقيسون انفسهم علـى انفسهم ويقابلون انفسهم بانفسهم لا يفهمون (٢ كورنثوس ١٠ : ١٢) . فأي شيء نفعله يجب ان يعمل : « كانه من قوة يمنحها الله » (١ بطرس ٤ : ١١). فيجب ان يعمل « من القلب كمـا للـرب ليس للناس عالمين انكـم مـن الـرب ستأخذون جزاء الميراث. لانكـم تخدمون الرب المسيح » ' كولوسي ٣ : ٢٣ و ٢٤). ثمينة هي الخدمة التي تقدم والتربية التي تكتسب بتنفيذ هذه المبادىء. ولكن ما اعظم البون الشاسع بين هذه التربية وكثير من انواع التربيـة التي تعطى في هذه الايام ! فمنذ الطفولة يتعلم الصغار حب المناظرة والمنافسة ، وهذه تلد الاثرة التي هي أصل لكـل الشرور

وهكذا تخلق المشاحنات في طلب السيطرة والسيادة

ويشجع نظام « الحشو » الذي فى حالات كثيرة جدا يدمر الصحة ويجعل الانسان غير اهل للنفع. وفى حالات اخرى كثيرة تقود المنافسة الى الخيانة ، واذ يتربى بسبب ذلك الطموح والتذمر فهـذا يمرر الحياة ويملأ العالـم بتلك الارواح الضجرة المهتاجة التي هي تهديد دائم للمجتمع

والخطر ليس قاصرا على الاساليب وحدها بل هـو يوجد ايضا فى مواد الدراسة نفسها

ما هي الاعمال التي ترشد عقول الشباب للتفكير فيها مدى السنين التي يكون العقل والمشاعر اثناءها اسـرع فى قبول المؤثرات ؟ وفى دراسة اللغة والادب من اي الينابيع يتعلم الشباب ان ينهلوا ؟ من آبار الوثنية ومن الينابيع التي تغذيها مفاسـد الوثنية القديمة . ويطلب منهم ان يدرسوا كتب المؤلفين الذين أعلن عنهم انهم لا يكترثـون لمبادىء الفضيلة

وما اكثر الكتّاب العصريين الذين يمكن ان يقال عنهم نفس هذا الكلام ! وما اكثر الذين اتخذوا حسن اللغـة وجمالها سـتارا او قناعا يخفون تحتـه المبادىء التي فى قبحها وتشوهها الحقيقي تنفر القارىء !

وفضلا عن هؤلاء توجـد جمهرة من كتّاب القصص الخياليه التي تغري بالاحلام المفرحة فى قصور الراحة . هؤلاء الكتاب قد لا يكونون معرضين لتهمة الفساد ، ومـع ذلك فان كتبهم ملأى بالشـر. ان ذلك يسلب آلافا فوق آلاف من الوقت والنشاط والتدريب الذي تتطلبه مشاكل الحياة العنيفة الصارمـة

226,227

وفى دراسة العلم كما هو متبع عادة توجد مخاطر عظيمة كتلك . فضلالة النشوء وما شاكلها من الضلالات تدرس فى المدارس من كل الدرجات من الحضانة الى الكلية. وهكذا نجد ان دراسة العلم التي يجب أن تقدم معرفة الله هي ممتزجة بآراء ونظريات الناس بحيث تنتهي الى الالحاد

بل حتى درس الكتاب كما يقدم فى المدارس فى اغلب الاحيان انما يسلب من العالم كنز كلمة الله الذي لا يقدر بثمن. ان عمل الانتقاد الاعلى (Higher Criticism) فى التشريح والتخمين واعادة التكوين انما يدمر الايمان بالكتاب كالاعلان الالهي ، وهو يسلب من كلمة الله القوة على ان تسيطر على حياة الناس وترفعها وتلهمها

واذ يخرج الشباب الى العالم لمواجهة غواياته لارتكاب الخطية التي هي شهوة كسب المال وحب اللهو والانغماس فى الخطية وحب التظاهر والترف والاسراف والاحتيال والخداع والسرقة والدمار ، فما هي التعاليم التي تلاقيها فى هذه ؟

ان ضلالة مناجاة الارواح تزعم ان الناس هم انصاف آلهة غير ساقطين وان « كل عقل سيحكم على نفسه » . وان « المعرفة الصحيحة تضع الناس فوق كل قانون » وان « كل الخطايا التي ترتكب هي بريئة » لان « كل ما يحدث هو صواب » و « الله لا يدين ». وهي تصور احط بني الانسان كمن هم فى السماء ، وهناك يحصلون على

كرامة عظيمة. وهكذا هي تعلن لجميع الناس : « لا يهم ماذا تفعلون. عيشوا كما يحلو لكم ، فالسماء موطنكم ». وجماهير غفيرة من الناس يغرر بهم ليعتقدوا ان الشهوة هي اسمى قانون ، وان الاباحية هي الحرية ، وان الانسان مسؤول امام نفسه فقط

فاذ يعطى مثل هذا التعليم فى مستهل الحياة عندما تكون النزعات على اشدها والحاجة شديدة وملحة لكبح الذات والتمسك بالطهارة فاين توجد حصون الفضيلة ؟ وما الذي يمنع العالم من ان يصير كسدوم ؟

وفى نفس الوقت تحاول الفوضى ان تكتسح كل قانون ليس فقط القوانين الالهية بل البشرية ايضا. ان تركيز الثروة والسلطان والاحتكارات لكي يفتني اقلية على حساب اكثرية ، واتحادات الطبقات الفقيرة للدفاع عن مصالحها وحقوقها ، وروح القلق والشغب وسفك الدماء ونشر نفس التعاليم التي أدت الى الثورة الفرنسية ، فى كل العالم ـ كل هذا موشك ان يجعل العالم كله يشتبك فى صراع شبيه بذاك الذي اوقع فرنسا فى الاضطراب

هذه هي القوى التي سيواجهها شباب اليوم. فلكي يصمدوا امام مثل هذه الاضطرابات عليهم الان ان يضعوا اسس الخلق

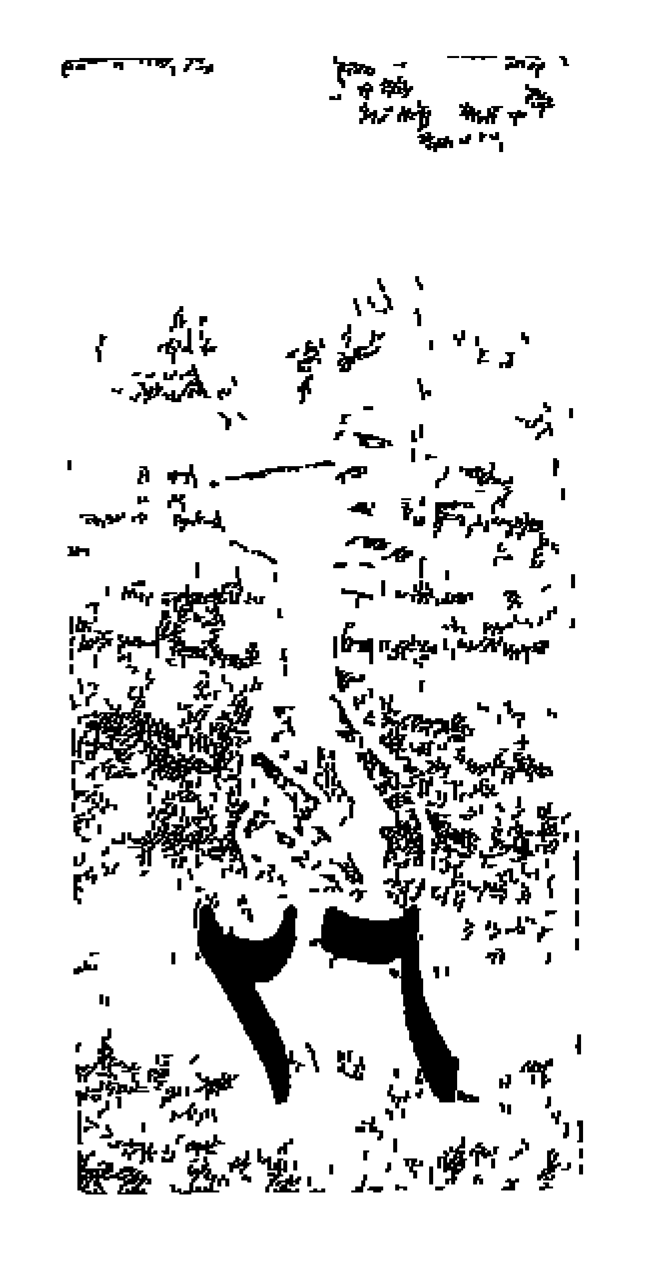
فى كل جيل وفى كل قطر نجد ان الاساس السليم ونموذج بناء الخلق لم يتغيرا. ان القانون الالهي القائل « تحب الرب الهك من كل قلبك... وقريبك مثل نفسك »

(لوقا ١٠ : ٢٧) ، المبدأ العظيم الظاهر فى صفات المخلص وحياته هو الاساس الراسخ والمرشد الامين

« أمان اوقاتك وفرة خلاص وحكمة ومعرفة » (اشعياء ٣٣ : ٦) ــ تلك الحكمة والمعرفة التي تقدمها كلمة الله وحدها

ان القول : « لان ذلك حكمتكم وفطنتكم امام اعين الشعوب » (تثنية ٤ : ٦) يصدق الان كما كان عندما قيل للعبرانيين عن الطاعة لوصايا الله

هنا الحصن الوحيد لاستقامة الفرد وطهارة البيت وسعادة المجتمع ورسوخ الامة. ففي وسط كل ارتباكات الحياة ومخاطرها ومطالبها المتضاربة فان القانون الوحيد الامين والاكيد هو العمل بما يقوله الله : « وصايا الرب مستقيمة » و « الذي يصنع هذا لا يتزعزع الى الدهر » (مزمور ١٩ : ٨ ؛ ١٥ : ٥)



اساليب التعليم

لمدى اجيال ظلت التربية تعتمد بالاكثر على الذاكرة . فهذه القوة العقلية أجهدت الى اقصى حد في حين ان القوى العقلية الاخرى لم تنضج ولا نمت نموا مماثلا. فكان الطلبة يقضون وقتهم في الاجتهاد في تكديس المعلومات في عقولهم دون ان يستفيدوا الا بقدر يسير منها . فاذ يثقل العقل بما لا يستطيع ان يهضمه او يستوعبه او يفهمه فهو يضعف ، ويمسي عاجزا عن بذل جهد ناشط بالاعتماد على مجهوده الذاتي ، ويقنع بالاعتماد على حكم الغير وادراكهم

فاذ رأى البعض مساوىء هذا الاسلوب تطرفوا الى الناحية المعاكسة. فمن رأيهم ان الانسان يحتاج فقط الى تنمية ما في داخله. مثل هذه التربية تقود الطالب الى الاتكال على نفسه وبهذا يقطع الصلة بينه وبين النبع الحقيقي للمعرفة والقوة.

ان التربية التي تنحصر في تدريب الذاكرة اذ تحاول

تثبيط همة الفكر المستقل لها اتجاه ادبي لا يظفر الا باقل تقدير. فاذ يضحي الطالب بالقوة على ان يناقش ويحكم لنفسه يمسي عاجزا عن التمييز بين الحق والضلال ويسقط فريسة سهلة للخداع. ويسهل انقياده لاتباع التقليد والعرف

انها حقيقة يجهلها الكثيرون وان لم يكن بدون خطر ، وهي ان الضلال فى النادر ما يظهر على حقيقته . انما بواسطة الاختلاط او الاتصال بالحق يحظى الضلال بالقبول . ان الاكل من شجرة معرفة الخير والشر تسببت فى هلاك ابوينا الاولين ، وقبول اختلاط الخير بالشر مهلكة الرجال والنساء فى هذه الايام. ان العقل الذي يعتمد على حكم الاخرين لا بد ان ينساق الى الضلال ان عاجلا او آجلا

ان القدرة على التمييز بين الصواب والخطإ يمكننا ان نمتلكها بواسطة الاعتماد على الله فقط. فعلى كل واحد ان يتعلم منه لنفسه بواسطة كلمة الرب. ان القوى المعطاة لنا لنفكر بها أعطيت لنا لنستخدمها ، والله يشتاق لان يراها تُستخدم. وهو القائل : « هلم نتحاجج يقول الرب » (اشعياء ١ : ١٨). انه يدعونا ، فبالاتكال عليه يمكننا ان نحصل على الحكمة اذ نرفض الشر ونختار الخير (اشعياء ٧ : ١٥ ويعقوب ١ : ٥)

فى كل تعليم حقيقي يلزم وجود العنصر الشخصي . ان المسيح فى تعليمه تعامل مع كل فرد على حدة. فبواسطة

الاحتكاك الشخصي والمعاشرة درب الاثني عشر. وقد قدم اثمن تعاليمه على انفراد وفى كثير من الاحيان لمستمع واحد. فقد فتح اثمن كنوزه لمعلم اليهود المكرم عندما اجتمعا معا فوق جبل الزيتون فى احدى الليالي ، وللمراة المحتقرة عند بئر سوخار ، لانه فى هذين السامعين عرف القلب الذي يمكن التأثير عليه والعقل المفتوح والروح الواعي . وحتى الجمع الذي كثيرا ما كان يتجمهر حول السيد ويتبعه لم يكونوا جمعا لا يمكن تمييزه من الخلائق البشرية . فقد خاطب كل عقل بمفرده مباشرة وتوسل الى كل قلب. وقد راقب سامعيه ولاحظ استنارة وجوههم والنظرات السريعة المستجيبة التي دلت على ان الحق قد تغلغل فى النفس فاهتزت اوتار قلبه بالعطف والحب

وقد لاحظ المسيح الامكانيات فى كل انسان. انه لم يتحول بعيدا بسبب وجود شيء خارجي لا يبشر بخير ، او بسبب بيئة غير موافقة . فلقد دعا متى من مكان الجباية وبطرس واخوته من قارب الصيد ليتعلموا منه

ونفس هذا الاهتمام الشخصي ونفس الالتفات الى النضوج فى الافراد يحتاج اليهما فى عمل التربية فى هذه الايام. ان كثيرين من الشباب الذين يبدو انهم لا يبشرون بخير هم موهوبون بمواهب لا يستعملونها . ان مقدرتهم العقلية تظل مخبوءة لان المربين لا يميزونها. ففي كثير من الصبيان او الصبايا الذين لا توجد فيهم اية جاذبية ظاهرة كحجر خشن غير منحوت يمكن ان توجد مادة ثمينة تصمد

امام امتحان الحرارة والعاصفة والضغط. ان المربي الامين اذ يضع نصب عينيه ما يمكن ان يصير اليه تلاميذه يعرف قيمة المادة التي يشتغل فيها. وسيهتم بكل تلميذ اهتماما شخصيا ويحاول ان ينمي كل قواهم. وكل مسعى يُبذل لاطاعة المبادىء الصالحة مهما يكن ناقصا سيجد تشجيعا

وعلى كل شاب ان يتعلم ضرورة المثابرة وقوة تطبيقها. فعليها أكثر مما على الذكاء او المواهب يتوقف النجاح ، اذ بدون المثابرة لا تجدي ابهر المواهب الا قليلا ، بينما بواسطة المجهود الموجه توجيها صائبا امكن للافراد ذوي المواهب الطبيعية العادية ان يحققوا العجائب. ثم ان النبوغ الذي نندهش من اعماله الباهرة هو بلا استثناء مرتبط بالمجهود المركز الذي لا يكل

يجب على الشباب ان يتعلموا ان يستهدفوا نضوج كل قوى عقولهم ، الاضعف منها كالاقوى. ان كثيرين يميلون الى ان يحصروا دراستهم فى مواد خاصة عندهم ميل خاص اليها ويحبونها . فينبغي التحفظ من هذه الغلطة. ان الصلاحيات الطبيعية تدل على اتجاه عمل الحياة ومتى كانت شرعية يجب تحسينها وتهذيبها بكل عناية. وفى نفس الوقت يجب الا ننسى ان الخلق المتزن والعمل الفعال النافع فى اي نوع يعتمدان الى حد كبير على ذلك النمو المتماثل الذي هو نتيجة التربية الكاملة الشاملة

ويجب على المعلم ان يهدف الى البساطة والفاعلية . فعليه ان يعلم كثيرا بالشرح والايضاح ، وحتى فى التعامل

232,233

مع التلاميذ الاكبر سنا عليه ان يحرص على ايضاح كل شرح وتبسيطه. ان كثيرين من التلاميذ الكبار هم اطفال فى افهامهم

ومن العناصر الهامة فى العمل التربوي الحماس . وفى هذه النقطة يوجد اقتراح نافع فى ملاحظة ابداها ممثل شهير . كان اسقف كنتربري قد وجه اليه سؤالا مضمونه لماذا يؤثر المثلون فى رواية على جماهيرهم بكل قوة بالتحدث فى اشياء خياليه ، فى حين ان التأثير الذي يحدثه خدام الانجيل على مسامعهم قليل وضئيل جدا مع انهم يتحدثون عن امور حقيقية ثابتة. فأجاب المثل ذلك الاسقف قائلا : « اسمح لي يا صاحب القداسة ان اجيب بكل خضوع قائلا ان السبب واضح وهو يتوقف على قوة الحماس. فنحن عندما نعتلي المسرح نتحدث عن الاشياء الخيالية كما لو كانت حقيقية، وانتم من المنبر تتحدثون عن الامور الحقيقية كانها خيالية »

ان المعلم فى عمله يتعامل مع امور حقيقية فيجب عليه ان يتحدث عنها بكل القوة والحماس اللذين يمكن ان تلهمه بهما معرفته لحقيقتها واهميتها

وعلى كل معلم ان يهتم بان تكون لعمله نتائج محددة . فقبلما يحاول تعليم موضوع يجب أن يرسم فى ذهنه خطة معينة ، وعليه ان يعرف نفس ما يرغب فى انجازه. عليه الا يكتفي بتقديم اي موضوع حتى يفهم الطالب المبدأ المتضمن ويدرك حقيقته ويكون قادرا على أن يبين بوضوح ما قد تعلمه

وطالما كان الفرض العظيم من التربية ماثلا فى الاذهان يجب تشجيع الشباب على ان يتقدموا الى الحد الذي تسمح به مقدرتهم . ولكن قبل الشروع فى دراسة الموضوعات العليا يجب عليهم ان يحذقوا فهم الموضوعات السابقة. فهذا الامر يهمل فى اغلب الاحيان . فحتى بين الطلبة فى المدارس العليا والكليات يوجد نقص عظيم فى معرفة فروع التربية العادية. وكثيرون من الطلبة يقضون وقتهم فى تعلم العلوم الرياضية العليا فى حين انهم غير كفاة لحفظ الحسابات البسيطة. وكثيرون يدرسون الفصاحة وهم يهدفون الى احراز ملكات الخطابة فى حين انهم عاجزون عن ان يقرأوا بطريقة مفهومة ومؤثرة. وكثيرون ممن قد انهوا دراسة علم المنطق يعجزون عن تكوين وتهجئة رسالة عادية

ان المعرفة الكاملة المتقنة لاصول التربية ينبغي الا تكون فقط شرط القبول فى الاقسام العليا فقط بل الاختبار الدائم للاستمرار والتقدم

وفى كل فرع من فروع التربية توجد اهداف يجب بلوغها اهم من تلك التي يبلغها الانسان بواسطة المعرفة الفنية . خذوا اللغة مثلا . فقدرة الانسان على ان يقرأ ويكتب لغته التي ولد فيها بسهولة واتقان هي اهم من معرفة اللغات الاجنبية حية كانت ام ميتة ، ولكن المعرفة التي يحصل عليها الانسان عن طريق قواعد اللغة لا يمكن ان تعادل فى اهميتها درس اللغة من وجهة نظر اسمى . ان

سعادة الحياة او شقاءها مرتبطة الى حد كبير بهذه الدراسة

ان اهم مطلب للغة ان تكون طاهرة ومشفقة وصادقة اي « التعبير الخارجي عن النعمة الداخلية » والله يقول : « كل ما هو حق كل ما هو جليل كل ما هو عادل كل ما هو طاهر كل ما هو مسر كل ما صيته حسن ان كانت فضيلة وان كان مدح ففي هذه افتكروا » (فيلبي ٤ : ٨) . فان كانت الافكار هكذا فهكذا سيكون الكلام

وافضل مدرسة لدراسة هذه اللغة هي البيت ، ولكن حيث ان عمل البيت كثيرا ما يهمل فعلى المعلم تقع مسؤولية تعليم تلاميذه ومساعدتهم فى تكوين الكلام الصالح

والمعلم يستطيع ان يفعل الكثير للقضاء على تلك العادة المذمومة التي هي لعنة المجتمع والبيئة والبيت — الا وهي عادة الاغتياب وكلام الفضول والانتقاد الظالم . وفى هذا ينبغي ان لا ندخر تعبا . اطبعوا على عقول الطلبة حقيقة كون هذه العادة تكشف عن انعدام التربية والتهذيب وصلاح القلب الحقيقي . فهي تجعل الانسان غير اهل لمعاشرة من هم متربون ومهذبون حسنا فى هذا العالم ولا لمعاشرة قديسي السماء

اننا نفكر برعب فى آكل لحوم البشر الذي يأكل لحم فريسته المرتعدة ، ولكن هل نتائج حتى هذا العمل ارهب من العذاب والدمار اللذين يحدثان بسبب تشويه الباعث وتسويد السمعة وتشريح الخلق ؟ ليتعلم الاطفال والشباب كذلك ما يقوله الله عن هذه الامور :

« الموت والحياة في يد اللسان » (أمثال ١٨ : ٢١)

ان الكتاب يضع النمامين في صف ال « مبغضين لله » و « مبتدعين شرورا » والذين بلا « حنو ولا رضى ولا رحمة » « مشحونين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وسوءا » « حكم الله ان الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت » (رومية ١ : ٣٠ و ٣١ و ٢٩ و ٣٢) . فالذي يعتبره الله من مواطني مدينة العلي هو « المتكلم بالصدق في قلبه. الذي لا يشي بلسانه » « ولا يحمل تعييرا على قريبه » (مزمور ١٥ : ٢ و ٣)

ثم ان كلمة الله تدين ايضا استعمال العبارات العديمة المعنى والكلام المدسوس الذي يميل الى الفساد . وتدين ايضا التحيات الخادعة والمراوغة من الصدق والمبالغات والتمويه في التجارة التي هي شائعة في المجتمع وفي دنيا العمل والتجارة . « ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير » (متى ٥ : ٣٧)

« مثل المجنون الذي يرمي نارا وسهاما وموتا هكذا الرجل الخادع قريبه ويقول الم العب انا » (امثال ٢٦ : ١٨ و ١٩)

وهنالك شيء آخر مرتبط بالقيل والقال وهو التلميح المستور والايعاز الماكر الذي يحاول به النجسو القلوب ان يدسوا الشر الذي لا يتجرأون على التعبير عنه علانية . فيجب ان يتعلم الشباب الا يقتربوا من كل هذه الاعمال بل ان يتجنبوها ويهربوا منها كما يهربون من البرص

وعند النطق بالكلام ربما لا توجد غلطة يفضي عنها الكبار والصغار بكل استخفاف فى انفسهم كالكلام المتسرع الدال على الضجر . فهم يعتبرون ان القول : « اني لم اكن حذرا ولم اكن اقصد ما قلته » هو عذر كاف . ولكن كلمة الله لا تنظر الى ذلك الامر بمثل هذا الاستخفاف . فالكتاب يقول :

« أرأيت انسانا عجولا فى كلامه. الرجاء بالجاهل اكثر من الرجاء به » (امثال ٢٩ : ٢٠)

« مدينة منهدمة بلا سور الرجل الذي ليس له سلطان على روحه » (امثال ٢٥ : ٢٨)

ففي لحظة واحدة يمكن عن طريق اللسان المتسرع الغاضب العديم الاكتراث ان يحدث شر لا يمكن ان توبة الانسان مدى حياته كلها تبطله او تلاشيه

يا للقلوب التي انكسرت والاصدقاء الذين حلت بينهم القطيعة والنفور ، وحياة الناس التي تحطمت بسبب الكلام القاسي الطائش الذي نطق به اولئك الذين كان يمكن ان يجلبوا العون والشفاء !

« يوجد من يهذر مثل طعن السيف. اما لسان الحكماء فشفاء » (امثال ١٢ : ١٨)

من بين الصفات التي يجب ان تزرع وتربى فى نفس كل طفل على الخصوص صفة نسيان الذات التي تمنح النفس والحياة نعمة لاشعورية عظيمة . فمن بين كمالات الخلق هذه هي واحدة من اجمل الكمالات وهي من الزم المؤهلات لكل خدمة حقيقية فى الحياة

ان الاطفال بحاجة الى التقدير والعطف والتشجيع ، ولكن يجب الحذر لئلا يتربى فيهم حب المديح . فليس من الحكمة ان نلتفت اليهم التفاتا خاصا او ان نردد على مسامعهم اقوالهم البارعة . فالاب او الام او المعلم الذي يضع امام ناظريه دائما النموذج الحقيقي للخلق وامكانيات التحصيل لا يستطيع ان يقبل او يشجع الاتكال على الذات . ولن يشجع فى الشباب الرغبة او السعي فى التظاهر بمقدرتهم او تفوقهم . فالذي ينظر الى ما هو اعلى من نفسه سيكون متواضعا ، ومع ذلك فهو يملك عظمة لا تخجلها او تربكها المفاخرة الخارجية او العظمة البشرية

ان محاسن الخلق لا تتكون ولا تنضج بشريعة او قانون نفسي . ولكن ذلك يتم بواسطة العيشة فى جو النقاوة والطهارة والنبل والصدق . فاينما توجد نقاوة القلب ونبل الخلق فسيُعلن ذلك فى طهارة ونبل العمل والكلام

« من احب طهارة القلب فلنعمة شفتيه يكون الملك صديقه » (امثال ٢٢ : ١١)

وكما بالنسبة الى اللغة كذلك بالنسبة لكل دراسة اخرى يمكن ممارستها بحيث تؤول الى تقوية الخلق وبنائه

ولا توجد دراسة اخرى يصدق عليها هذا الامر بدرجة اعظم مما يصدق على التاريخ . فيجب التفكير فيه من وجهة النظر الالهية

فكما يتعلم الطلبة كثيرا جدا ليس التاريخ اكثر من قصة لقيام الملوك وسقوطهم ومؤامرات القصور وانتصارات الجيوش وهزائمها ــ قصة الطموح والجشع والخداع والقسوة وسفك الدماء . فاذ يتعلمونه هكذا لا بد ان تكون نتائجه ضارة. ان ترديد الجرائم والفظائع الامر الذي يمرض القلب والامور الشنيعة والوان القسوة مشروحة تزرع بذارا فى كثير من الحالات تثمر فى حياة نفوس كثيرة حصادا شريرا

ولكن افضل من هذا بكثير ان نتعلم فى نور كلمة الله الاسباب التي تتحكم فى قيام الممالك وسقوطها . فليدرس الشباب هذه التواريخ ويروا كيف ان النجاح الحقيقي للأمم كان مرتبطا بقبولها للمبادىء الالهية . وليدرس الشاب تاريخ حركات الاصلاح العظيمة ليرى كيف ان هذه المبادىء ، مع انها احتقرت وابغضت ومع ان مناصريها والمحامين عنها القي بهم فى السجن واعدموا فعن طريق هذه التضحيات انتصرت

مثل هذه الدراسة ستعطي آراء واسعة وشاملة للحياة . وستساعد الشباب على ادراك شيء من علاقاتها واعتماداتها ، وكيف اننا مرتبطون ارتباطا عجيبا بالاخوة العظيمة فى المجتمع وفى الامم ، والى اي مدى عظيم يعني اضطهاد او انحطاط احدى الامم خسارة تصيب الجميع

وفى دراسة الحساب يجب ان يصير العمل عمليا .

فليتعلم كل شاب وطفل ليس فقط ان يحل المسائل الخيالية بل ان يعمل حسابا دقيقا لايراده ومصروفه . وليتعلم كيفية انفاق المال انفاقا صالحا باستعماله لاغراض نافعة. وسواء أكان الاولاد يعتمدون على اعالة والديهم لهم او على مكاسبهم هم فليتعلم الاولاد والبنات ان يختاروا ملابسهم ويشتروها ، وكذلك كتبهم ولوازمهم الاخرى ، واذ يعملون حسابا بمصروفهم فسيتعلمون ، كما لا يمكنهم ان يتعلموا بطريقة اخرى قيمة المال وانفاقه . وهذه التربية ستساعدهم على التمييز بين الاقتصاد الحقيقي وبين البخل والشح من ناحية ، وبين الاسراف من الناحية الاخرى . فاذ يوجّه هذا توجيها صائبا فسيشجع الطلبة على عادات الاحسان ، وسيساعد الشباب فى تعلم العطاء لا من مجرد الدافع الوقتي عندما تستيقظ مشاعرهم بل بترتيب ونظام

وبهذه الكيفية يمكن ان تكون كل دراسة عونا فى حل اعظم المشاكل الا وهي تدريب الرجال والنساء على الاضطلاع بمسؤولياتهم



السلوك

ان حق اللطف من التقدير مبخوس جدا. وكثيرون ممن تنطوي قلوبهم على الرحمة يعوزهم اللطف فى السلوك. كما ان كثيرين ممن يدعونا اخلاصهم واستقامتهم الى اكرامهم ينقصهم اللطف . هذا النقص يشوه سعادتهم ويحط من قيمة خدمتهم للآخرين . ان كثيرا من أحلى وانفع اختبارات الحياة يضحي بها غير اللطفاء لانه يعوزهم التفكير

ينبغي للوالدين والمعلمين بوجه خاص ان يغرسوا الفرح واللطف وينموهما. يمكن للجميع ان يكونوا بشوشين يرتسم الفرح على وجوههم وان يكون صوتهم لطيفا وعاداتهم عادات الانس والمجاملة ، فهذه هي عناصر القوة . ان الاطفال يجتذبهم السلوك الفرح المشرق . فأظهروا لهم الرفق واللطف فيظهروا هم نفس الروح نحوكم ونحو بعضهم البعض

ان الانسان لا يتعلم اللطف بمجرد كونه يمارس قوانين

آداب السلوك . ان لياقة السلوك يجب مراعاتها في كل الاوقات ، فاينما لا يتعرض المبدأ لخطر المساومة فان احترام الآخرين يقود للامتثال للعادات المقبولة . ولكن اللطف الحقيقي لا يتطلب التضحية بالمبدإ على مذبح التقاليد . انه يتجاهل نظام الطبقات . وهو يعلم عزة النفس والاحترام لكرامة الرجل كرجل واحترام كل فرد من افراد الاخوة البشرية

هنالك خطر من تقييم الصورة والمظهر اللائق تقييما عاليا جدا واعطاء وقت اطول مما يلزم للتهذيب في هذه النواحي . ان حياة الجهد الغيور الجريء المطلوبة من كل شاب والعمل الشاق الذي كثيرا ما يكون غير متجانس المطلوب حتى لاجل اتمام واجبات الحياة العادية ، واكثر كثيرا لاجل تخفيف اعباء الجهل والشقاء عن كاهل العالم — هذه لا تعطي الا وقتا قصيرا جدا للتمسك بالتقاليد

ان كثيرين ممن يشددون كثيرا على آداب السلوك لا يبدون الا قليلا من الاحترام لأي شيء مهما يكن متفوقا اذا لم يكن متفقا مع مقياسهم المصطنع . هذه تربية كاذبة فهي تحتضن الكبرياء الانتقادية والانطواء المتضيق

ان جوهر الكياسة الحقة هو احترام الآخرين . فالتربية الضرورية الباقية هي تلك التي تنمّي العواطف وتشجع على العطف نحو الجميع . فتلك التربية المزعومة التي لا تجعل الشاب يحترم والديه ويقدر براعتهما وافضالهما ، ومحتملا وصبورا نحو نقائصهما ومقدما لهما العون لسد

اعوازهما ، والتي لا تجعله منصفا ورقيقا وكريما ومعينا للشباب والعجزة والعاثري الحظ ولطيفا مع الجميع ، هي فشل ذريع

ان التهذيب الحقيقي فى الافكار وفى العادات يمكن تعلمه افضل تعلم فى مدرسة المعلم الالهي مما يمكن بواسطة حفظ قوانين معينة . فاذ تشمل محبته القلب فهي تمنح الخلق تلك اللمسات المهذبة التي تشكله على هيئة خلق السيد. هذه التربية تمنح عظمة هي ابنة السماء واحساسا باللياقة . وهي تمنح المزاج عذوبة والعادات رقة ولطفا لا يمكن ان يعادلها الصقل او الطلاء السطحي للمجتمع العصري الانيق

ان الكتاب المقدس يعرض علينا اللطف ويقدم امثلة كثيرة لروح الايثار والجمال الرقيق والطبع الجذاب الذي يميز الكياسة الحقة . هذه ان هي الا انعكاسات لخلق المسيح . فكل ما فى العالم من رقة ولطف حقيقيين حتى بين من لا يعترفون باسمه هو منه ، وهو يشتاق الى ان يرى هذه الصفات منعكسة انعكاسا كاملا فى اولاده. وقصده هو ان يشاهد الناس جماله فينا

ان اثمن رسالة عن آداب السلوك سطرتها يد انسان هي ذلك الارشاد النفيس الذي اعطاه المخلص بواسطة كلام الروح القدس عن طريق بولس الرسول ، ذلك الكلام الذي يجب ان يسطر باحرف لا تمحى من عقل كل انسان صغير او كبير

« كما احببتكم انا تحبون انتم ايضا بعضكم بعضا »
(يوحنا ١٣ : ٣٤)
« المحبة تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد . المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء . . . المحبة لا تسقط ابدا » (١كورنثوس ١٣ ٤ ـ ٨)

وهنالك فضيلة اخرى يجب ان نربيها فى نفوسنا وهي الوقار . ان الوقار الحقيقي لله هو الذي يلهمنا اياه الشعور بعظمته اللامتناهية وبحضوره ، هذا الاحساس بالغير المنظور يجب ان ينطبع على قلب كل طفل انطباعا عميقا ، فينبغي للطفل ان يحترم ساعة ومكان الصلاة والخدمات الجهارية للعبادة ، يجب عليه ان يتعلم اعتبارها مقدسة لان الله هنالك . فاذ يظهر الوقار فى الهيئة والسلوك فالشعور الذي يلهمه يتعمق

ويحسن بالصغار والكبار ان يدرسوا ويتأملوا ويرددوا كثيرا كلمات الكتاب المقدس التي ترينا كيف ان المكان الذي يتميز بحضور الله الخاص يجب احترامه

فقد امر الله موسى وهو يقترب من العليقة التي كانت تتوقد بالنار قائلا له : « اخلع حذاءك من رجليك . لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة » (خروج ٣ : ٥)

وبعدما شاهد يعقوب رؤيا الملائكة صاح قائلا :

« حقا ان الرب فى هذا المكان وانا لم اعلم ... ما هذا الا بيت الله وهذا باب السماء » (تكوين ٢٨ : ١٦ و ١٧)

« اما الرب ففي هيكل قدسه . فاسكتي قدامه يا كل الارض » (حبقوق ٢ : ٢٠) « لان الرب اله عظيم ملك كبير على كل الآلهة ... هلم نسجد ونركع ونجثو امام الرب خالقنا » . « هو صنعنا وله نحن شعبه وغنم مرعاه . ادخلوا ابوابه بحمد دياره بالتسبيح . احمدوه باركوا اسمه » (مزمور ٩٥ : ٣ — ٦ ؛ ١٠٠ : ٣ و ٤)

ثم يجب ان نظهر الوقار لاسم الله ايضا . فينبغي الا يُذكر ذلك الاسم باستخفاف او بدون تفكير . فحتى فى الصلاة فان كثرة تكراره الذي ليس هناك ما يدعو اليه ينبغي تجنبه . « قدوس ومهوب اسمه » (مزمور ١١١ : ٩) . ان الملائكة اذ ينطقون بهذا الاسم يغطون وجوههم . فبأي وقار يجب علينا نحن الساقطين الخطاة ان نتخذه على شفاهنا !

علينا ان نوقر كلمة الله . علينا ان نحترم كلمة الله المكتوبة فلا نستعملها استعمالا عاديا ولا نمسكها بدون حرص او عدم اكتراث . ويجب ان لا نقتبس منها فى مزاحنا ولا ان نشرحها شرحا به نشير الى مثل فيه تنكيت او مزاح . « كل كلمة من الله نقية » « كفضة مصفاة فى بوطة فى الارض ممحوصة سبع مرات » (امثال ٣٠ : ٥ ؛ مزمور ١٢ : ٦)

وفوق الكل يجب تعليم الاطفال ان الوقار الحقيقي

تبرهن عليه الطاعة . ان الله لم يأمر بشيء غير لازم ، ولا توجد طريقة اخرى لأظهار الوقار المرضي لديه كالطاعة لما قد تكلم به

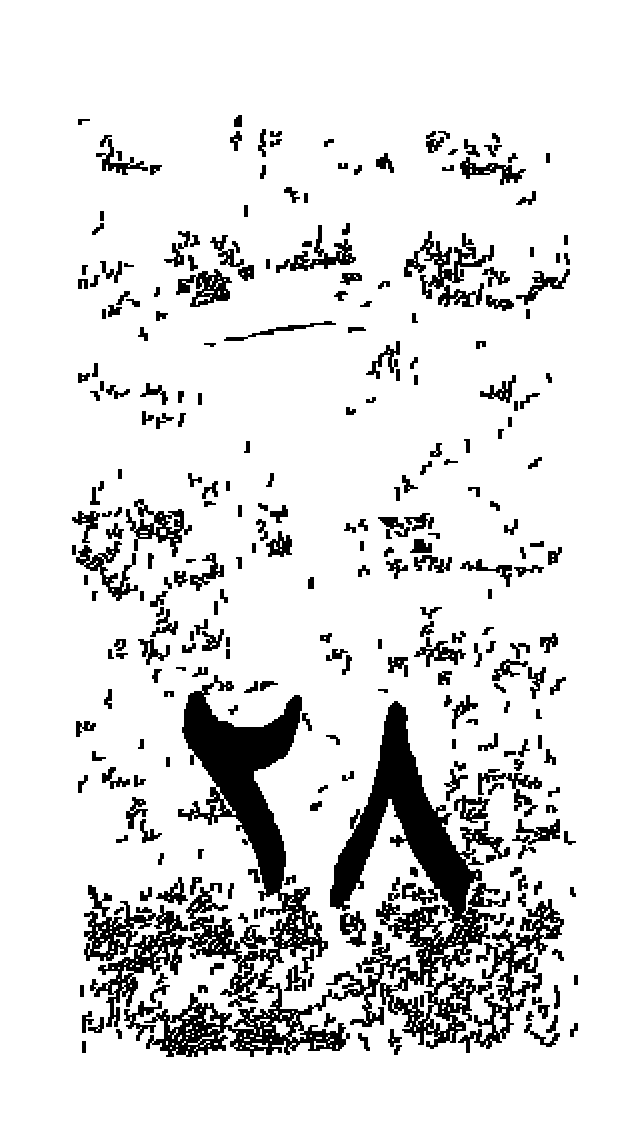
كما يجب اظهار الوقار للذين يمثلون الله كالرعاة والمعلمين والوالدين المدعوين ليتكلوا ويعملوا بدلا منه . فهو ُيكرم عندما ُيقَدّم لهم الاكرام

ثم ان الله قد اوصى وصية خاصة بان نقدم الاحترام الرقيق للطاعنين فى السن . فهو يقول : « تاج جمال شيبة توجد فى طريق البر » (امثال ١٦ : ٣١) . فتلك الشيبة تتحدث عن المعارك التي خاضوها والنصرات التي احرزوها والاثقال التي حملوها والتجارب التي قاوموها . وهي تتحدث عن الاقدام المتعبة التي تقترب من راحتها والاماكن التي ستصبح خاوية بعد قليل . فساعدوا الاطفال على ان يفكروا فى هذا وحينئذ سيمهدون الطريق امام الطاعنين فى السن بلطفهم واحترامهم وسيُدخلون الى حياتهم الفتية النعمة والجمال عندما ينتبهون الى الامر القائل : « من امام الاشيب تقوم وتحترم وجه الشيخ » (لاويين ١٩ : ٣٢)

وعلى الآباء والامهات والمعلمين ان يقدروا تقديرا اكمل المسؤولية والكرامة اللتين قد وضعهما الله عليهم اذ جعلهم فى نظر الطفل ممثلين لشخصه . ان الخلق الذي يظهر فى احتكاك الحياة اليومية سيفسر للطفل ، إن للخير او للشر كلام الله القائل :

« كمـا يتراف الأب على البنـين يترأف الرب على خائفيه » (مزمور ١٠٣ : ١٢) . « كانسان تعزيه امـه هكذا اعزيكم انا » (اشعياء ٦٦ : ١٣)

سعيد هو الطفل الذي توقظ هذه الاقوال في نفسه احاسيس الحب والشكر والثقة، والطفل الذي تفسر له رقة ابيه وامه وعدلهما وطول اناتهما محبة الله وعدله وطول اناته، الطفل الذي بواسطة الثقة والخضوع والوقار لحافظيه الارضيين يتعلم أن يثق بإلهه ويطيعه ويوقره . فالذي يمنح الطفل او التلميذ مثل هذه الهبة يكون قد منحه كنزا اثمن من ثروة كل الدهور ـ كنزا يبقى مدى ايام الابد



علاقة اللبس بالتربية

ان التربية لا يمكن ان تكون كاملة اذا لم تعلم مبادىء صالحة بخصوص اللبس . فبدون مثل هذا التعليم يتعطل عمل التربية فى اغلب الاحيان وينعكس أو ينحرف . فحب اللبس والتعبد للموضة هما من ارهب المنافسين للمعلم ومن افعل المعطلات لــه

الموضة هي السيدة التي تحكم بقضيب من حديد . ففي بيوت كثيرة جدا تنصرف قوة الآباء والاطفال وينفق وقتهم ويتجه انتباههم الى اجابــة مطاليبها . فالاغنياء يطمعون فى أن يتفوق بعضهم على بعض فى الامتثال لأزيائها الدائمة التغير ، والطبقات المتوسطة وطبقات الفقراء تحاول الاقتراب من المقياس الذي وضعه اولئك الذين يفترض انهم اعلى منهم . وحيث يكون المال او القوة محدودين والطموح نحو الكياسة عظيما فالعبء يكاد يكون فوق طاقة الاحتمال

ان كثيرين لا يهمهم كم يكون الثوب لائقا او حتى جميلا لو تغيرت الموض والتزموا هم بان يعيدوا صنعه او يلقوا به جانبا . ان افراد العائلة محكوم عليهم بان يكدوا ويتعبوا بلا راحة ولا هوادة. ولا وقت لديهم لتربية أولادهم ، ولا وقت للصلاة ودرس الكتاب ، ولا وقت فيه يساعدون الصغار لأن يتعرفوا عن طريق اعماله

ولا يوجد وقت ولا مال لأجل الاحسان . وغالبا ما تكون مائدة العائلة فقيرة وضيقة ، والطعام اسيء انتقاؤه واعد بعجلة ، ومطاليب الطبيعة تسد جزئيا . فتكون النتيجة عادات رديئة في الغذاء تخلق المرض وتقود الى عدم الاعتدال

ان حب المفاخرة والتظاهر ينتج الاسراف ، وفي حياة كثيرين من الشباب يقتل الطموح الى حياة انبل . وبدلا من طلب التربية يبادرون في بكور شبابهم الى تعلم حرفة يكسبون من ورائها مالا لأجل الانغماس في شهوة اللبس . وعن طريق هذه الشهوة كثيرا ما يغرر بفتاة فتتحطم اخلاقها وحياتها

وفي العديد من البيوت كثيرا ما ترهق موارد العائلة ، فالاب لعجزه عن سد كل مطاليب الام والاولاد يجرب ان يرتكب الخيانة والاختلاس ، وهنا ايضا تتلطخ العائلة بالعار ويحل بها الدمار

وحتى اليوم وخدمات العبادة غير معفاة من سيطرة الموضة . ولكن هذه بالحري تقدم لها فرصة لمزيد من

246,247

المفاخرة بقوتها . وقــد صارت الكنيسـة ميدانا للعرض فتدرس الموض بدلا من العظة . فالفقراء لعجزهم عــن مواجهة مطاليب العرف يتغيبون عن الكنيسة كليــة ، فينصرف يوم الراحة فى البطالــة والكسل ، اما الشباب فيصرفونه فى المعاشرات الردية المفسدة للاخلاق

وفى المدارس تكون الفتيات بسبب اللبس غير المناسب وغير المريح غير مؤهلات لا للدرس ولا للتسلية . فعقولهن تكون مشغولــة فتكون مهمــة المدرس شاقــة فى ايقاظ اهتمامهن

فلأجل تحطيم سلطان الموضة كثيرا ما لا يجد المدرس وسيلة أفعل من الارتماء فى احضان الطبيعة . فليتذوق التلاميذ الافراح التي توجد بجانب النهر او البحيرة او البحر . فليتسلقوا الآكام وينظروا الى مجد الشمس عند غروبها ، وليكتشفوا كنوز الغابة والحقل ، وليتعلموا فرح غرس النباتات والازهار ، وحينئذ تصبح اضافة شريط او زركشة امرا تافها لا قيمة لــه

ارشدوا الشباب لان يروا ان فى اللبس وفى الطعام لا بد من ان تكون المعيشة بسيطة ليكون التفكير ساميا . ارشدوهم الى كثرة وضخامة ما يجب عليهم ان يتعلموه ويفعلوه ، والقيمة الثمينة الغاليــة التي لايام الشبــاب كاستعداد لعمل الحيــاة . وساعدوهم على ان يروا اي الكنوز توجد فى كلمة الله وفى كتاب الطبيعة وفى تاريخ ذوي الحياة النبيلــة

247,248

ولتتجه عقولهم الى الآلام التي يستطيعون تخفيفها . وساعدوهم على ان يروا ان من ينفق مالا لمجرد الظهور يحرم نفسه من المال الذي كان يمكن ان يطعم به الجياع ويكسو العراة ويعزي المحزونين

ينبغي لهم الا يخسروا فرص الحياة المجيدة ويضعفوا عقولهم ويدمروا صحتهم ويحطموا سعادتهم اطاعة لأوامر لا اساس لها فى العقل او الراحة او الجمال

وفى نفس الوقت يجب على الشباب ان يتعلموا ان يميزوا درس الطبيعة . « صنع الكل حسنا فى وقته » (جامعة ٣ : ١١) . ففي اللبس كما فى كل شيء آخر هو امتياز لنا ان نمجد خالقنا . انه يريد ان يكون لباسنا لائقا وملائما فضلا عن كونه نظيفا وصحيا

ان اخلاق الانسان يُحكم عليها من طراز لبسه . فالذوق المهذب والعقل المثقف يكشفان فى اختيار الزي البسيط اللائق . فالبساطة الطاهرة فى اللبس متى صاحبتها الحشمة فى السلوك كفيلة بان تحيط الشابة بذلك الجو جو التحفظ المقدس الذي سيكون لها بمثابة درع يقيها من آلاف المخاطر

لتتعلم الفتيات ان فن اللبس الحسن يشمل ايضا القدرة على ان يصنعن ملابسهن بايديهن . هذا مطمح يجب على كل فتاة ان تصبو اليه . وهو سيكون وسيلة للنفع والاستقلال اللذين ينبغي الا تضيعهما

انه امر صائب اننا نحب الجمال ونشتاق اليه ولكن

248,249

يريدنا الله ان نحب الجمال الاسمى ونطلبه اولا ــ ما لا يفنى • ان اندر منتجات المهارة البشرية ليس فيها من الجمال ما يضارع جمال الخلق الذي هو فى نظر الله « كثير الثمن »

ليتعلم الشباب والصغار ان يختاروا لانفسهم تلك الحلة الملوكية المنسوجة على نول السماء « بزا نقيا بهيا » (رؤيا ١٩ : ٨) ، الذي سيلبسه كل قديسي الارض. فهذا الثوب الذي هو صفات المسيح الذي بلا عيب يقدم مجانا لكل انسان . ولكن كل من يحصلون عليه يجب ان يلبسوه هنا فى هذه الحياة

ليتعلم الاطفال انهم اذ يفسحون فى عقولهم المجال لافكار المحبة والطهارة ويقدمون خدمات المحبة والعون فهم يتسربلون بثوب خلقه الجميل . هذا الثوب يجعلهم حسان المنظر ومحبوبين هنا ، وفى الابدية سيكون جواز دخولهم الى قصر الملك . وهذا ما وعد به : « سيمشون معي فى ثياب بيض لانهم مستحقون » (رؤيا ٣ : ٤)



٢٩ السبت

ان قيمة السبت كوسيلة من وسائل التربية هي ما لا يمكن تقديره . فأي شيء يطلبه الله مما لنا يرده ثانية غنيا متجليا بمجده ، فالعشر الذي طلبه من العبرانيين كرس لاجل الاحتفال بمثال هيكله فى السماء بين الناس فى جماله المجيد ، علامة لحضوره على الارض . كذلك الجزء من الوقت الذي يطلبه يعاد الينا ثانية حاملا اسمه وختمه . يقول : « لانه علامة بيني وبينكم . . . لتعلموا اني انا الرب » لانه « فى ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها . واستراح فى اليوم السابع . لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه » (خروج ٣١ : ١٣ و ٢٠ : ١١) . ان السبت هو رمز القوة الخالقة الفادية ، وهو يشير الى الله كمن هو مصدر الحياة والمعرفة ، انه يعيد الى الذهن ما كان للانسان من مجد فطري وهكذا يشهد لقصد الله فى ان يخلقنا من جديد على صورته

وقد وضعت شريعة السبت والعائلة على السواء فى جنة عدن ، وهما فى قصد الله مرتبطان معا بلا انفصام . ففي هذا اليوم اكثر مما فى اي يوم آخر يمكننا ان نعيش حياة جنة عدن . لقد كان تدبير الله لاجل افراد العائلة ان يكونوا مجتمعين معا فى العمل وفى الدرس ، فى العبادة والتسلية ، فالأب ككاهن لبيته ، والاب والام كلاهما كمعلمين ورفيقين لاولادهما . ولكن اذ غيرت نتائج الخطية ظروف الحياة فهي تمنع هذه المعاشرة بدرجة كبيرة . فكثيرا ما لا يكاد الاب يرى اولاده مدى ايام الاسبوع ، وهكذا يكاد يكون محروما تماما من فرصة للعشرة والارشاد . ولكن محبة الله جعلت حدا لمطاليب العمل . فهو يضع يده الرحيمة على السبت . اذ في يومه يحفظ للعائلة فرصة للشركة معه ومع بعضهم البعض

وحيث ان السبت هو تذكار القوة الخالقة فهو اليوم الذي يجب علينا فيه ان نتعرف بالله عن طريق اعماله اكثر من باقي الايام . ان نفس فكرة السبت يجب ان تكون مرتبطة بجمال الاشياء الطبيعية فى اذهان الاولاد . طوبى للعائلة التي تستطيع الذهاب الى مكان العبادة فى يوم السبت كما كان يسوع يذهب مع تلاميذه فى يوم السبت فى وسط الحقول وعلى شواطىء البحيرة او فى وسط الاحراش. وطوبى للأب والام اللذين يستطيعان ان يعلما اطفالهما كلمة الله المكتوبة بالشروح المأخوذة من الصفحات المفتوحة فى سفر الطبيعة ، واللذين يستطيعان ان يجتمعا

بأولادهما تحت الاشجار الخضراء وفى الهواء الطلق النقي ليدرسوا الكلمة ويترنموا بتسابيح الآب السماوي

بمثل هذه المعاشرة يمكن للوالدين ان يربطوا اولادهم بقلوبهم وهكذا بالله بربط لا يمكن ان تنفصم

ان قيمة فرص يوم السبت كوسيلة للتربية العقلية لا تثمن . فليتعلم درس مدرسة السبت لا بنظرة سريعة خاطفة الى الدرس وآيته فى صباح يوم السبت ، بل بدرسه بكل عناية لاجل الاسبوع التالي بعد ظهر السبت ، مع المراجعة اليومية او الشرح فى خلال الاسبوع . وهكذا يثبت الدرس ويرسخ فى الذاكرة ، كنزا لا يمكن ان يضيع. كليـة

وعند الاستماع للعظة ليلاحظ الوالدون والاولاد الآية والآيات التي اقتبست وعلى قدر الامكان من سياق الافكار عليهم ان يكرروها لبعضهم البعض فى البيت . هذا يساعد على تخفيف التعب عن الاولاد الذين يتضايفون من الاصغاء الى العظة ، ويغرس فى الجميع عادة الالتفات وتتابع الافكار

وان التأمل فى هذه المواضيع المقترحة سيفتح امام الطالب كنوزا لم يحلم بها . وهو سيبرهن فى حياته على حقيقة الاختبار الموصوف فى الآية : « وُجد كلامك فاكلته فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي » (ارميا ١٥ : ١٦)

« اناجي بفرائضك » « اشهى من الذهب والابريز الكثير . . . ايضا عبدك يحذر بها وفى حفظها ثواب عظيم » (مزمور ١١٩ : ٤٨ ؛ ١٩ : ١٠ و ١١)

٣٠ الإيمان والصلاة

الايمان هو الثقة بالله ، والوثوق بانه يحبنا ويعرف افضل معرفة ما هو لخيرنا . وهكذا فبدلا من كوننا نختار طريقنا فالايمان يقودنا لاختيار طريق الرب . وبدلا من جهلنا فالايمان يقبل حكمة الله ، وبدلا من ضعفنا نقبل قوته ، وبدلا من اثمنا نقبل بره . ان حياتنا وذواتنا هي له من قبل . فالايمان يعترف بملكيته ويقبل بركتها . لقد اشير الى الحق والاستقامة والطهارة على انها اسرار نجاح الحياة. والايمان هو الذي يملكنا هذه المبادىء

ان كل وازع او طموح صالح هو عطية الله ، والايمان يقبل من الله الحياة التي هي وحدها تنتج النمو والمقدرة الحقيقيين

يجب ايضاح كيفية تدريب الايمان . ان كل وعد من مواعيد الله له شروط . ان رغبنا فى عمل ارادته فكل قوته تكون لنا . فأية عطية يعدنا بها هي فى الوعد ذاته « الزرع

هو كلام الله » (لوقا ٨ : ١١) . فكما نؤكد ان البلوطة هي فى ثمرتها فكذلك نعلم يقينا ان هبة الله هي فى وعده . فان قبلنا الوعد فلنا البركة او الهبة

ان الايمان الذي يقدرنا على قبول هبات الله هو فى ذاته عطية يعطى قدر منها لكل انسان . الايمان ينمو اذ يدرب على تطبيق كلمة الله . ولكي ينمو الايمان ويتقوى علينا ان نكثر من ايصاله بالكلمة

وفى درس الكتاب يجب ارشاد الطالب لرؤية قوة كلمة الله . ففي الخلق « قال فكان . هو امر فصار » وهو «يدعو الاشياء غير الموجودة كأنها موجودة » (مزمور ٣٣ : ٩ ؛ رومية ٤ : ١٧) . لانه عندما يدعو توجد

كم من مرة صمد الذين اتكلوا على كلمة الله امام قوة العالم كله مع انهم فى ذواتهم كانوا عاجزين عجزا كاملا — كأخنوخ النقي القلب الذي كانت حياته مقدسة الذي تمسك بايمانه بنصرة البر ضد جيل فاسد ساخر ، ونوح وبيته ضد اهل زمانه الرجال الجبابرة فى قوة اجسامهم وعقولهم ، ذوي الاخلاق الفاسدة جدا ، والعبرانيون عند بحر سوف الذين كانوا جمهورا من العبيد العاجزين المذعورين ضد اقوى جيش لاعظم امة على كرة الارض ، وداود الفتى الراعي اذ أعطاه الله الوعد بالعرش ضد شاول الملك المثبت على عرشه والذي كان متمسكا بسلطانه ، وشدرخ ورفاقه فى اتون النار ضد نبوخذنصر الجالس على عرشه ، ودانيال فى وسط الاسود ضد اعدائه الذين كانوا

يحتلون مناصب عالية فى المملكة ، ويسوع على الصليب ضد كهنة اليهود ورؤسائهم وهم يرغمون حتى الوالي الروماني نفسه على تنفيذ ارادتهم ، وبولس المكبل بالسلاسل والقيود وهو يقاد ليموت كمجرم ، ضد نيرون الطاغية الجالس على عرش الامبراطورية التي كانت تحكم العالم

وامثال هؤلاء الذين كانوا مثلا ، لا يوجدون فى الكتاب المقدس وحده . بل يوجدون بكثرة فى كل تاريخ للتقدم البشري . فالولدنسيون والهيجونوت وويكلف وهس وجيروم ولوثر وتندل ونوكس وزنزندورف ووسلي مع جماهير اخرى كثيرة شهدوا لقوة كلمة الله ضد السلطان والسياسة البشريين اللذين كانا يساندان الشر. هؤلاء هم اشراف العالم الحقيقيون وهذا هو نسلهم الملكي. وفى هذا الصف يطلب من شباب اليوم ان يأخذوا اماكنهم

الايمان تدعو اليه الحاجة فى شؤون الحياة الصغرى كما فى الكبرى. وفى كل مصالحنا واشغالنا اليومية تصير قوة الله المسندة حقيقية بالنسبة الينا بواسطة الثقة الثابتة

ان الحياة اذ ننظر اليها من الناحية البشرية هي بالنسبة للجميع طريق غير مطروق . وهو طريق يسير كل منا فيه بمفرده فيما يختص باختباراتنا الاعمق. فلا يمكن لانسان آخر ان يتغلغل تغلغلا كاملا فى حياتنا الداخلية . فاذ يبدأ الطفل فى رحلة الحياة التي لا بد له ان يختار طريقه فيها ان عاجلا او آجلا ، وهو بنفسه يقرر نتائج

الحياة للأبدية ، فكم يجب ان يكون مسعاه جادا وغيورا لتوجيه ثقته الى المرشد والمعين الامين !

ولا يوجد تأثير يضارع الاحساس بحضور الله كدرع يقي من التجربة وإلهام بالطهارة والحق . « كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه امرنا » « عيناك اطهر من ان تنظرا الشر ولا تستطيع النظر الى الجور » (عبرانيين ٤ : ١٣ ؛ حبقوق ١ : ١٣) . كان هذا الفكر هو الترس الذي احتمى به يوسف فى وسط مفاسد مصر . وقد اجاب على غوايات التجربة بقوله الثابت : « كيف اصنع هذا الشر العظيم واخطىء الى الله » ؟ (تكوين ٣٩ : ٩) . مثل هذا الترس سيقدمه الايمان لكل نفس تقبله

ان الشعور بحضور الله هو وحده الذي يطرد الخوف الذي يجعل حياة الطفل الجبان عبئا ثقيلا . فليرسخ فى عقله وعد الرب القائل : « ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم » (مزمور ٣٤ : ٧) . وليقرأ قصة اليشع العجيبة فى المدينة الجبلية اذ كان يتوسط بينه وبين جيوش الاعداء المسلحين جيش من ملائكة السماء يحيط به . وليقرأ كيف ان ملاك الله ظهر لبطرس وهو سجين محكوم عليه بالموت ، وكيف ان الملاك جاز به فى وسط الحراس المسلحين والابواب الهائلة وباب الحديد بعوارضها واقفالها واخرج خادم الله سالما . وليقرأ عن ذلك المشهد الذي حدث فى البحر عندما خاطب بولس الاسير العسكر والبحارة الذين كانت تسوقهم العاصفة ، وهم متعبون وقد

اضناهم السهر والصوم الطويل ، وهو فى طريقه للمحاكمة والاعدام ، بذلك الكلام كلام الشجاعة والرجاء قائلا : « انذركم ان تسروا لانه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم . . . لانه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي انا له والذي اعبده قائلا لا تخف يا بولس. ينبغي لك ان تقف امام قيصر. وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك» . فاذ آمن بولس بهذا الوعد اكد لرفاقه قائلا : « انه لا تسقط شعرة من راس واحد منكم » . وهكذا حدث . فلانه ُوجد فى تلك السفينة رجل واحد استطاع الله ان يعمل بواسطته فقد حفظ ركاب تلك السفينة من العسكر والبحارة الوثنيين . « الجميع نجوا الى البر » (اعمال ٢٧ : ٢٢ - ٢٤ و ٣٤ و ٤٤)

هذه الامور كتبت لاجلنا لا لمجرد كوننا نكتفي بقراءتها ونعجب بها ، ولكن لكي يعمل فينا الايمان الذي عمل فى خدام الله قديما . فبنفس الطريقة الملحوظة التي بها عمل حينئذ سيعمل الآن اينما ُوجدت قلوب مؤمنة لتكون قنوات لقدرته

ليتعلم اولئك الذين لا يثقون بذواتهم الذين يجعلهم افتقارهم الى الاعتماد على النفس يتراجعون امام الاهتمام والمسؤولية ان يعتمدوا على الله . وهكذا فكثيرا ما يحدث ان انسانا يحسب نفسه صفرا لا قيمة له فى العالم وهو انسان عاجز وعبء على غيره سيكون قادرا ان يقول مع الرسول : « استطيع كل شيء فى المسيح الذي يقويني » (فيلبي ٤ : ١٣)

ثم ان الطفل السريع فى الامتعاض من الاضرار التي تقع عليه يقدم له الايمان دروسا ثمينة . ان الميل لمقاومة الشر او للانتقام للظلم كثيرا ما يحفز الانسان عليه الشعور الحاد بالعدل والروح الناشطة القوية . فليتعلم مثل هذا الطفل ان الله هو الحارس الابدي للحق . انه يرعى تلك الخلائق التي هكذا احبها حتى بذل ابنه الحبيب ليخلصها ، رعاية رقيقة . وهو سيتعامل مع كل فاعل شر

« لانه من يمسكم يمس حدقة عينه » (زكريا ٢ : ٨)

« سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجري . . . يخرج مثل النور برك وحقك مثل الظهيرة » (مزمور ٣٧ : ٥ و ٦)

« ويكون الرب ملجأ للمنسحق. ملجأ فى ازمنة الضيق. ويتكل عليك العارفون اسمك. لانك لم تترك طالبيك يا رب» (مزمور ٩ : ٩ و ١٠)

ان الله يأمرنا بان نظهر للآخرين نفس الحنان الذي يظهره هو لنا . فلينظر المندفعون والمتكلون على انفسهم ومحبو الانتقام وليشاهدوا ذاك الوديع الهادىء وهو يساق كشاة الى الذبح ، وبدون ان يثأر لنفسه كان كنعجة صامتة امام جازيها . ولينظروا الى من قد طعناه بخطايانا . واوجاعنا تحملها حتى يتعلموا ان يحتملوا ويصبروا ويغفروا

وعن طريق الايمان بالمسيح يمكن سد فراغ كل نقص فى الخلق ، وتطهير كل نجاسة وتصحيح كل خطإ وانماء كل فضيلة وتفوق

« وانتم مملوؤون فيه » (كولوسي ٢ : ١٠)

ان الصلاة والايمان مرتبطان معـا ويجب دراستهما معا. ففي صلاة الايمان يوجد علم الهي ، وهو علم يجب على كل من يريد ان يجعل عمل حياته ناجحا ان يتفهمه . يقول المسيح : « كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم » (مرقس ١١ : ٢٤) . وهو يوضح لنا ان سؤالنا يجب ان يكون بحسب ارادة الله ، فيجب علينا ان نسأل الاشياء التي قد وعد بها ، وكل ما نناله يجب استعماله فى عمل ارادته . فمتى اتممنا الشروط فالوعد يكون قاطعا واكيدا

يمكننا ان نسأل غفران الخطية وحلول الروح القدس والطبع الشبيه بطبع المسيح والحكمة والقوة لاتمام عمله واية عطية اخرى وعد بها ، وحينئذ فلنؤمن اننا ننال ، ونتعلم ان نشكر الله لاننا قد نلنا

ولا حاجة بنا الى انتظار برهان خارجي على البركة . فالعطية هي فى الوعد ونحن يمكننا ان نباشر عملنا ونحن متأكدون من أن ما وعد به الله هو قادر على اتمامه ، وان العطية التي قد امتلكناها ستتحقق حين نكون فى اشـد الحاجـة اليهـا

وكوننا نحيا هكذا بكلمة الله معناه تسليم كل الحياة له. وسيكـون هنـاك احساس مستمر بالحاجـة والاعتماد وانجذاب القلب الى الله . ان الصلاة ضرورة لانها حياة النفس . الصلاة العائلية والصلاة الجهارية لهما مكانهما ،

ولكن الشركة السرية مع الله هي التي تسند حياة النفس وتعضدها

ان موسى اذ كان فى الجبل مع الله رأى مثال ذلك المسكين العجيب المزمع ان يكون مكان مجده . ونحن اذ نكون فى الجبل مع الله ـ فى ستر الشركة ـ نتأمل فى مثاله الاعلى المجيد للبشرية . وهكذا سنكون قادرين على ان نصوغ بناء اخلاقنا حتى يمكن ان يتم لنا وعده القائل : « اني سأسكن فيهم واسير بينهم واكون لهم الها وهم يكونون لي شعبا » (٢كورنثوس ٦ : ١٦)

ان يسوع فى ساعات صلاته الانفرادية نال فى حياته الارضية الحكمة والقوة . فليتبع الشباب مثاله فى كونهم يجدون فى الفجر وعند الغسق فرصة هدوء للتحدث مع ابيهم السماوي . ومدى ساعات اليوم ليرفعوا قلوبهم الى الله . وفى كل خطوة نخطوها فى طريقنا يقول لنا : « انا الرب الهك الممسك بيمينك ... لا تخف انا اعينك » (اشعياء ٤١ : ١٣) . فلو امكن لاطفالنا ان يتعلموا هذه الدروس فى بكور سني حياتهم فأي نضارة وقوة وأي فرح وعذوبة يمكن ان تتغلغل فى حياتهم !

هذه دروس لا يمكن لمن لم يتعلمها ان يعلمها لغيره . فلأن كثيرين من الوالدين والمعلمين يعترفون بأنهم يؤمنون بكلمة الله فى حين ان حياتهم تنكر قوتها ، لهذا السبب ليس لتعليم الكتاب تأثير اعظم على الشباب . احيانا يحس الشباب بقوة الكلمة ويرون عظمة محبة المسيح . ويرون

جمال صفاته وامكانيات الحياة المسلمة لخدمته . ولكنهم على العكس من ذلك يرون حياة من يعترفون بانهم يوقرون وصايا الله . ما اكثر الذين ينطبق عليهم الكلام الذي قيل لحزقيال النبي :

« يتكلم الواحد مع الآخر الرجل مع اخيه قائلين هلم اسمعوا ما هو الكلام الخارج من عند الرب. ويأتون اليك كما يأتي الشعب ويجلسون امامك كشعبي ويسمعون كلامك ولا يعملون به لانهم بافواههم يظهرون اشواقا وقلبهم ذاهب وراء كسبهم . وها انت لهم كشعر اشواق لجميل الصوت يحسن العزف فيسمعون كلامك ولا يعملون به » (حزقيال ٣٣ : ٣٠ ــ ٣٢)

ان كوننا نعامل الكتاب المقدس ككتاب يحتوي على ارشادات ادبية ليلتفت اليه حسبما يتفق وروح العصر ومركزنا فى العالم ــ هذا شيء. اما كوننا نقدره كما هو فى حقيقته ــ كلمة الله الحية ، الكلمة التي هي حياتنا ، الكلمة التي تصوغ اعمالنا واقوالنا وافكارنا ــ فهذا شيء آخر . وكوننا نقدرها تقديرا اقل من هذا هو رفض لها . وهذا الرفض من جانب من يعترفون بأنهم يؤمنون بها هو من اهم الاسباب لوجود الشك والالحاد فى قلوب الشباب

ان شدة وضائقة لم تر من قبل تمسك الآن بتلابيب العالم . ففي اللهو وفى جمع المال وفى التسابق على السلطان وفى نفس الصراع لاجل البقاء توجد قوة رهيبة تسيطر على الجسم والعقل والنفس . وفى وسط هذا الاندفاع الجنوني

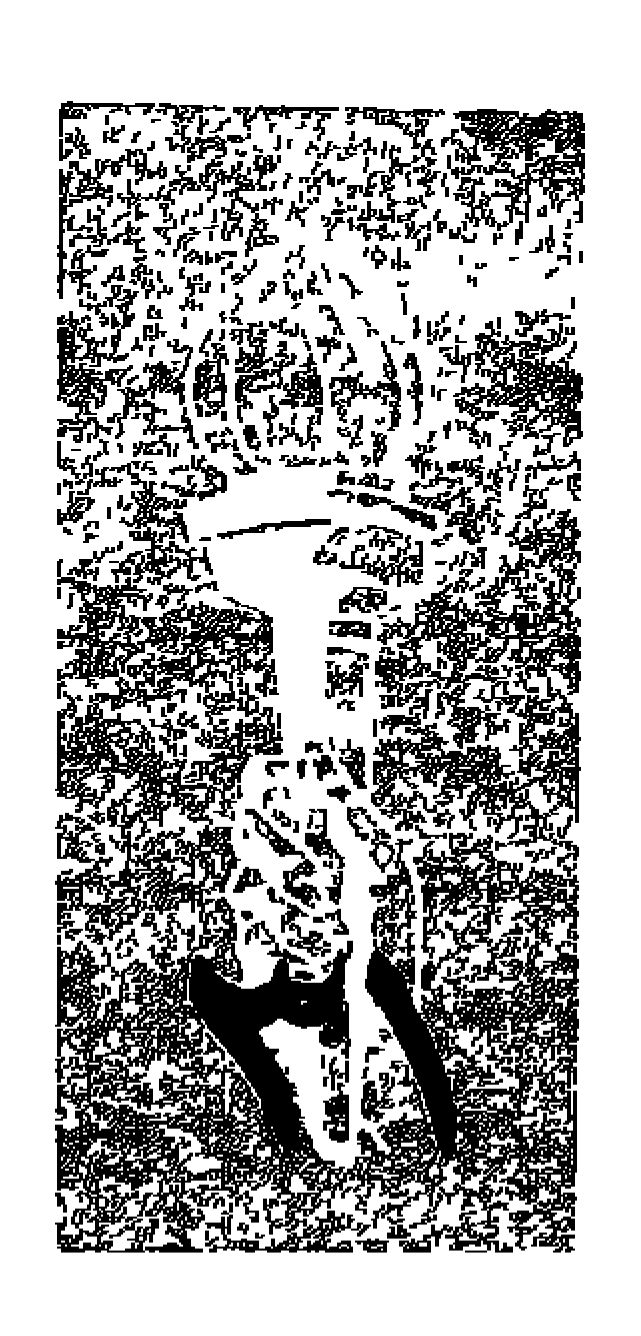
يتكلم الله . فهو يأمرنا بأن ننفرد ونتحدث معه : « كفوا واعلموا اني انا الله » (مزمور ٤٦ : ١٠)

ان كثيرين حتى فى اوقات التعبد هذه لا يحصلون على بركة التحدث مع الله . انهم فى عجلة من امرهم . فبخطوات سريعة يشقون لانفسهم الطريق فى وسط دائرة حضور المسيح المحب ، وربما يتوقفون لمدى برهة فى داخل النطاق المقدس ، ولكنهم لا ينتظرون ليطلبوا النصح والمشورة . لا وقت لديهم يقضونه مع المعلم الالهي . فيعودون الى اعمالهم . واعباؤهم تثقل كواهلهم

هؤلاء الخدام لا يستطيعون ابـدا ان يظفروا باسمى نجاح ما لم يتعلموا سر القوة . عليهم ان يعطوا انفسهم وقتا التفكير والصلاة وانتظار الله فى طلب قوة بدنية وعقلية وروحية . فهم بحاجة الى قوة روحه المسندة والرافعة . واذ يحصلون عليها سينتعشون بحياة جديدة ، فالجسم المضنى والعقل المرهق ينتعشان والقلب المثقل يبتهج

اننا لا نحتاج الى وقفة قصيرة لمدى لحظة فى حضرة السيد بل الى اتصال شخصي بالمسيح فى عشرة معه ــ هذا ما نحن بحاجة اليه . وطوبى لاطفال بيوتنا وطلبة مدارسنا عندما يتعلم الوالدون والمعلمون فى حياتهم الاختبار الثمين الذي تصوره هذه الكلمات فى نشيد الانشاد :

« كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين
تحت ظله اشتهيت ان اجلس وثمرته حلوة لحلقي
أدخلني الى بيت الخمر وعلمه فوقي محبة » (نشيد الانشاد ٢ : ٣ و ٤)



عمل الحياة

ان النجاح فى اي عمل يتطلب تحديد هدف معين . فالذي يريد ان يحرز النجاح الحقيقي فى الحياة يجب ان يضع نصب عينيه دائما الهدف الذي يستحق ان يسعى اليه . ومثل هذا الهدف موضوع امام شباب اليوم . ان القصد الذي عينته السماء الا وهو تقديم الانجيل للعالم فى هذا الجيل هو انبل قصد يمكن ان يوضع امام اي انسان . انه يفتح المجال امام كل من قد مس المسيح قلبه ليعمل

وقصد الله من نحو اطفالنا الذين يشبون فى بيوتنا هو اوسع واعمق واسمى مما قد ادركه نظرنا المحدود . فالذين رآهم امناء من افقر الناس دُعوا فى الوقت المناسب ليشهدوا له فى اسمى مراكز العالم فى العصور الماضية . وكثيرا ما يحدث ان صبيا من صبية اليوم اذ يشب كما شب دانيال وكبر فى بيته اليهودي ، ويدرس كلمة الله واعماله ويتعلم دروس الخدمة الامينة سيقف فى المجالس

التشريعية وفى دور القضاء او فى قصور الملوك كشاهد لملك الملوك . وسيدعى جماهير من الناس لخدمة اوسع . ان العالم كله ينفتح امام الانجيل. فكوش تمد يدها الى الله . ومن اليابان والصين والهند ، ومن البلدان التي لا تزال عائشة فى الظلام فى قارتنا ومن كل ركن من اركان عالمنا تجيء صرخة القلوب التي ضربتها الخطية فى طلب معرفة اله المحبة . ان ملايين فوق ملايين من الناس لم يسمعوا عن الله قط ولا عن محبته المعلنة فى المسيح . ومن حقهم ان يحصلوا على هذه المعرفة . ان لهم حقا مساويا لحقنا ونصيبا كنصيبنا فى رحمة المخلص . وعلينا نحن الذين قبلنا المعرفة وعلى اولادنا الذين يمكننا ان نقدمها لهم ان نستجيب لصرختهم . ولكل عائلة وكل مدرسة ولكل اب وام ومعلم وطفل ممن قد اشرق عليهم نور الانجيل ، وفى هذه الازمة يوجه السؤال الذي وجه الى استير الملكة فى تلك الازمة الخطيرة من تاريخ العبرانيين قائلا : « من يعلم ان كنت لوقت مثل هذا وصلت الى الملك » ؟ (استير ٤ : ١٤)

ان الذين يفكرون فى نتيجة الاسراع بالانجيل او تعطيله يفكرون فيه فى علاقته بأنفسهم وبالعالم . ولكن قليلون هم الذين يفكرون فى علاقته بالله . وقليلون هم الذين يفكرون فى الآلام التي سببتها الخطية لخالقنا . ان كل السماء قد تألمت لآلام المسيح . ولكن ذلك الالم لم يبدأ ولا انتهى بظهوره فى هيئة بشرية . ان الصليب هو اعلان لحواسنا البليدة عن الالم الذي جلبته الخطية على قلب الله منذ

بدء ظهورها . فكل انحراف عن الحق وكل عمل من اعمال القسوة وكل فشل حاق بالبشرية دون بلوغ مثاله يجلب عليه الحزن . عندما حلت بالعبرانيين المصائب التي كانت هي النتيجة الاكيدة لابتعادهم عن الله واستعباد اعدائهم لهم ، والقسوة والموت قيل : « ضاقت نفسه بسبب مشقة اسرائيل » « في كل ضيقهم تضايق ... رفعهم وحملهم كل الايام القديمة » (قضاة ١٠ : ١٦ ؛ اشعياء ٦٣ : ٩)

ان روحه « يشفع فينا بانات لا ينطق بها » فكما ان « كل الخليقة تئن وتتمخض معا » فكذلك قلب الآب السرمدي يتألم عطفا . (رومية ٨ : ٢٦ و ٢٢) . ان عالمنا هو محجر صحي واسع الارجاء ومشهد للبؤس بحيث اننا لا نجرؤ على ان نجعل افكارنا نفسها تفكر فيه . فلو تحققنا هذا وعرفناه على حقيقته فان الحمل يصير ارهب مما يمكن احتماله . ومع هذا فالله يحس بذلك كله . فلكي يلاشي الخطية ونتائجها بذل ابنه الحبيب وجعل في مقدورنا ، عن طريق التعاون معه ، ان نجعل حدا ونهاية لمشهد البؤس هذا : « ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الامم . ثم يأتي المنتهى » (متى ٢٤ : ١٤)

« اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مرقس ١٦ : ١٥) هذا كان امر المسيح لتلاميذه ولا يزال. ولكن ليس معنى هذا ان الجميع مدعوون ليكونوا رعاة ومرسلين بالمعنى العادي الشائع ، ولكن الجميع يمكنهم ان يكونوا خداما معه في تقديم « البشارة » لبني

جنسهم . ان الامر صادر الى الجميـع عظماء وفقراء ، متعلمين وجهلة ، كبارا وصغارا

فأمام هذا الامر هل نربي ابناءنا وبناتنا ليحيوا حياة التقاليد المحترمة والتمسك بها ، حياة الاعتراف المسيحي ولكن تعوزها تضحيته ، الحياة التي لا بد ان يكون الحكم الصـادر ضدها من ذاك الذي هـو الحـق يقول : « لا اعرفكم » ؟

ان الآفا من الناس يفعلون هذا . فهم يفكرون فى ان يضمنوا لأولادهم فوائد الانجيل بينما هم ينكرون روحه . ولكن هذا لن يكون . فالذين يرفضون امتياز مشاركـة المسيح فى الخدمة انما يرفضون التربية الوحيدة التي تمنح الاهلية لمشاركته فى مجده . فهم يرفضون التربية التي تمنح القوة ونيل الخلق فى هذه الحياة . كثيرا ما حدث ان ابا واما اذ انكرا صليب المسيح على اولادهما قد عرفا بعد فوات الاوان انهما انمـا كانا بذلـك يسلمانهم لعدو الله والناس. لقد ختموا على هلاكهم ليس فى المستقبل فحسب بل ايضا فى الحياة الحاضرة. فقد غلبتهم التجربة . وقد شبوا ليكونوا لعنة للعالم وسبب حزن وعار لمن قد ولدوهم

وحتى عند محاولة التأهب لخدمة الله كثيرون يرتدون بسبب اساليب التربية المخطئة. ان غالبية الناس يعتبرون الحياة مكونة من فترات محددة ، فترة التعلـم وفترة العمل ـــ فترة الاستعداد ثم فترة الانجاز . وفى الاعداد لحياة الخدمة يرسل الشباب الى المدرسة ليحصلوا المعرفة

والعلم بدراسة الكتب. فاذ ينقطعون عن مسؤوليات الحياة اليومية ينشغلون فى الدرس وكثيرا ما يغيب عنهم قصده . وحماس تكريسهم الاول ينطفىء ، وكثيرون جدا ينشغلون ببعض الطموح الشخصي الاناني . ان آلافا يجدون انفسهم عند التخرج لا صلة لهم بالحياة . لقد ظلوا طويلا جـدا يتعاملون مع ما هو معنوي ونظري بحيث انه حين كان يجب ان يهبّ الكيان كله لمجابهة المصارعات القاسية للحيـاة الحقيقية يكونون غير متأهبين . وبدلا من العمـل النبيل الذي قصدوا ان يعملوه تنصب قواهم فى الصراع لاجل اعالة انفسهم . فبعد الفشل والخيبة المتكررة ففي يأسهم حتى من كسب رزقهم بطريقة شريفة كثيرون ينساقون وراء اعمال مشكوك فيها او اجرامية . فيحرم العالم من الخدمة التي كان يمكنه الحصول عليها ، والله تُسلب منه النفوس التي كان يتوق الى ان يرفعها ويشرفها ويكرمها كمن هم نواب عن ذاتــه

ان والدين كثيرين يخطئون فى كونهــم يفاضلون بــين اولادهم فى امر التربية . فهم يقومون بكل تضحية تقريبا ليضمنوا افضل المنافع لواحد من اولادهم يرونــه ذكيــا وكفوءا. ولكنهم يرون ان هذه الفرص ليست لازمة لمن هم اقل ذكاء وكفاءة . فالتربية البسيطة تعتبر لازمة لاجل اتمام واجبات الحياة العاديــة

ولكن من هو كفوء لان يختار من بين عائلة بها اطفال اولئك الذين ستقع عليهم اهم المسؤوليات ؟ ما اكثر ما

يتبرهن خطأ الانسان فى الحكم ! اذكروا اختبار صموئيل عندما ارسل لكي يمسح واحدا من ابناء يسى ليكون ملكا على العبرانيين . وقد مر امامه سبعة من الشبان الذين كانت تلوح عليهم امائر النبل . فعندما نظر الى الاول الذي كان جميل الصورة وحسن التكوين ومتناسق الاعضاء وكان ذا هيئة ملكية صاح النبي قائلا : «ان امام الرب مسيحه» ولكن الله قال له : « لا تنظر الى منظره وطول قامته لاني قد رفضته • لانه ليس كما ينظر الانسان • لان الانسان ينظر الى العينين واما الرب فانه ينظر الى القلب » (١ صموئيل ١٦ : ٦ و ٧ و ١٠) • ولم يسمح للنبي بأن ينهي رسالته الا بعدما استدعي داود من وراء الغنم

ان الاخوة الكبار الذين كان يمكن لصموئيل ان يختار منهم لم تكن فيهم المؤهلات التي رآها الله لازمة لاجل من سيملك على شعبه . فاذ كانوا متكبرين ومعجبين بذواتهم وواثقين بانفسهم أهملوا ليحل فى مكانهم ذاك الذي قد احتقروه والذي ظل محتفظا ببساطته واخلاص شبابه ، والذي اذ كان حقيرا وصغيرا فى عيني نفسه امكن لله ان يدربه لتحمل تبعات المملكة . وهكذا اليوم فقد يرى الله فى طفل يغفله ابواه ، امكانيات اسمى مما قد ابداه الآخرون الذين يظن ان لهم مستقبلا يبشر بالخير

وفيما يختص بامكانيات الحياة فمن ذا الذي يستطيع ان يقرر ايها العظيم وايها الحقير ! وكم مرة يحدث ان خادما فى اماكن وضيعة فى الحياة اذ شغل قواه لمباركة العالم احرز نتائج يحسده عليها الملوك !

اذاً فليتلقَ كل طفل التربية لاجل اسمى خدمة . « فى الصباح ازرع زرعك وفى المساء لا ترخِ يدك لانك لا تعلم ايهما ينمو هذا او ذاك » (جامعة ١١ : ٦)

ان المركز الخاص المعين لنا فى الحياة تحدده وتقرره امكانياتنا . فليس الجميع يصلون الى نفس النضوج او ينجزون نفس العمل بكفاءة متساوية . والله لا ينتظر من الزوفا ان ترتفع بنسبة ارتفاع شجرة الارز ، او ان ترتفع الزيتونة الى مثل ارتفاع النخلة العظيمة . بل على كل واحد ان يهدف الى العلو الذي يجعل اتحاد ما هو بشري بما هو الهي امرا ممكناً

ان كثيرين لا يصيرون ما كان يمكنهم ان يصيروا اليه لانهم لا يستخدمون القوة الكامنة فيهم . فهم لا يمسكون بقوة الله كما كان يمكنهم ان يفعلوا . وكثيرون ينحرفون عن الطريق الذي كان يمكنهم لو ساروا فيه ان يحرزوا اعظم نجاح . فاذ يطلبون كرامة اعظم او عملا اكثر قبولا يحاولون عمل ما ليسوا مؤهلين له . وكثيرا ما يحدث ان انسانا تؤهله مواهبه لحرفة اخرى يطمع فى وظيفة ، والذي كان يمكن ان يكون فلاحا او صانعا ناجحا يشغل مركز واعظ او محام او طبيب بغير كفاءة او جدارة . ثم انه يوجد آخرون كان يمكنهم ان يشغلوا وظائف ذات مسؤولية ولكنهم لعدم النشاط او التطبيق او المثابرة يقنعون بمركز اسهل

اننا بحاجة الى ان نتبع تدبير الله للحياة فى اقرب قرب . فكوننا نبذل جهدنا فى العمل الاقرب الينا ونسلم

للرب طرقنا وننتظر ونراقب ارشادات عنايته ـ هذه هي القوانين التي تضمن الارشاد الامين فى اختيار حرفـة

ان ذاك الذي نزل من السماء ليكون مثالا لنا قضى ما يقرب من ثلاثين سنة من حياته فى عمل آلي عادي ، ولكنه فى اثناء هذه المدة كان يدرس كلمة الله ويتأمل فى أعماله ، وكان يساعد ويعلم كل من امكن ان يصل تأثيره اليه . وعندما بدات خدمته الجهارية جال شافيا المرضى معزيا الحزانى وكارزا بالانجيل للمساكين . وهذا هو عمل كل تلاميذه

« الكبير فيكـم ليكن كالاصغر. والمتقدم كالخادم . لان . . . انا بينكم كالذي يخدم » (لوقا ٢٢ : ٢٦ و ٢٧)

ان المحبة والولاء للمسيح هما نبع كل خدمة صادقة . ففي القلب الذي قد مسته محبته يُخلق شوق لخدمته . فيجب تشجيع هذا الشوق وتوجيهه توجيها صائبا . وسواء فى البيت او البيئة او المدرسة فان وجود الفقراء والمتضايقين والجهلاء والعاثري الحظ يجب الا يُعتبر من نكد الطالع بل على انه يقدم فرصة ثمينة للخدمة

وفى هذه الخدمة كما فى كل خدمـة اخرى تُكتسب المهارة فى العمل نفسه . ففي التدرب على واجبات الحياة العادية وفى خدمة الفقراء والمتألمين تحقق تلك الكفاءة . فبدون هذا تكون افضل الجهود عديمة النفع بل وضارة . فالناس يتعلمون السباحة لا على اليابسة بل فى المـاء

وهناك التزام آخر وما اكثر ما قوبل باستخفاف ـ

وهو الذي يجب توضيحه للشباب الذين تنبهوا لمطاليب المسيح ـ وهو التزام علاقة الكنيسة

ان العلاقة بين المسيح وكنيسته هي علاقة وثيقة ومقدسة جدا ـ فهو العريس والكنيسة العروس ، هو الرأس والكنيسة الجسد . اذاً فالارتباط بالمسيح يشمل الارتباط بكنيسته

والكنيسة منظمة لاجل الخدمة . ففي حياة الخدمة للمسيح يغدو الارتباط بالكنيسة احدى الخطوات الاولى . والولاء للمسيح يتطلب انجاز واجبات الكنيسة بأمانة . هذا جزء هام من خدمة الانسان ، وفى الكنيسة المشبعة بحياة السيد فان ذلك سيقود مباشرة الى بذل الجهد لاجل العالم الخارجي

توجد اعمال كثيرة يمكن للشباب ان يجدوا فيها فرصة لبذل العون . فلينتظموا فى فرق لاجل الخدمة المسيحية ، وسيبرهن التعاون على انه معونة وتشجيع . ان الوالدين والمعلمين اذ يهتمون بعمل الشباب سيكونون قادرين على ان يقدموا فائدة اختبارهم الاوسع ويستطيعون مساعدتهم لجعل جهودهم فعالة للخير

ان التعرف هو الذي يوقظ العطف ، والعطف هو نبع الخدمة الفعالة . فلأجل ايقاظ العطف وروح التضحية فى نفوس الاطفال والشباب على الملايين من المتألمين فى « الاقاليم البعيدة » دعوهم يتعرفون بهذه البلدان وشعوبها. ففي هذا العمل يمكن انجاز الكثير فى مدارسنا.

268,269

فبدلا من الكلام الكثير عن الاعمال الباهرة التي قام بها الاسكندر ونابليون وامثالهما مما يذكره التاريخ ، ليدرس التلاميذ حياة اولئك الناس امثال بولس الرسول ومارتن لوثر وموفات ولفنجستون وكيري ، وتاريخ المرسلين المعاصرين وجهودهم . فبدلا من ان نثقل عقولهم بقائمة من الاسماء والنظريات التي لا علاقة لها بحياتهم ، والتي قلما يفكرون فيها متى خرجوا من حجرة الدراسة دعوهم يدرسون كل البلدان فى نور الخدمة الكرازية ويتعرفون بالشعوب واحتياجاتها

وفى خدمة الانجيل الختامية هذه يوجد حقل واسع ليُمتلك ، واكثر مما فى اي وقت مضى يحتاج العمل الى تجنيد مساعدين من عامة الشعب. فالشباب ومن يكبرونهم سيُدعون من الحقل ومن الكرم ومن المصنع ليرسلهم السيد ليقدموا للناس رسالته . كثيرون من هؤلاء لم تكن لديهم غير فرص قليلة للتربية ولكن المسيح يرى فيهم مؤهلات تقدرهم على اتمام قصده . فان وضعوا قلوبهم فى العمل وداوموا على التعلم فهو سيؤهلهم لخدمته

ان من يعرف اعماق شقاء العالم ويأسه يعرف بأية وسيلة يمكنه ان يأتي بالاسعاف . فعلى كل جانب يرى نفوسا جالسة فى الظلمة منحنية تحت ثقل الخطية والحزن والالم . ولكنه يرى ايضا امكانيات تلك النفوس. وهو يرى العلو الذي يمكنهم بلوغه . فمع ان الناس انتهكوا مراحمهم واساءوا استخدامها وبذروا وزناتهم واضاعوا عظمة الرجولة المجيدة فان الخالق سيتمجد فى فدائهم

ان المسيح يضع عبء خدمة هؤلاء المحتاجين فى اماكن الارض الوعرة على عاتق من يستطيعون ان يرثوا للضعفاء والضالين . وهو سيكون حاضرا ليعين الذين تحس قلوبهم بالعطف ، مع ان ايديهم قد تكون خشنة وغير مدربة جيدا. وسيعمل بواسطة من يستطيعون ان يروا الرحمة فى الشقاء والربح فى الخسارة . وعندما يمر بهم نور العالم فسيشاهد الامتياز فى المشقة والنظام فى وسط التشويش والنجاح فى الفشل الظاهري . وسترى المصائب على انها بركات مقنَّعة ، والويلات كأنها مراحم . ان الخدام الذين يأتون من عامة الشعب ليقاسموا بني جنسهم احزانهم كما قد قاسم سيدهم الجنس البشري كله احزانه سيرونه بالايمان عاملا معهم

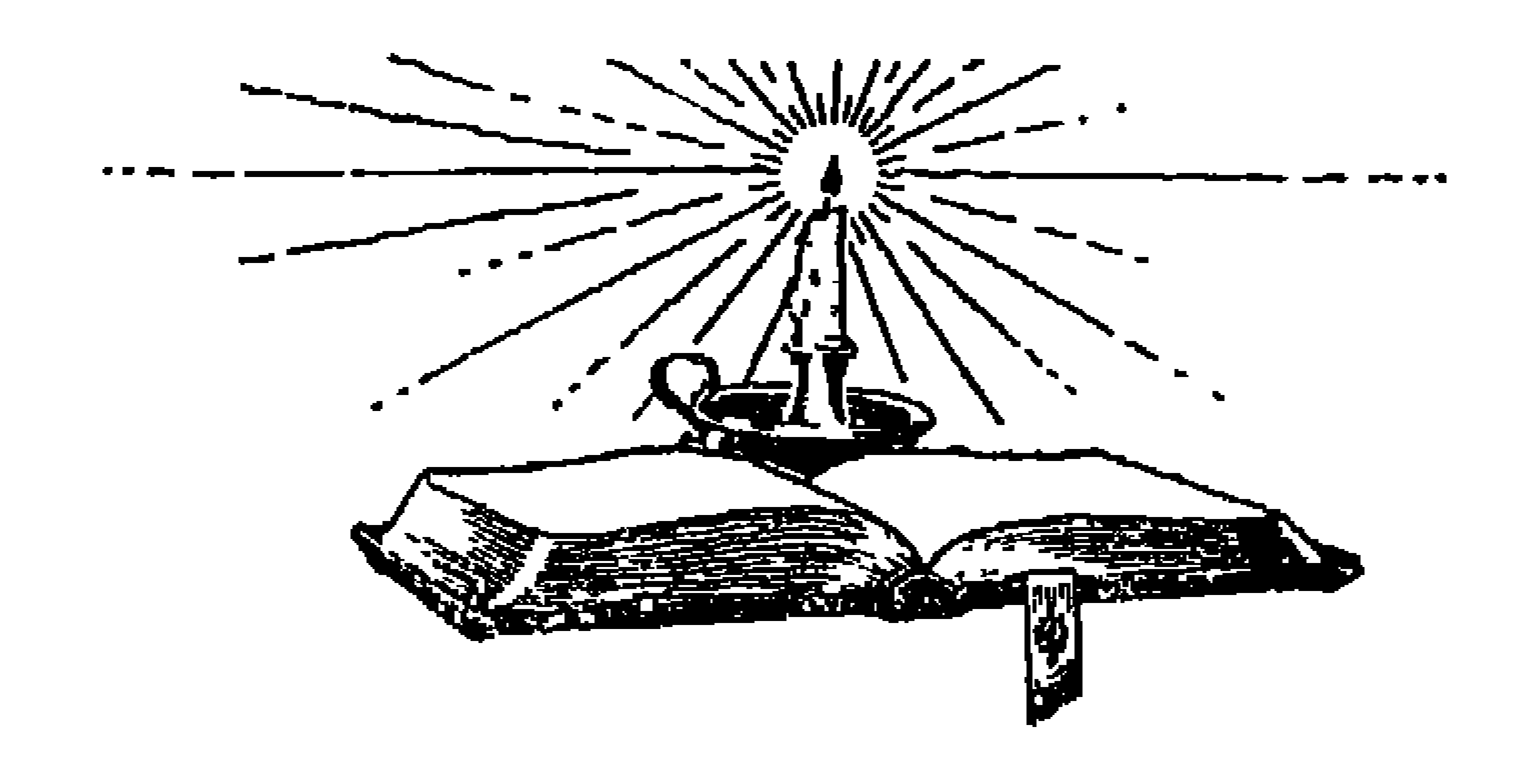
« قريب يوم الرب العظيم ، قريب وسريع جدا » (صفنيا ١ : ١٤) . فيجب تحذير العالم

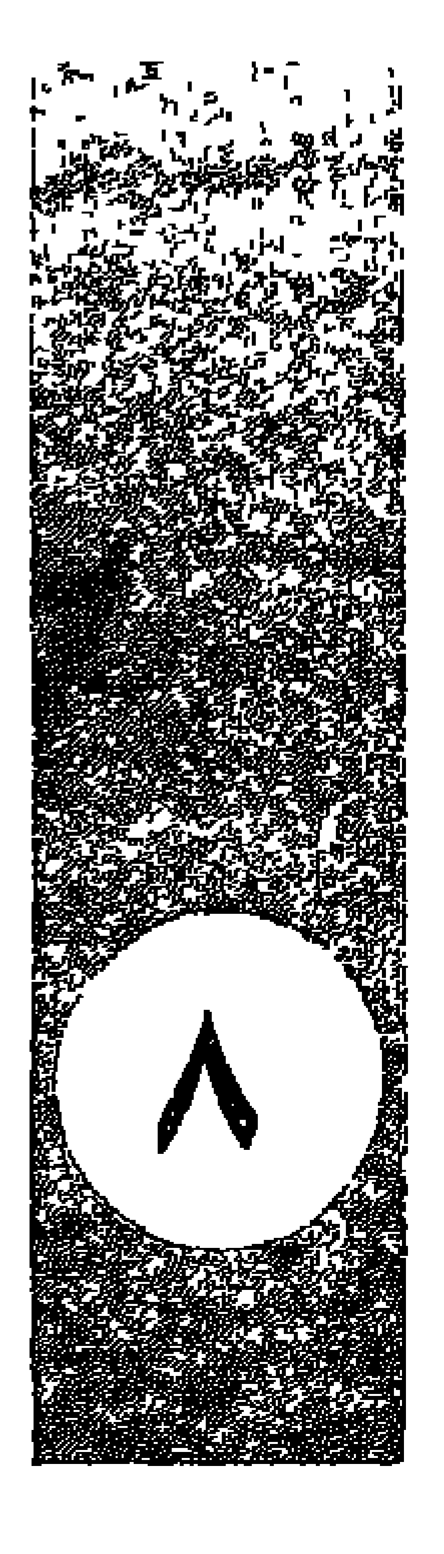
ان آلافاً فوق آلاف من الشباب ومن يكبرونهم يجب ان يقدموا انفسهم لهذه الخدمة بالاستعداد الذي يستطيعون الحصول عليه . ان قلوبا كثيرة تستجيب مقدما لنداء الخادم الاعظم وسيتزايد عددهم . فليقدم كل مرب مسيحي لمثل هؤلاء الخدام العطف والتعاون . وليشجع الشبان الذين تحت رعايته ويساعدهم فى الحصول على الاستعداد لينضموا الى الصفوف

لا يوجد فرع من العمل فيه يمكن للشباب ان يظفروا بفائدة اكثر . ان جميع من يشتغلون فى الخدمة هم بمثابة

يد الله المعينة . انهم عاملون مع الملائكة ، بل هم بالحري العمال البشريون الذين عن طريقهم ينجز الملائكة خدمتهم ورسالتهم . فالملائكة ينطقون باصواتهم ويعملون بايديهم . واذ يتعاون الخدام البشريون مع أجناد السماء يستفيدون من تربيتهم واختبارهم . وكوسيلة للتربية اية « دراسة جامعية » يمكن ان تباري هذه ؟

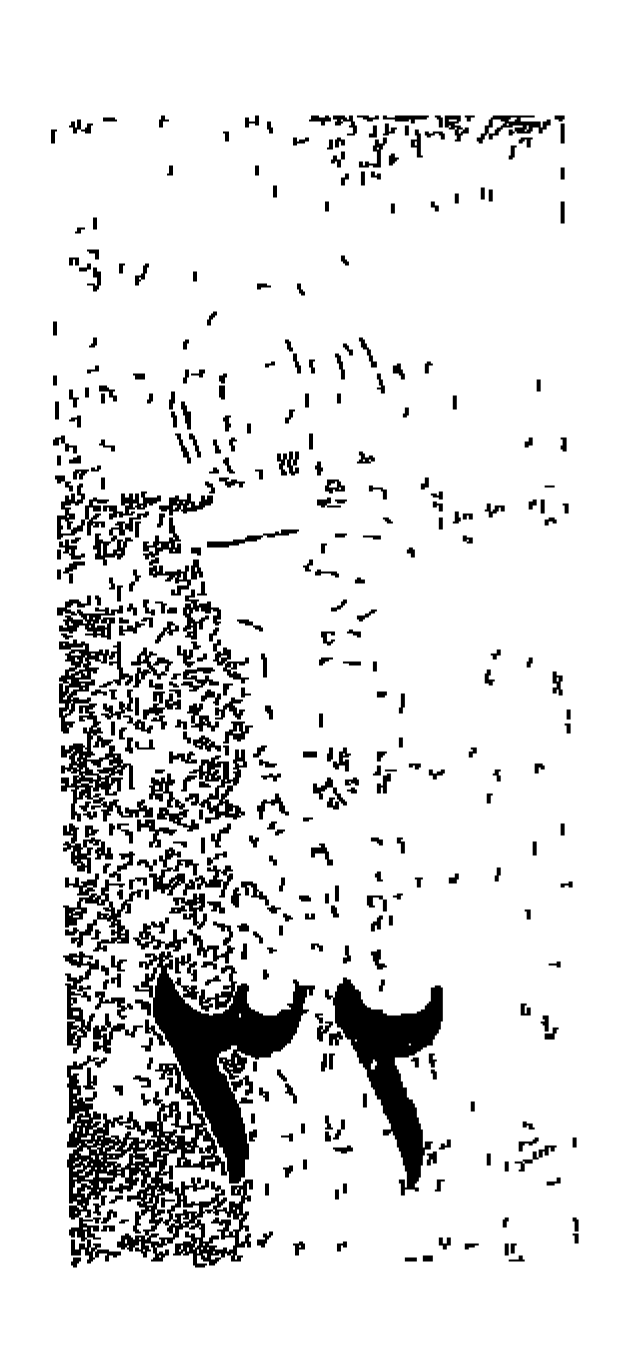
وبمثل هذا الجيش العظيم من الخدام الشباب المدربين حسنا ما اسرع ما تُحمل الى العالم كله رسالة المخلص المصلوب القام الآتي سريعا ! وما اسرع ما يمكن ان تأتي النهاية ــ نهاية الالم والحزن والخطية ! وبدلا من الميراث هنا بما فيه من ضربة ولعنة الخطية والالم يمكن لاطفالنا ان يحصلوا على ميراث حيث « الصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد » حيث « لا يقول ساكن انا مرضت » و « لا يُسمع بعد فيها صوت بكاء » (مزمور ٣٧ : ٢٩ ؛ اشعياء ٣٣ : ٢٤ ؛ ٦٥ : ١٩)





القسم

المعلّم المساعِد



٣٢ الإعداد

ان اول معلم للطفل هي امه . ففي الفترة التي يكون فيها سريع التأثر جداً وسريع النمو تكون تربيته بين يديها الى حد كبير . فلها تعطى اولا الفرصة لتشكيل خلقه ان للخير او للشر . ويجب عليها ان تدرك قيمة فرصتها ، ويجب عليها ان تكون مؤهلة لاستخدامها احسن استخدام ولافضل نتيجة اكثر من اي معلم آخر . ولكن تعليمها وتربيتها قلما يُلتفت اليهما دون اي شيء آخر . فتلك التي تربيتها هي اكثر فاعلية وابعد مدى لا يُبذل الا اقل مجهود منظم لمساعدتها

ان الذين يوكل اليهم امر العناية بالطفل الصغير فى اغلب الاحيان يجهلون حاجاته الجسدية ، فهم لا يعرفون الا القليل من قوانين الصحة او مبادىء النمو . وكذلك غير مؤهلين اهلية افضل للعناية بنموه العقلي والروحي . قد يكونون مؤهلين لادارة عمل او ليعملوا فى المجتمع ، ربما

يكونون قد بلغوا شأوا عظيما في تحصيل العلوم والآداب يمدحون عليه . اما في تربية الاطفال فلا يعرفون سوى القليل . فبسبب هذا النقص ، وعلى الخصوص بسبب اهمال النمو الجسماني منذ الصغر تموت نسبة كبيرة من الجنس البشري في الطفولة . وكثيرون ممن يعيشون الى سن البلوغ تمسي الحياة عبئا ثقيلا عليهم

فعلى الاب كما على الام تقع مسؤولية تربية الطفل في سني حياته الاولى وكذلك تربيته بعد ذلك ، ولذلك فمن الزم الامور لكليهما ان يعدا نفسيهما لذلك اعدادا كاملا وحريصا . فقبلما يتخذ الرجال والنساء على انفسهم امكانية صيرورتهم آباء وامهات يجب عليهم ان يلموا بقوانين النمو والتطور الجسماني وبالفيسيولوجيا وعلم الصحة وباتجاه المؤثرات الوالدية وقوانين الوراثة وحفظ الصحة واللبس والتمرين الرياضي ومعالجة المرض ، كما يجب عليهم ان يفهموا قوانين النمو العقلي والتربية الادبية

ان الاله السرمدي اعتبر عملية التربية هامة جدا بحيث ارسل من امام عرشه رسلا الى امرأة كانت موشكة ان تصير اماً للاجابة عن هذا السؤال : « ماذا يكون حكم الصبي ومعاملته » ؟ (قضاة ١٣ : ١٢) ، وليعلموا ويرشدوا اباً عن تربية ابن موعود به

ولن يمكن للتربية ان تحقق كل ما يمكن ويجب تحقيقه ما لم يعترف بعمل الوالدين اعترافا كاملا وما لم يتلقيا تدريبا على القيام بمسؤولياتهما المقدسة

275,276

ان ضرورة التربية الاعدادية للمعلم هي امر مسلم به من الجميع ولكن قليلون هم الذين يعرفون صفة الاعداد الالزم من غيره . فالذي يقدر المسؤولية المتضمنة فى تربية الشباب سيعرف ان تعليم المواد العلمية والادبية فقط لا يكفي . فيجب ان يكون للمعلم تربية اشمل واكمل مما يمكن ان يحصل عليه من دراسته الكتب . ففضلا عن قوة العقل يجب ان تكون عنده سلامة فى العقل ، وفضلا عن كونه مكتمل النفسية يجب ان يكون كبير القلب

ان ذاك الذي خلق العقل ورسم قوانينه هو وحده الذي يستطيع ان يدرك حاجاتـه وتطوره المباشر ادراكا كاملا . فمبادىء التربية التي قد اعطاها هي المرشد الامين الوحيد . والمؤهل اللازم لكل معلم هو معرفة هذه المبادىء وقبولها القبول الذي يجعلها القوة المسيطرة على حياته

والاختبار فى الحياة العملية امر لا غنى عنه . ان النظام والاتقان والمثابرة وضبط النفس والطبـع المتألق المبتهج واعتدال المـزاج والتضحية والاستقامة واللطف هذه جميعها مؤهلات لازمة

فبسبب وجود الشيء الكثير من الخلق الرخيص التافه، وكثير من الزيف حول الشباب توجـد حاجـة اشد الى ضرورة كون كلام المعلم وموقفه وسلوكه يمثل ويصور ما هو سام واصيل . ان الاولاد سرعان ما يكتشفون التصنع او اي ضعف او نقص آخر . ان المعلم لا يمكنه ان يظفر باحترام تلاميذه بطريقة اخرى غير كونه يعلن فى خلقـه

276,277

المبادىء التي يحاول ان يعلمهم اياها • فبقدر ما يفعل هذا فى معاشرته لهم كل يوم يستطيع ان يكون له عليهم تأثير دائم للخير

ان المعلم معتمد فى كل مؤهل آخر تقريبا يساعد على نجاحه ــ معتمد بدرجة كبيرة على نشاطه الجسماني • فكلما كانت صحته احسن كلما كان عمله افضــل

ثم ان مسؤولياته مرهقة جدا بحيث يُطلب منه ان يبذل جهدا خاصا ليحتفظ بنشاطه ونضارته . فكثيرا ما يصير مضنى القلب ومجهد العقل وهو يكاد يميــل الى الهبوط او البرود او الاهتياج . فواجبه ليس فقط ان يقاوم مثل هذه الحالات بل ان يتجنب مسبباتها . هــو بحاجة الى حفظ قلبه طاهرا وفرحا وواثقا وعطوفا . ولكي يكون دائما ثابتا وهادئا ومبتهجا عليه ان يحتفظ بقوة عقله واعصابــه

وحيث ان المعول عليه فى عمله هو النوعية اكثر مــن الكمية ؛ فعليه الا يرهق نفسه فى العمل ــ ليحترس مــن محاولة عمل شيء اكثر مما يلزم فى نوع عمله ، ومن قبول مسؤوليات اخرى لا تؤهله لعملــه ، ومن الاشتراك فى الملاهي والمسرات الاجتماعية التي تسبب له الارهاق لا العافية ولا الشفاء

ان التمرين فى الخلاء خصوصا فى العمل النافع هو من افضل عوامل التسلية للجسم والعقــل . وان مثال المعلم سيلهم تلاميذه بالاهتمام بالعمل اليدوي واحترامــه

وفى كل عمل يجب على المعلم ان يلاحظ مبادىء الصحة بكل دقة ويحافظ عليها . وعليه ان يفعل هذا ليس فقط بسبب علاقته بنفعه وخدمته بل ايضا بسبب تأثيره على تلاميذه . فيجب ان يكون متعففا فى كل شيء ، فى الاكل واللبس والشغل والتسلية ، فى كل هذه يجب ان يكون مثالا يُحتذى

ثم يجب ان ترتبط بصحة البدن واستقامة الخلق مؤهلات علمية سامية . فكلما زاد المعلم من المعرفة الصحيحة كلما حسُن عمله. ان الفصل المدرسي ليس للعمل السطحي . فالمعلم الذي يقنع بالمعرفة السطحية لن يبلغ درجة سامية من الكفاءة

ولكن نفع المعلم لا يتوقف بالاكثر على كمية حصيلته من العلوم فعلا بل على المثال الذي يهدف اليه . فالمعلم الامين لا يقنع بالافكار السخية او العقل الخامل او الذاكرة التي لا تعي شيئا . فهو يحاول دائما اكتساب معلومات اسمى واساليب افضل . فحياته هي حياة النمو المطرد . ففي عمل مثل هذا المعلم توجد جدة وطرافة وقوة محيية ومنعشة توقظ تلاميذه وتلهمهم

ويجب ان يكون المعلم حائزا على المهارة لاداء عمله . فيجب أن تكون عنده الحكمة واللباقة اللازمان فى تعامله مع العقول . ومهما تكن معرفته العلمية عظيمة ومهما تكن مؤهلاته فى اشياء اخرى فائقة ، فما لم يظفر باحترام تلاميذه وثقتهم فان جهوده تذهب عبثا

هناك حاجــة الى المعلمين الذين يسرعون فى اكتشاف كل فرصة لعمل الخير واستخدامها حسنا ، الذين يمزجون الحماس بالعظمة الحقة ، القادرين على ان يحكموا والذين هم « اكفاء ان يعملوا » ، الذين يستطيعون ان يلهموا الفكر ويوقظوا النشاط ويمنحوا الشجاعة والحيــاة

ان ميزات المعلم قد تكون محدودة بحيث لا تكون عنده مؤهلات ادبية سامية قدر ما هو مرغوب فيه ، ومع هذا فان كان حقا بصيرا بالطبيعة البشرية وكان يحب عملــه محبة حقيقية وعنده تقدير لجسامته وعزم على التحسن ، واذا كان راغبا فى أن يخدم بغيرة ومثابرة فسيدرك حاجات تلاميذه وبروحه العطوف التقدمي سيلهمهم بان يتبعوه اذ يحاول ان يقودهم الى الامام والى فوق

ان الاطفال والشباب الذين هم تحت رعايــة المعلــم يختلف بعضهم عن بعض فى الامزجة والعادات والتربية . فالبعض منهم لا يوجد عندهم قصد معين او مبادىء ثابتة. وهم بحاجة الى ايقاظهم لمعرفة مسؤولياتهم وامكانياتهم. وقليلون من الاولاد هم الذين تربوا تربية صالحة فى البيت. وبعضهم كانوا مدللين فى بيوتهــم . وكــل تربيتهم كانت سطحية فاذ سمح لهم باتباع اميالهم ورفض المسؤولية وحمل الاعباء فهم مفتقرون الى الثبات والرسوخ والمثابرة وانكار الذات . هؤلاء كثيرا ما يعتبرون كل تدريب رادعا لا لزوم له آخرون صكت اسماعهم اقوال الذم والتقريع فثبطت هممهم . فالردع التعسفي والنظافة ربت فيهم

روح العناد والتحدي . فاذا كان لا بد من اعادة تشكيل هذه الاخلاق المشوهة فالذي يقوم بهذا العمل هو المعلم فى غالب الاحيان . فلكي يقوم بهذا العمل بنجاح يجب ان يكون عنده عطف وبصيرة يقدرانه على ان يتتبع الاخطاء والاغلاط الظاهرة فى تلاميذه الى سببها . ويجب ان تكون عنده ايضا اللباقة والمهارة والصبر والثبات التي تساعده على ان يقدم لكل واحد العون الذي يحتاجه ــ فيقدم للمترددين ومحبي الراحــة التشجيع والمساعدة اللذين يكونان حافزا لــه على بــذل الجهد ، وللفاشلين العطف والتقدير اللذين يخلقان فيه الثقة وهكذا يلهمانه ببذل الجهد

ان المعلمين كثيرا ما يفشلون فى تكوين علاقات اجتماعية كافية مع تلاميذهم . انهم يبدون قدرا قليلا جدا مــن العطف والرقة بينما يظهرون قدرا اكثر مما يلزم من عظمة القاضي العابس المتجهم . ان المعلم فى حين يجب عليه ان يكون ثابتا وحازما ينبغي الا يكون صارما او مستبدا . ان كونه قاسيا وكثير اللوم والتوبيخ وترفعــه عــن تلاميذه ومعاملته اياهم فى غير اكتراث ، هذا كفيل بأن يسد امامه السبل التي كان يمكنه بواسطتها ان يؤثر عليهم للخير

ينبغي للمعلم ان لا يظهر المحاباة فى اي ظرف . فكونه يحابي للتلميذ الجذاب ويكون منتقدا وضجرا او عديم العطف نحو من هم بحاجة الى التشجيع والعون فهــذا يكشف عن سوء فهم كامل لعمله كمعلم . ففي التعامل مع

279,280

المخطئين المتعبين يمتحن الخلق ويتبرهن ما اذا كان المعلم مؤهلا حقا لعمله ام لا

ان الذين يأخذون على انفسهم مسؤولية ارشاد نفس انسان عليهم تبعة عظيمة . ان الاب والام الامينين يعتبران مسؤوليتهما امانة لا يمكنهما ان يعفيا نفسيهما منها تماما. وان حياة الطفل من اول يوم الى آخر يوم تظل تحس بقوة ذلك الرباط الذي يربطه بقلب والديه . فالاعمال والاقوال ونفس نظرة الاب او الام تظل دائبة على تكوين وصوغ الطفل إن للخير او للشر . والمعلم يشترك فى هذه المسؤولية ويحتاج دائما الى معرفة قدسيتها والى ان يجعل نصب عينيه دائما هدف عمله . فليس عليه ان ينجز الواجبات اليومية وحسب او ان يرضي رؤساءه او يحتفظ بمكانة مدرسته ، بل عليه ان يضع فى اعتباره اسمى خير لتلاميذه كأفراد ، والواجبات التي تضعها الحياة على كواهلهم والخدمة التي تتطلبها والاعداد المطلوب . ان العمل الذي يقوم به يوما بعد يوم سيُحدث فى تلاميذه ويُحدث فى آخرين عن طريقهم تأثيرا يظل باقيا وممتدا ويقوى ويزيد الى انقضاء الدهر . وسيحصد ثمار عمله وخدمته فى ذلك اليوم العظيم الذي فيه ستُفحص كل كلمة وكل عمل امام الله

والمعلم الذي يعرف هذا لن يحس بان عمله قد اكمل عندما ينتهي من روتين تسميع الدرس كل يوم ولا يعود التلاميذ تحت رعايته المباشرة حينا من الوقت . انه

سيحمل هؤلاء الاطفال والشباب على قلبــه . وسيكون موضوع درسه وتفكيره وجهده الدائم كيف يضمن لهــم اسمى وانبل مقياس للعلــم

ان من يرى فرص عملــه وامتيازاته لن يسمح لاي شيء بان يقف حائلا فى طريق بذل الجهد الغيور لتحسين حالته . انه لن يدخر جهدا لبلوغ اسمى مقاييس التفوق. وكل ما يشتهيه لتلاميذه سيحاول ان يحققه لنفسه

وبقدر ما يتعمق احساس المعلم بالمسؤولية وبقدر ما يبذل الجهد فى تحسين حالته على قدر ذلك يرى بكل وضوح ، وكلما اشتد شعوره بالاسى على النقائص التي تعطل نفعه . فاذ يشاهد جسامة العمل الذي يزاولــه وصعوباته وامكانياتــه فكثيرا ما يصرخ قلبه قائلا : « من هو كفوء لهذه الامور » !

فيا ايهــا المعلم العزيز : عندما تفكر فى حاجتك الى القوة والارشاد ــ تلك الحاجة التي لا يمكن لمصدر بشري ان يسدها ــ فانا اشير عليك بان تفكر فى مواعيد ذاك الذي هو العجيب المشير

فهو يقول : « هأنذا قد جعلت امامك بابا مفتوحا ولا يستطيع أحد ان يغلقه » (رؤيا ٣ : ٨)

« ادعني فأجيبك » « اعلمك وارشدك الطريق التي تسلكها . انصحك . عيني عليك » (ارميا ٣٣ : ٣ ؛ مزمور ٣٢ : ٨)

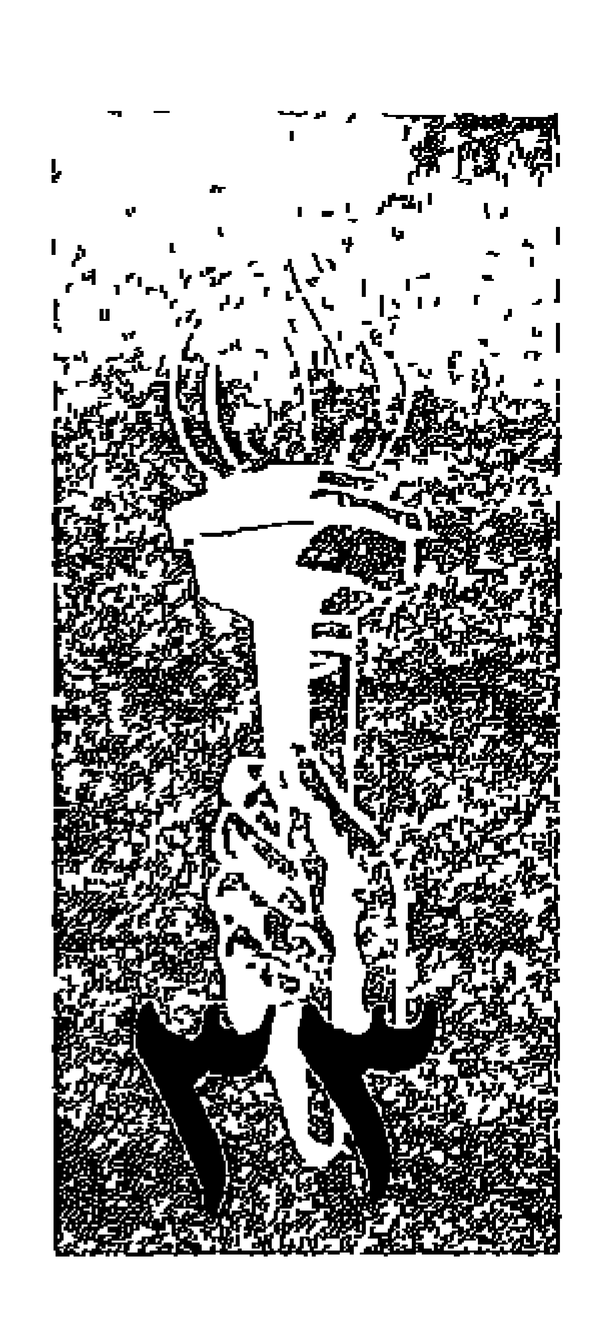
« ها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠)

281,282

اني اوجهك الى اقوال وحياة واساليب معلم المعلمين كأسمى إعداد لعملك . وانا اريدك واشـير عليـك بان تلاحظه . فهنا مثالك الحقيقي . انظر اليه وتأمل فيه حتى يسيطر على قلبك وحياتك روح المعلم الالهي

فاذ تكون : ناظرا « مجد الرب بوجه مكشوف » تتغير « الى تلك الصورة عينها » (**٢كورنثوس ٣ : ١٨**)

هذا هو السر فى قوتك على تلاميذك . انظر اليه واعكس مجـده



التّعاون

فى امر تكوين الاخلاق لا توجد قوة اعظم فى تأثيرها من البيت . فعمل المعلم يجب ان يكمل عمل الوالدين ولكن يجب الا يُستغنى به عن عمل البيت . وفى كل ما يتعلق بسعادة الطفل يجب ان يسعى الوالدون والمعلمون الى التعاون معــا

وعمل التعاون يجب ان يبدأ فيه الاب والام بنفسيهما فى الحياة البيتية . ففي تربية اولادهما عليهما مسؤولية مشتركة ويجب ان يسعيا دائما الى العمل معا . فليسلما حياتهما لله طالبين منه العون ليعضد احدهما الآخر . وليعلما اولادهما ان يكونوا امناء لله وامناء للمبدإ الصالح وهكذا يكونون امناء لانفسهم ولكل من يحتكون بهم . فبمثل هذه التربية عندما يرسل الاولاد الى المدرسة لن يكونوا سبب ازعاج او جزع . وسيكونون معضدين لمعلميهم وقدوة وتشجيعا لزملائهم التلاميذ

والوالدون الذين يقدمون لاولادهم هذه التربية ليسوا هم الذين ينتقدون المدرس . فهم يحسون ان اهتمامهم بأولادهم والانصاف للمدرسة يتطلبان انهم ، بقدر الامكان يساندون ذاك الـذي يشاركهـم فى حمـل مسؤوليتهم ويكرمونه

ان كثيرين من الوالدين يخفقون فى هذا الامر . فبسبب انتقادهم الطائش الذي لا اساس له كثيرا ما يكاد تأثـير المعلم الامين المضحي يضيع . وكثيرون من الوالدين الذين قد تلفت اخلاق اولادهم بسبب تسامحهم يتركون للمعلم عملا مكروها الا وهو اصلاح اهمالهم ، ثم بتصرفهم يجعلون عمله يكاد يكون ميئوسا منه . ثم ان انتقادهم وذمهـم لإدارة المدرسة يشجعان اولادهم على العصيان والتمرد وبجعلانهم يصرون على التمسك بعاداتهم الخاطئة

وان كان الانتقاد او تقديم المقترحات من ناحية عمل المعلم يصير امرا لازما فيجب عمل ذلك سرا . فان اتضح ان هذا عديم الجدوى فليُرفع الامر الى المسؤولين عن ادارة المدرسة . ينبغي عدم عمل شيء او قول شيء من شأنه ان ُيضعف من احترام الاولاد لذاك الذي تتوقف عليه سعادتهم الى حـد كبير

ان معرفـة الوالديـن الوثيقـة لاخـلاق اولادهـم وخصائصهم البدنية او امراضهم لو اعلموا المعلم بها لكان ذلك مما يساعده . ومما يؤسف له ان كثيرين جدا لا يعرفون هذا . فمعظم الوالدين لا يبدون الا اهتماما قليلا

من ناحية معرفتهم لمؤهلات المعلم او للتعاون معه فى عمله

وحيث ان الوالدين قلما يتعرفون بالمعلم ، فانه من المهم جدا ان يسعى المعلم من جانبه للتعرف بالوالدين . عليه ان يزور بيوت تلاميذه ويتعرف على المؤثرات والبيئة التي يعيشون فيها . فاذ يصير بنفسه على اتصال ببيوتهم وحياتهم فقد يقوي الاواصر التي تربط بينه وبين تلاميذه وقد يعرف كيف يتعامل مع طباعهم وامزجتهم المختلفة ويعالجها بنجاح

ان المعلم اذ يبدي اهتمامه بالتربية البيتية فهو يقدم فائدة مضاعفة . فكثيرون من الوالدين اذ يكونون مشغولين فى عملهم وهمهم تغيب عن عيونهم الفرص التي يمكنهم فيها ان يؤثروا فى حياة اولادهم للخير . والمعلم يستطيع ان يفعل الكثير فى ايقاظ هؤلاء الآباء للاضطلاع بامكانياتهم وامتيازاتهم . وسيجد آخرين ممن ُيعتبر احساسهم بالمسؤولية عبئا ثقيلا عليهم ، وهم مشتاقون جدا لان يصير اولادهم ، رجالا ونساء ، صالحين ونافعين . وكثيرا ما يستطيع المعلم ان يساعد هؤلاء الوالدين فى النهوض بعبئهم ، واذ يتشاور المعلم والوالدون معا فانهم سيتشجعون ويتشددون

وفى تربية الشباب فى البيت ُيعتبر مبدأ التعاون ثمينا جدا . ان الاطفال يجب ارشادهم منذ الصغر ليحسوا بانهم يكونون جزءا من شركة البيت . وحتى الصغار يجب تربيتهم على الاشتراك فى العمل اليومي ويجب ان

نجعلهم يحسون بان مساعدتهم مطلوبة ولهـا قيمتها . ويجب ان يكون الاولاد الاكبر سنا مساعدين لوالديهم اذ يطلعون على خططهم ويشاركونهم فى مسؤولياتهم واعبائهم . ليقض الوالدون والامهات وقتـا فى تعليـم اولادهـم ، وليبرهنوا لهم على انهم يقدّرون مساعدتهم ويشتاقون الى ثقتهم ويستمتعون بزمالتهم ، وحينئذ فلـن يتباطأ الاولاد فى الاستجابة . وفضلا عن تخفيف عبء الوالدين وكون الاولاد يحصلون على تدريب عملي لا يمكن تقديره فان ربط البيت ستتوثق ونفس اسس الخلق تتعمق

ويجب ان يكون التعاون هو روح المدرسـة وقانون حياتها . فالمعلم الذي يظفر بتعاون تلاميذه يحصل على مساعدة لا تقدّر فى حفظ النظام . وفى الخدمة فى الفصل المدرسي كثيرا ما يحدث ان الصبي الذي يدفعه تبرمـه وعدم هدوئه الى التشويش والتمرد قـد يجد متنفسا لنشاطه الزائد عن الحاجة . فليساعد الكبير الصغير والقوي الضعيف ، وبقدر الامكان ليُطلب من كل واحد ان يعمل شيئا يكون متفوقا فيه . هذا يشجع عزة النفس والرغبة فى ان يكون الولد نافعا

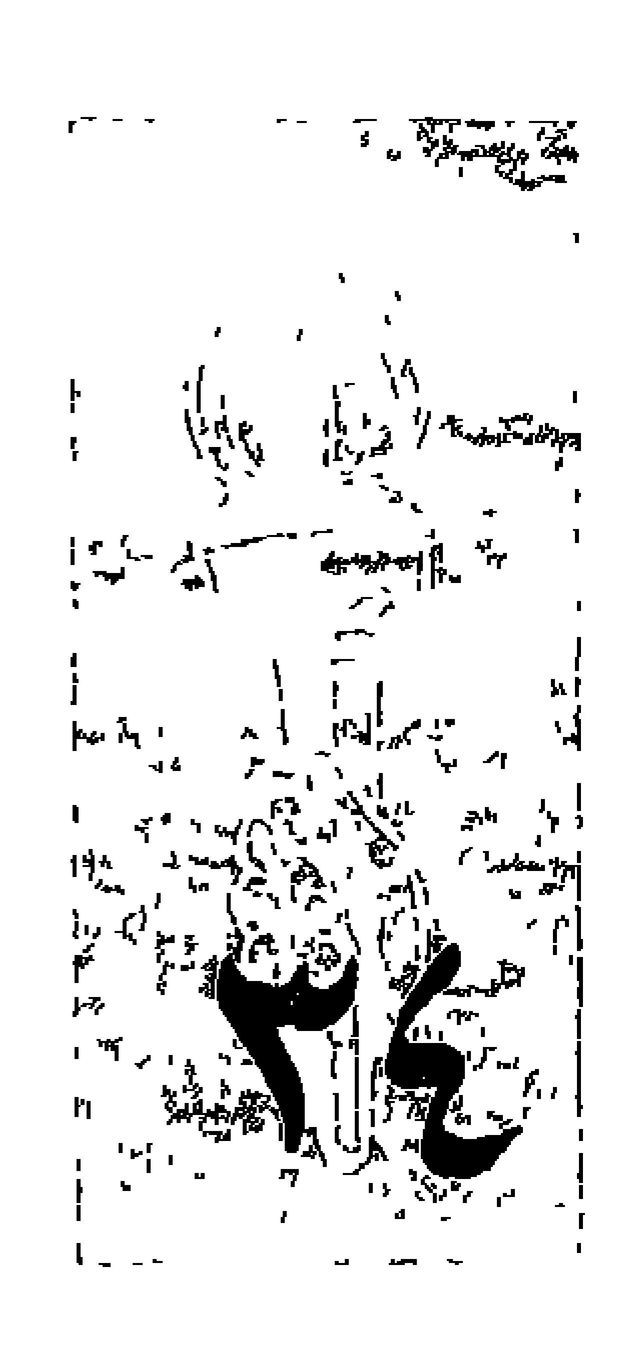
وانه لمما يساعد الشباب والوالدين والمعلمين كونهم يدرسون درس التعاون كما هو مشروح فى الكتاب المقدس . فبين مثله الكثيرة لاحظوا بناء الخيمة ـ ذلك المثل الذي يرمز الى بناء الخلق ـ الذي اشترك فيه الشعب كلـه : « كل من انهضه قلبه وكل من سمّحته روحه » (خروج

٣٥ : ٢١) . ثم اقرا كيف اعيد بناء سور اورشليم بأيدي المسبيين العائدين من سبيهم ، فى وسط الفقر والشدة والخطر ، وقد تم ذلك العمل العظيم بنجاح لانه : « كان للشعب قلب فى العمل » (نحميا ٤ : ٦) . ثم لاحظ الدور الذي قام به التلاميذ فى معجزة اشباع المخلص للجموع ، ان الطعام كثر وتضاعف فى يدي المسيح ، ولكن التلاميذ تناولوا الارغفة وقدموها للجمع المنتظر

« لاننا بعضنا اعضاء البعض » كل واحد « بحسب ما اخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضا كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة» (افسس ٤ : ٢٥ ؛ ١ بطرس ٤ : ١٠)

ويحسن ان الكلام الذي كتب عن بناة الاصنام قديما ينطبق لأسمى غاية كشعار لبناة الاخلاق اليوم :

« كل واحد يساعد صاحبه ويقول لاخيه تشدد »
(اشعياء ٤١ : ٦)



٣٤ التَّدريب

الطاعة هي درس من اوائل الدروس التي يحتاج الطفل الى تعلمها . فقبلما يكبر بحيث يستطيع ان يجادل يمكنه ان يتعلم ان يطيع . وهذه العادة يجب ان ترسخ عن طريق بذل الجهد فى لطف ومثابرة . وهكذا يمكن تجنب المكافحات التي تحدث فيما بعد بين الارادة والسلطان ، مما يوجد النفور والمرارة نحو الوالدين والمعلمين ، وفى اغلب الاحيان مقاومة كل سلطة بشرية والهية ، فبالطاعة يجنبهم هذا النفور وهذه المرارة الى حد كبير

ان غاية التدريب هي تربية الطفل على ضبط نفسه. فيجب ان يتعلم الاعتماد على الذات وضبط النفس . ولذلك فحالما يصير قادرا على الفهم يجب ان يجنّد عقله الى جانب الطاعة . فعلى كل من يتعاملون معه ان يفهموه ان الطاعة عادلة ومعقولة . ساعدوه على ان يرى ان كل الاشياء خاضعة للقانون وان العصيان مآله الى الكوارث

والآلام . فعندما يقول الله : « لا ... » فهو فى محبته يحذرنا من عواقب العصيان ليجنبنا الضرر والخسارة

ساعدوا الطفل على ان يرى ان الوالدين والمعلمين هم نواب الله وانهم اذ يعملون فى توافق معه فقوانينهم فى البيت وفى المدرسة هي قوانينه ايضا . فكما ان الطفل عليه ان يقدم الطاعة للوالدين والمعلمين ، فكذلك عليهم ايضا فى دورهم ان يقدموا الطاعة لله

يجب على الوالدين والمعلم ان يجعلوا موضوع دراستهم كيف يوجهون نمو الطفل دون ان يعيقوا نموه عن طريق السيطرة غير اللائقة. ان الافراط فى التحكم رديء كالاقلال منه . ان السعي فى « تحطيم ارادة » الطفل خطأ رهيب . ان العقول غير متشابهة فى تكوينها ، ففي حين ان العنف قد يضمن الخضوع الظاهري فالنتيجة بالنسبة لكثيرين من الاطفال هي اصرار القلب على العصيان . وحتى لو نجح الاب او المعلم فى الحصول على السيطرة التي يريدها فالنتيجة ستكون اكثر وبالا على الطفل . ان تدريب كائن بشري وصل الى سني البلوغ والذكاء يجب ان يختلف عن تدريب حيوان اعجم . الحيوان يتعلم الخضوع فقط لسيده . والسيد بالنسبة الى الحيوان هو عقله وحكمه وارادته . فاذ يستخدم هذا الاسلوب احيانا فى معاملة الاطفال وتربيتهم يجعلهم ذلك افضل قليلا من آلات ذاتية الحركة (اوتوماتيكية) ، ذلك ان العقل والارادة والضمير تكون تحت سلطان شخص آخر . ولكن الله لا يقصد ان

287,288

عقل اي انسان ُيستبد ُ به هكذا . فالذين ُيضعفون الشخصية او يدمرونها ينتحلون مسؤولية لا ينجم عنها غير الشر . فاذ يكون الاطفال خاضعين للسيطرة يبدو وكأنهم جنود مدربون حسنا ، ولكن عندما تبطل السيطرة يبدو ان الخلق تعوزه القوة والثبات . ان الشاب اذ لم يتعلم قط ان يضبط نفسه فهو لا يعترف بأي رادع الا ما يطلبه ابواه او معلمه . واذ يزول هذا الرادع فهو لا يعرف كيف يستخدم حريته وكثيرا ما يسلم نفسه للانغماس فى الشهوات الامر الذي يفضي الى هلاكه

وحيث ان تسليم الارادة اصعب بكثير على بعض التلاميذ مما هو على آخرين فيجب على المعلم ان يجعل الطاعة لمطاليبه سهلة بقدر الامكان . والارادة يجب توجيهها وصوغها ولكن ينبغي الا نتجاهلها او نسحقها . أبقوا على قوة الارادة فالحاجة ستدعو اليها فى معركة الحياة

وعلى كل طفل ان يفهم القوة الحقيقية للارادة . ويجب ان نبصره بعظمة المسؤولية المنطوية على هذه الهبة . الارادة هي القوة الحاكمة فى طبيعة الانسان ، قوة الحكم او الاختيار. وكل انسان عاقل عنده قوة لاختيار الصواب. وفى كل اختبارات الحياة يقول لنا الله : « اختاروا لانفسكم اليوم من تعبدون » (يشوع ٢٤ : ١٥) . فيمكن لكل واحد ان يجعل ارادته فى جانب ارادة الله ، ويمكنه ان يختار اطاعته واذ يقرن نفسه بالقوى الالهية قد يقف فى وضع بحيث لا يمكن ان اي شيء يرغمه على عمل الشر .

وفى كل شاب وطفل توجد بمعونة الله القوة على تكوين خلق قويم وعلى ان يحيا حياة النفع والخدمة

ان الاب او الام او المعلم الذي بواسطة مثـل هـذا الارشاد يربي الطفل على ضبط النفس سيكون انفع انسان ودائم النجاح . قد يبدو لمن ينظر نظرة سطحية ان عمله ليس ذا نفع كبير وقد لا يظفر بتقدير كبير كما يظفر ذاك الذي يمسك بعقل الطفل وارادته ويستأسرهما لسلطانه المطلق ، ولكن السنوات التالية ستبين نتيجة الطريقة المثلى فى التربية

ان المربي الحكيم فى تعامله مـع تلاميذه يحاول ان يشجع فيهم الثقة ويقوي احساسهم بالكرامة . فالاولاد والشباب يستفيدون عندما يصيرون موضع ثقة . ان كثيرين حتى من الاطفال الصغار عندهـم احساس سام بالكرامة ، والكـل يتوقون الى ان يوثق بهـم ويظفروا بالاحترام ، وهذا حقهم . فيجب ان لا نجعلهم يحسون بأنه لا يمكنهم الخروج او الدخول بدون رقابة . ان الشك يفسد الاخلاق وتنتج عنه نفس الشرور والمساوىء التي يحاول منعها . ان المعلمين بدلا من المراقبة الدائمة كمـا لو انهم يشتبهون فى وجود شر ــ اولئك المعلمون الذين هم على اتصال بتلاميذهم ، لا بد سيلاحظون انشغالات العقل الذي لا يهدأ وسيشغلون المؤثرات التي ستبطل الشر . اجعـل الشباب يحسون بأنهم موضع ثقة ، وسيحاول معظمهم ان يبرهنوا على انهم موضع ثقـة

289,290

وعلى نفس هذا المبدإ نقول ان الافضل هو ان نطلب لا ان نأمر ، فالذي يخاطب هكذا لديه الفرصه لان يبرهن على ولائه للمبادىء المستقيمة . وطاعته هي نتيجة الاختيار لا الارغام

والقوانين السائدة فى المدرسة يجب ان تمثل صوت المدرسة بقدر الامكان . وكل مبدأ متضمن فيها يجب ان يوضع امام الطالب بحيث يقتنع بعدالته . وهكذا يحس بالمسؤولية لان يرى بأن القوانين التي ساعد هو نفسه على صوغها ووضعها يعمل بموجبهـا

ويجب ان تكون القوانين قليلة وصادرة عـن تفكير حسن . فمتى ُعملت لا بد من تنفيذها . واي شيء يوجد انه لا يمكن تغييره فالعقل يتعلم ان يسلم به ويروض نفسه عليه ، ولكن امكانية التسامح توعز بالرغبة والامل وعدم اليقين ، وتكون النتيجة هي القلق والاهتياج والعصيان

ويجب ايضاح هذا الامر وهو ان حكم الله لا يعرف اي اتفاق مع الشر . فينبغي عدم التسامح مع العصيان لا فى البيت ولا فى المدرسة . فكل اب او ام او معلم يتمنى من قلبه إسعاد من هم تحت رعايته لن يتفق مع العناد والتصلب الذي يتحدى السلطان او يلجأ الى الاحتيال او المراوغة تهربا من الطاعة . ان الذي يراوغ مع عمل الشر ليس هو المحبة بل التمسك بالتقاليد ، ويحاول بواسطة التملق او الرشوة ليظفر بالامتثال واخـيرا يقبل بديلا عـن الشيء المطلوب

« الجهال يستهزئون بالاثم » (امثال ١٤ : ٩) . يجب علينا ان نحترس من معاملة الخطية كشيء تافه . ان سلطانها على فاعل الشر رهيب. « الشرير تأخذه آثامه وبحبال خطيته يمسك » (امثال ٥ : ٢٢) . ان افدح ظلم نوقعه على اي طفل او شاب هو ان نسمح له بأن يقيد فى عبودية العادة الشريرة

ان فى نفس الشاب غريزة حب الحرية ، فالشباب يشتهون الحرية ، وهم بحاجة الى ان يدركوا ان هذه البركات الثمينة يتمتع بها الانسان فى حالة اطاعة شريعة الله فقط. فهذه الشريعة هي حارسة وحافظة الحرية الصحيحة. وهي تشير الى الاشياء التي تحط من قدر الانسان وتستعبده وتنهى عنها ، وهكذا هي تضمن المطيع حفظا من قوة الشر وسلطانه

ان المرنم يقول : «اتمشى فى رحب لاني طلبت وصاياك» « شهاداتك هي لذتي أهل مشورتي » (مزمور ١١٩ : ٤٥ و ٢٤)

وفى محاولاتنا ان نصلح الخطأ يجب علينا ان نتحفظ من الاعابة او الذم . ان اللوم والذم المستمر يحير ويربك ولكنه لا يصلح . فبالنسبة الى كثير من العقول وغالبا بالنسبة الى تلك التي هي شديدة الحساسية والتأثر يتضح ان جو الانتقاد الخالي من العطف قاتل لكل جهد ومسعى . ان الازهار لا تتفتح للريح اللافحة

ان الطفل الذي يلام كثيرا لاجل غلطة خاصة سيعتبر

ان هذه الغلطة هي الصفة المميزة له ، اي انها شيء من العبث محاولة التخلص منــه . وهكذا يخلـق الفشــل واليأس اللذان يختبئان تحت مظهر عــدم الاكتراث او الشـجاعــة الظاهريــة

اما الهدف الحقيقي للتوبيخ فيمكن بلوغه عندما يرى الشرير بنفسه خطأه وتجند ارادته لاصلاحه . فمتى تم هذا فأرشده الى نبــع الغفران والقوة . واجتهد فى ان تحفظ له عزة نفســه وتلهمه بالشجاعة والامل

هذا ادق واصعب عمل وكل الى بني الانسان . فهو يتطلب ادق لباقة وارق حساسية ومعرفة للطبيعة البشرية وايمانا وصبرا سماويين ، وان يكون الانسان راغبا فى العمل والانتظار . انه عمل لا يفوقه اي عمل آخر فى اهميته

والذين يرغبون فى السيطرة على الآخرين يجب عليهم ان يتحكموا فى انفسهم اولا . ان معاملة اي طفل او شاب بالانفعال والغضب لــن يفعل شيئا الا اثارة سخطه . فعندما يصير اي اب او ام او معلم ضجرا وفى خطر مــن ان ينطق بكلام طائش خالٍ من الحكمة فليظل صامتا . ففي الصمت قوة عجيبة

ويجب على المعلم ان ينتظر ان يواجه امزجة منحرفة وقلوبا صلبة . ولكن فى تعامله معها يجب عليه الا ينسى انه كان قبلا طفلا بحاجة الى التدريب . وحتى الآن فمع كل امتيازات السن والتربية والاختبار فكثيرا ما يخطىء وهو بحاجة الى الرحمة والاحتمال . وفى تربيته للشباب

عليه ان يعتبر انه يتعامل مع اولئك الذين عندهم اميال للشر شبيهة بأمياله. ان عليهم ان يتعلموا كل شيء تقريبا ، وان التعلم اصعب على البعض مما على آخرين . فبالنسبة الى التلميذ البليد عليه ان يتذرع بالصبر ، فلا يذمه على جهله بل ينتهز كل فرصة ليقدم له التشجيع . اما التلاميذ الشديدو الحساسية والعصبيون فعليه ان يعاملهم بكل رقة. ان احساسه بنقائصه يجب ان يقوده على الدوام الى اظهار العطف والاحتمال نحو من يكافحون ايضا ضد الصعوبات

ان قانون المخلص القائل : « وكما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم ايضا بهم هكذا » (لوقا ٦ : ٣١) يجب أن يكون قانونا لكل من يباشرون امر تربية الاطفال والشباب . انهم الاعضاء الاصاغر فى اسرة الرب وهم وارثون معنا لنعمة الحياة . فيجب حفظ قانون المسيح بكل قداسة فى التعامل مع ابلد الاولاد واصغرهم واكثرهم خطأ ، وحتى مع المخطئين والعصاة

هذا القانون سيجعل المعلم يتجنب بقدر الامكان التشهير باغلاط التلميذ او اخطائه . وسيحاول ان يتجنب ايقاع التوبيخ او القصاص امام الآخرين . وهو لن يطرد طالبا الا بعدما يبذل كل مسعى لاجل اصلاحه. ولكن عندما يتضح ان الطالب نفسه غير حاصل على فائدة ، فى حين ان تحديه او احتقاره للسلطة يؤول الى هدم حكم المدرسة وان تأثيره يسري الى الآخرين ، حينئذ يصير طرده امرا لا

مندوحه عنه . ومع ذلك فان الطرد العلني قد ينتهي بالكثيرين الى التهور التام والدمار . ففي معظم الحالات عندما يكون الطرد امرا لا يمكن تجنبه فالمسألة لا تحتاج الى إشهار . فبالتشاور والتعاون مع الوالدين ليرتب المعلم امر انسحاب الطالب خفية

فى هذا الزمن الذي فيه يهدد الخطر الخاص الشباب فالتجارب تحدق بهم من كل جانب ، وفى حين انه من السهل ان ينساق الشباب ، فانه يُطلب بذل اقوى جهد حتى يمكنهم ان يتجهوا ضد التيار . فكل مدرسة ينبغي ان تكون « مدينة ملجأ » للشباب المجربين ، ومكانا فيه تعالج جهالاتهم بصبر وحكمة . والمعلمون الذين يدركون مسؤولياتهم يُبعدون عن قلوبهم وحياتهم كل ما من شأنه ان يحول بينهم وبين معالجة المشاكسين والعصاة بنجاح . وستكون المحبة والرقة والصبر وضبط النفس هي قانون كلامهم دائما . وستمتزج الرحمة والرأفة بالعدل . وعندما يكون التوبيخ امرا لازما فلن يبالغوا فى كلامهم بل تشيع فيه الوداعة . وبرقة سيضعون امام المخطىء اخطاءه ويساعدونه على ان يرجع الى نفسه . ان كل معلم امين سيشعر انه اذا كان لا بد له من ان يخطىء فالافضل أن يخطىء الى جانب الرحمة لا الى جانب القسوة

كثيرون من الشباب الذين يُظن انه لا يُرجى اصلاحهم ليسوا قساة القلوب كما يبدو عليهم . وكثيرون ممن يعتبرون انهم ميئوس منهم يمكن ردهم بواسطة التدريب

الحكيم . هؤلاء فى الغالب هـم الاشخاص الذين تذوب قلوبهم سريعا امام الرفق . فليظفر المعلم بثقـة الشاب المجرب وبواسطة اعترافه بالصلاح الذي فى خلقه وتنميته يمكنه فى كثير من الحالات ان يصلح الشر دون ان يوجه اليه الانظـار

ان المعلم الالهي يصبر على المخطىء مدى ايام ضلاله. ان محبته لا تخمد ابدا نحو الضالين ، وجهوده فى سبيـل ربحهم لا تنقطع ابدا . فبيديه المبسوطتين ينتظر ليرحب بالضالين مرارا وتكرارا ، وحتى بالعصاة والمرتدين . ان قلبه يتأثر لعجز الطفل الصغير الذي يعامل معاملة فظة قاسية . ان صرخة عذاب الناس وآلامهم لا تصل الى اذنيه عبثا . ومع ان الجميع اعزاء فى نظره فان الطباع الفظـة المنحوسة العنيدة تستدر عطفه وحبه ، لانه يتتبع كـل شيء من السبب الى النتيجة . والانسان الذي يمكن ان يجرَّب باكثر سهولة والذي يميل الى الضلال هو موضوع اهتمامه الخاص

يجب على كل أب وام ومعلم ان يتحلوا بصفات ذاك الذي يجعل دعوى المتضايقين والمتألمين والمجربين دعواه . فعلى كـل واحـد ان يكون قادرا أن « يترفق بالجهال والضالين اذ هو ايضا محاط بالضعف » (عبرانيين ٥ : ٢) . أن يسوع يعاملنا بأفضل مما نستحق كثيرا ، فكما يعاملنا علينا ان نعامل الآخرين . ولا يمكن ان تصرف اي اب او معلم يكون مبررا ما لم يكن شبيها بالتصرف الذي كان يتصرف به المخلص لو اجتاز فى مثل ظروفـه

مواجهة تدريب الحياة

بعد تدريب البيت والمدرسة على الجميع ان يواجهوا تدريب الحياة القاسي الصارم . اما كيف نواجه هذا التدريب بحكمة فهو الدرس الذي يجب ايضاحه لكل طفل ولكل شاب . حقا ان الله يحبنا وانه يخدم سعادتنا واننا لو اطعنا شريعته لما عرفنا الالم ، وانه حق كذلك. ان الالم والضيق والاثقال تحل بالناس فى هذا العالم كنتيجة للخطية، تحل بكل حياة . ونحن قد نسدي الى الاطفال جميلا يدوم مدى الحياة اذا كنا نعلمهم ان يواجهوا ضيقات الحياة واعباءها بشجاعة. وعندما نعطف عليهم ينبغي ان لا يكون ذلك بحيث يخلق فى اعماقهم حسرة على نفوسهم ، فالذي هم بحاجة اليه هو ما ينعش ويقوي ليس ما يضعف

ينبغي ان نعلمهم ان هذا العالم ليس متنزها او مكان استعراض بل هو ساحة قتال . والجميع مدعوون لاحتمال المشقات كجنود صالحين. فعليهم ان يكونوا رجالا ويتقووا. وليتعلموا ان امتحان الخلق الحقيقي يوجد فى الاستعداد لحمل الاعباء واخذ المركز الشاق وانجاز العمل الذي يحتاج الى انجاز وان كان لا يضمن للانسان شهرة او جزاء

ان الطريق الصحيح للتعامل مع التجربة ليس هو بمحاولة الهروب منها بل بتغييرها . هذا ينطبق على كل تدريب قديما وحديثا . ان اهمال تربية الطفل منذ الصغر وتقوية الاميال الشريرة نتيجة لذلك يجعل تربيته بعد ذلك

أصعب ويجعل التدريب فى اكثر الاحيان عملية اشد ايلاما. لا بد ان تكون عملية شاقة للطبيعة الدنيا اذ تتعارض مع الرغائب والاميال الطبيعية ، ولكن الالم يمكن ان يغفل وينسى فى غمرة الفرح والاسى

ليتعلم كل طفل وكل شاب ان كل غلطة وكل هفوة وكل صعوبة تُغلب تصبح معبرا الى اشياء افضل واسمى. فعن طريق مثل هذه الاختبارات كل الذين جعلوا الحياة جديرة بان يحياها الانسان قد ظفروا بالنجاح

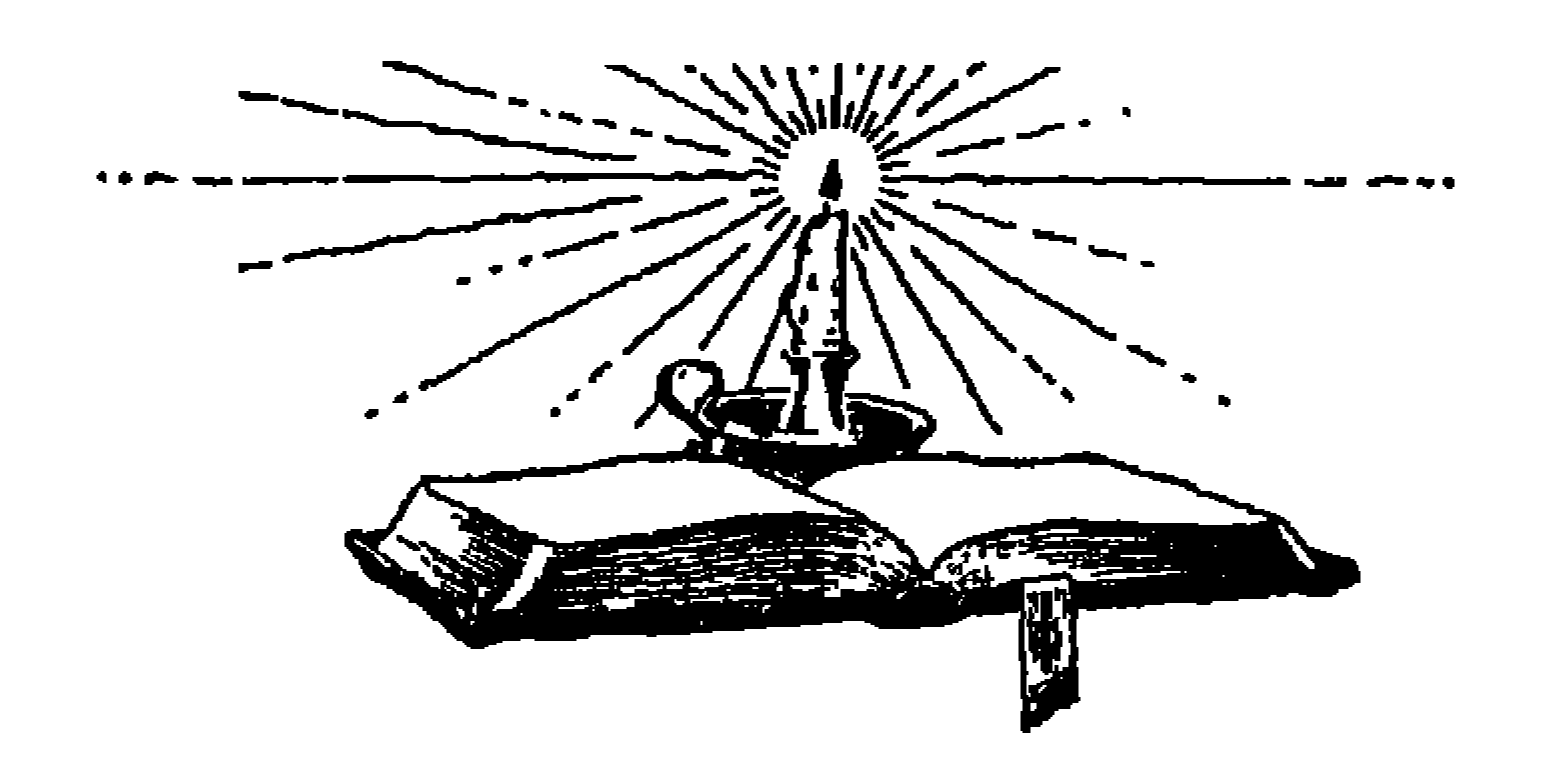
« ان المرتفعات الشاهقة التي وصل اليها عظماء الرجال
لم يبلغوها بالتحليق المفاجىء
ولكنهم حين كان رفاقهم نائمين »
كانوا هم يكدون جاهدين للصعود فى الليل
«اننا نسمو ونرتفع بواسطة الاشياء التي تحت اقدامنا
بما قد قمعناه واخضعناه من خير وكسب
بكوننا نعزل الكبرياء ونذبح الشهوة
والشرور التي قد قهرناها والتي نواجهها كل ساعة »
« كل الاشياء العادية ، واحداث كل يوم
التي تبدأ وتنتهي فى ساعة
مسراتنا وتذمراتنا
هي اشواط (درجات) يمكننا ان نصعد بواسطتها »

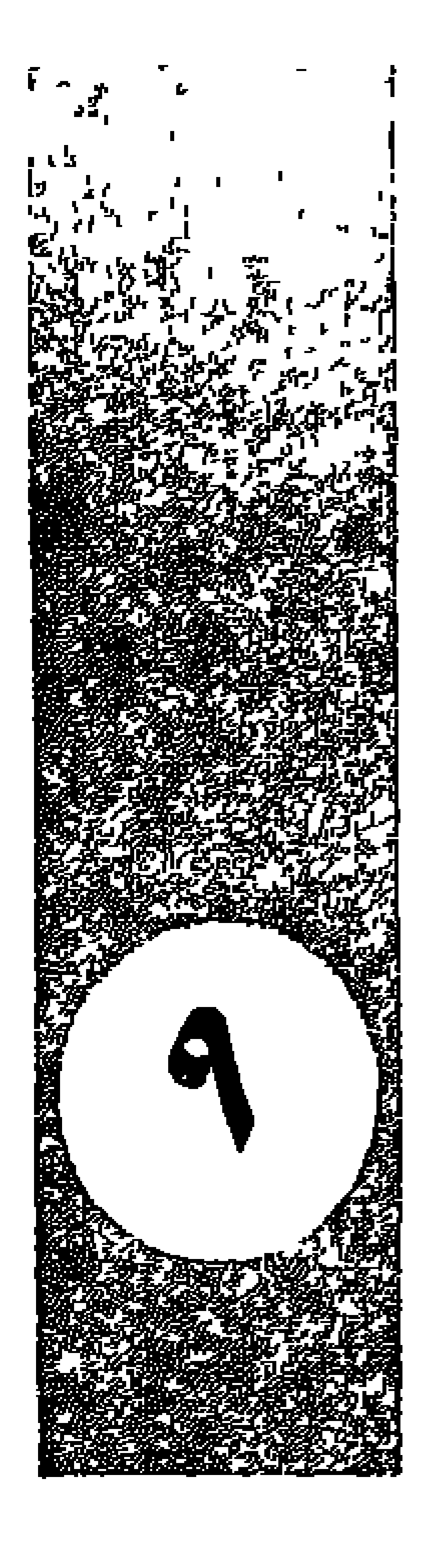
علينا ان نكون « غير ناظرين الى الاشياء التي ترى بل الى التي لا ترى . لان التي تُرى وقتية واما التي لا ترى فأبدية » (٢كورنثوس ٤ : ١٨) . ان المبادلة التي تقوم بها

فى انكار الشهوات والاميال الانانيــة هــي ابدال الاشياء الزمنية الزائلة العديمة القيمة بما هو ثمين وباقٍ فهذه ليست تضحية بل ربحا عظيما

« شيء افضل » هذه هي كلمة السر فى التربية ، قانون كل حياة حقيقية . فأي شيء يسألنا المسيح ان نرفضه وننبذه يقدم لنا شيئا افضل بدلا منه . ان الشباب كثيرا ما يحبون اشياء واشغالا ومسرات قد لا تبدو شريرة ولكنها تقصر دون تحقيق الخير الاسمى . فهي تميل بالحياة بعيدا عن هدفها الانبل . ولا تفلــح الاجــراءات التعسفية ولا التشهير المباشر. قد لا تجدي فى جعــل هؤلاء الشباب يهجرون ما يعتزون به . فدعوهم يتجهون الى شيء افضل من التظاهر او الطموح او الانغماس . اجعلوهم على اتصال بالجمال الحقيقي وبالمبادىء الاسمى وبالحيــاة الانبل . ارشدوهم لمشاهدة ذاك الذي « كلــه مشتهيات » . فمتى تثبت النظر فيه فالحياة تجد مركزها ومستقرها . ان حماس الشباب وتعبدهم الكريم وغيرتهم الحارة تجــد هنا غرضها الحقيقي. فالواجب يصير بهجة والتضحية سرورا. ان اكرام المسيح وتمجيده والتشبه به وخدمته هي اسمى مطمح يصبو اليه الانسان فى الحياة واعظم افراحها

« محبة المسيح تحصرنا » (٢كورنثوس ٥ : ١٤)





القسم

الدّراسة العُليا



٣٥ مدرسة الحياة الأخرى

السماء مدرسة . وميدان الدراسة فيها هو الكون ، ومعلمها هو الاله السرمدي. وقد افتتح فرع من هذه المدرسة فى جنة عدن ، وحيث قد اكمل تدبير الفداء فستستأنف التربية ثانية في مدرسة جنة عدن

« ما لم ترَ عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما اعده الله للذين يحبونه » (١ كورنثوس ٢ : ٩) . لا يمكن معرفة هذه الامور الا عن طريق كلمة الله ، وحتى هذه لا تقدم لنا الا اعلانا جزئيا

ان يوحنا الرائي يصف لنا هكذا موقع مدرسة الحياة الاخرى :

« ثم رأيت سماء جديدة وارضا جديدة لان السماء الاولى والارض الاولى مضتا . . . وانا يوحنا رأيت المدينة المقدسة اورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها » (رؤيا ٢١ : ١ و ٢)

« والمدينة لا تحتاج الى الشمس ولا الى القمر ليضيئا فيها لان مجد الله قد انارها والخروف سراجها » (رؤيا ٢١ : ٢٣)

وبين المدرسة التي انشئت فى عدن فى البدء ومدرسة الحياة الاخرى تنحصر كل مدة تاريخ هذا العالم ــ تاريخ العصيان والآلام والذبيحة الالهية والنصرة على الموت والخطية . وليست كل ظروف تلك المدرسة الاولى فى عدن ستوجد فى مدرسة الحياة الاخرى . فلن توجد شجرة معرفة الخير والشر لتقدم فرصة للتجربة ولا يوجد هناك مجرب ولا امكانية لارتكاب الخطإ . فكل خلق قد صمد امام تجربة الشر ، ولا واحد عاد قابلا للتأثر بقوته

« من يغلب فسأعطيه ان يأكل من شجرة الحياة التي فى وسط فردوس الله » هذا ما يقوله المسيح (رؤيا ٢ : ٧) . ان اعطاء شجرة الحياة فى عدن كان مشروطا ، ثم اخذت اخيرا . ولكن هبات الحياة المستقبلة هي قاطعة وابدية

ان النبي يشاهد : « نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كبلور خارجا من عرش الله والخروف » « وعلى النهر من هنا ومن هناك شجرة حياة » (رؤيا ٢٢ : ١ و ٢)

« وشعبك كلهم ابرار . الى الابد يرثون الارض غصن غرسي عمل يديَّ لأتمجد » (اشعياء ٦٠ : ٢١)

ان الانسان اذ يعود الى محضر الله سيتعلم منه كما فى البدء ، « لذلك يعرف شعبي اسمي . . . يعرفون اني انا هو المتكلم . هانذا » (اشعياء ٥٢ : ٦)

هوذا مسكن الله مع الناس وهو سيسكن معهم وهم يكونون له شعبا والله نفسه يكون معهم الها لهم » (رؤيا ٢١ : ٣)

« هؤلاء هم الذين اتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم فى دم الخروف . من اجل ذلك هم امام عرش الله ويخدمونه نهارا وليلا فى هيكله . . . لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس ولا شيء من الحر لان الخروف الذي فى وسط العرش يرعاهم ويقتادهم الى ينابيع ماء حية » (رؤيا ٧ : ١٤ — ١٧)

« فإننا ننظر الآن فى مرآة فى لغز لكن حينئذ وجها لوجه » الآن نعرف بعض المعرفة لكن حينئذ سنعرف كما عرفنا (١كورنثوس ١٣ : ١٢)

« وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم » (رؤيا ٢٢ : ٤)

وهناك عندما يرفع البرقع الذي يحجب كل شيء عن انظارنا وترى عيوننا عالم الجمال ذاك الذي لا نرى منه الآن سوى لمحات بواسطة المجهر ، وعندما ننظر الى امجاد السموات التي نتفرس فيها الان بواسطة المنظار المقرب ، وعندما تُرفع ضربة الخطية فان الارض كلها ستبدو فى « جمال الرب الهنا ، فما اعظم الحقل الذي يتسع امام دراستنا ! هناك يمكن لطالب العلم ان يقرأ قصة الخلق ولا يرى ما يذكره بناموس الشر . ويمكنه ان يستمع الى موسيقى اصوات الطبيعة ولا يلاحظ صوت عويل او صوت

الحزن المنخفض . ويمكنه فى كل الخلائق ان يتتبع كتابة واحدة ــ فى الكون الواسع يشاهد « اسم الله مكتوبا » ولن تبقى فى الارض او البحر او السماء علامة واحدة من علامات الشر

وهناك يحيا الناس حياة جنة عدن ، الحياة فى الجنة والحقل : « يبنون بيوتا ويسكنون فيها ويغرسون كروما ويأكلون اثمارها . لا يبنون وآخر يسكن ولا يغرسون وآخر يأكل . لانه كأيام شجرة ايام شعبي ويستعمل مختاريَّ عمل ايديهم » (اشعياء ٦٥ : ٢١ و ٢٢)

ولن يكون هنالك شيء مؤذٍ : « لا يؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسي قال الرب » (اشعياء ٦٥ : ٢٥) . وهناك يسترد الانسان ملكيته الضائعة وتعود الخلائق الدنيا لتعترف بسلطانه ، والشرس يصير لطيفا والجبان الجافل يغدو واثقا

وسيبسط امام الطالب تاريخ محيط غير محدود وثروة لا يعبر عنها ، وهنا فمن المركز الممتاز الذي لكلمة الله سيشاهد الطالب منظر ميدان التاريخ الواسع وقد يكتسب بعض المعرفة عن المبادىء التي تحكم مجرى الاحداث البشرية . ولكن رؤيته لا تزال مشوبة ومعرفته ناقصة . والى ان يقف فى نور الابدية لن يرى كل شيء جليا

وحينئذ سيكنشف امامه تاريخ الصراع العظيم الذي ولد قبلما بدأ الزمن ، والذي لن ينتهي او يكف الا عند انتهاء الزمن . ان تاريخ ظهور الخطية والاكذوبة القاتلة فى

عملها الملتوي ، والحق الذي اذ لم ينحرف عن طرقه القويمة واجـه الضلال وهزمـه ـ كـل شيء سيصير ظاهرا . والحجاب الذي يتوسط بين العالم المنظور وغير المنظور سيُرفع وستعلن عجائب

ولن ندرك ما نحن مدينون بـه لرعاية ملائكـة اللـه مـا لـم نَرَ اعمال عنايتـه في نور الابديـة . ان تلـك الخلائق السماوية كان لها دور كبير فعال ناشط في شؤون الناس. كانوا يظهرون في ثياب تلمع كالبرق، وجاءوا في زي المسافرين عابري الطريق ، وقبلـوا ان يُستضافوا في بيوت الناس ، وقد قاموا بدور المرشدين للمسافرين الذين دهمهم الظلام . وقد احبطوا قصد المفسد واطاحوا بضربة المهلك

وكثيرا ما كان الملائكة كليمين في مجالس ملوك وحكام هذا العالم وان كانوا لم يعرفوا ذلك . وقد رآهم الناس بعيونهم واصغوا بآذانهم الى مرافعاتهم . وفي قاعة المجلس وفي دار القضاء ترافع رسل السماء مدافعين عن دعوى المضطهدين والمظلومين . لقد هزموا النوايا وأوقفوا الشرور التي كان يمكن ان تجلب الظلم والآلام لشعب الله واولاد الله . وسينكشف كل هذا للطلبة في المدرسة السماويـة

وسيدرك كل مفدي خدمة الملائكة في حياته. فالملاك الذي كان حارسا له منذ طفولته الباكرة ، والملاك الذي راقب خطواته وستر راسه في يوم الخطر ، والملاك الذي كان معه في وادي ظلال الموت والذي لاحظ مكان راحته

304,305

والذي كان اول من حيَّاه فى صباح القيامة ـ ما اجمل التحدث معه لمعرفة تاريخ تدخل الله فى حياة الفرد ، وتعاون السماء فى كل عمل لاجل خير البشرية !

وكل ارتباكات اختبار الحياة ستتضح حينئذ. فحيث لم يظهر لنا غير التشويش والخيبة والمقاصد المحطمة والخطط المعطلة سنرى غرض جليل سائد ومنتصر ، وتناسق الهي

وهناك كل من قد خدموا بروح الايثار سيرون ثمرة تعبهم . وسيرى عمل كل مبدإ سليم وكل عمل نبيل. ونحن نرى بعضا من هذا هنا . ولكن ما اقل ما يُرى من نتيجة انبل عمل فى هذه الحياة لمن قد عمله ! وما أكثر من يتعبون بروح الايثار وبدون كلال لاجل من لا يمكنهم الوصول اليهم ولا يعرفونهم فالوالدون والمعلمون يضطجعون ويرقدون رقدتهم الاخيرة ويبدو وكأن عملهم كان باطلا ، وهم لا يعلمون ان امانتهم قد فتحت ينابيع البركة التي لا تكف عن الجريان ، انما بالايمان فقط يمكنهم ان يروا الاولاد الذين ربوهم يصيرون بركة وإلهاما لبني جنسهم ، وتأثيرهم يتكرر الف مرة. وكثيرا ما يحدث ان خادما يقدم للعالم رسائل القوة والرجاء والشجاعة ، وكلاما يحمل بركة لقلوب الناس فى كل قطر ، ولكن لانه يكدح وحيدا ومغمورا فهو لا يعرف الا القليل عن النتائج. وهكذا تُمنح العطايا وتُحمل الاعباء ويعمل العمل. فالناس يلقون البذار الذي يحصد منه الآخرون محاصيل مباركة من فوق قبورهم .

وقد يغرسون اشجارا قد يأكل الآخرون ثمرها . انهم قانعون بان يعرفوا هنا انهم قد بدأوا يحركون عوامل للخير. وفى الابدية سيُرى الفعل ورد الفعل لهذه كلها

فى كل عطية منحها الله لترشد الناس لاعمال الايثار يوجد سفر محفوظ فى السماء. فلاجل متابعة هذا فى فروعه المتشعبة ، ولكي ننظر الى أولئك الذين بواسطة جهودنا وصلوا الى حالة السمو والنبل ، وكوننا نشاهد فى تاريخهم تفاعل المبادىء الصالحة ـ هذا سيكون احد دراسات ومكافآت المدرسة السماوية

هناك سنعرف كما عُرفنا. وهناك ستجد المحبة والعواطف التي قد غرسها الله فى النفس اصدق واحلى تدريب. ان الحديث الطاهر مع الخلائق المقدسة والحياة الاجتماعية المتناسقة مع الملائكة المباركين ومع الامناء الذين عاشوا فى كل الاجيال ، والشركة المقدسة التي تربط « كل عشيرة فى السماء وعلى الارض » معا ـ كل هذا سيكون ضمن اختبارات الحياة الاخرى

وستكون هناك موسيقى واغان ، وهي موسيقى واغان لم تسمعها اذن ولا خطرت على بال انسان الا فى رؤى الله

« ومغنون كعازفين كل السكان فيكِ » (مزمور ٨٧ : ٧) . « هم يرفعون اصواتهم ويترنمون لاجل عظمة الرب » (اشعياء ٢٤ : ١٤)

« فان الرب قد عزى صهيون. عزى كل خربها ويجعل بريتها كعدن وباديتها كجنة الرب. الفرح والابتهاج يوجدان فيها. الحمد وصوت الترنم » (اشعياء ٥١ : ٣)

306,307

وهناك تنمو وتنضج كل قوة فينا وكل مقدرة تزيد . واسنى المشاريع ستنفذ وتتقدم الى الامام. وستتحقق اسمى المطامح وسيصل الانسان الى اعلى ما يصبو اليه. ومع ذلك ستنهض ذرى امامنا لنرتقيها وعجائب لنعجب بها وحقائق لندركها ومقاصد جديدة لتسترعي قوى العقل والجسم والنفس

وكل كنوز الكون ستكشف لدراسة اولاد الله . وبسرور لا يعبر عنه سندخل الى فرح الخلائق غير الساقطة وحكمتها . وسنأخذ نصيبنا من الكنوز التي جمعت مدى اجيال بعد اجيال صُرفت فى التأمل فى عمل الله . واذ تمر سنو الابدية وتتعاقب ستظل تجلب اعلانات امجد « اكثر جدا مما نطلب او نفتكر » (افسس ٣ : ٢٠) ، الى الابد سيكون توزيع هبات الله

« وعبيده يخدمونه » (رؤيا ٢٢ : ٣). ان الحياة على الارض هي بداية الحياة فى السماء. والتربية على الارض هي الدخول الى مبادىء السماء. وعمل الحياة هنا هو تدريب لعمل الحياة هناك. وما نكون عليه الان من خلق وخدمة مقدسة هو الرمز الاكيد لما سنكون عليه

« ابن الانسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم » (متى ٢٠ : ٢٨). ان عمل المسيح على الارض هو عمله فى السماء . ومجازاتنا لاجل عملنا معه فى هذا العالم ستكون قوة اعظم وامتيازا اوسع للعمل معه فى العالم الآتي

« انتم شهودي يقول الرب وانا الله » (اشعياء ٤٣ : ١٢). وهذا ايضا ما سنكونه فى الابدية

لاي سبب سمح للصراع العظيم ان يستمر مدى الاجيال ؟ ولماذا لم يقطع وينهى وجود الشيطان عند بدء عصيانه ؟ ذلك لكي تقتنع المسكونة بعدالة الله فى معاملته للشر. حتى تدان الخطية دينونة ابدية. فى تدبير الفداء توجد مرتفعات واعماق لا يمكن للابدية نفسها ان تستوعبها او تستنفدها ؛ وعجائب تشتهي الملائكة ان تطلع عليها . ان المفديين هم وحدهم من بين جميع الخلائق الذين عرفوا فى اختبارهم الصراع الفعلي مع الخطية . وقد عملوا مع المسيح ودخلوا فى شركة آلامه الامر الذي لم يستطعه الملائكة انفسهم ، افلا تكون لديهم شهادة من ناحية علم الفداء ـ مما ليس ذا قيمة للخلائق غير الساقطة ؟

« لكي يعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة » «واقامنا معه واجلسنا معه فى السماويات... ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع » (افسس ٣ : ١٠ ؛ ٢ : ٦ و ٧)

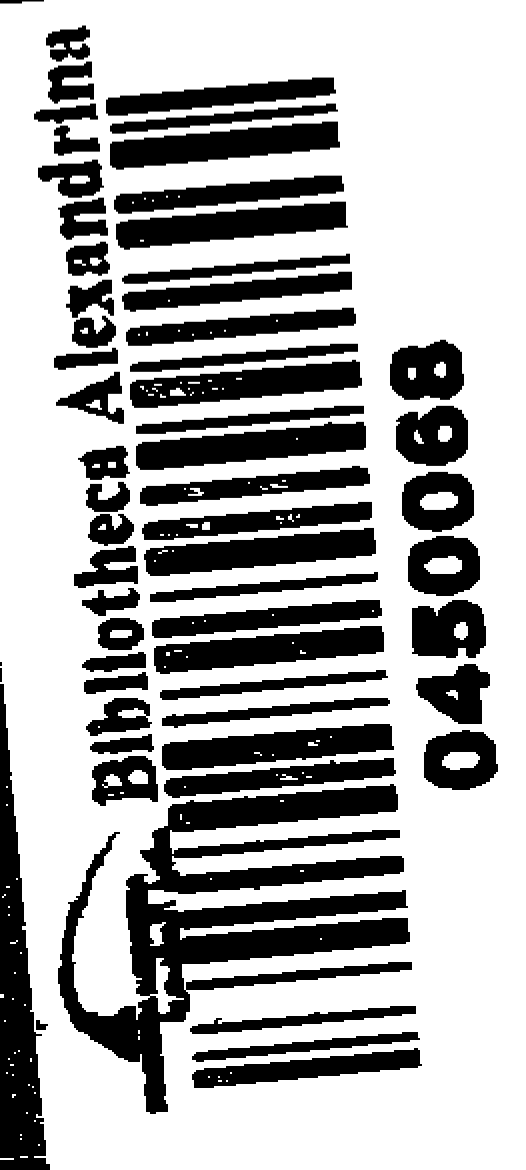
« وفى هيكله الكل قائل مجد » (مزمور ٢٩ : ٩) . والترنيمة التي سيترنم بها المفديون ـ الترنيمة التي هي من واقع اختبارهم ـ ستعلن مجد الله : « عظيمة وعجيبة هي اعمالك ايها الرب الاله القادر على كل شيء عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين. من لا يخافك يا رب ويمجد اسمك لانك وحدك قدوس » (رؤيا ١٥ : ٣ و ٤)

فى حياتنا هنا مع انها ارضية ومغلولة بالخطية فان

اعظم فرح واسمى تربيـة هما فى الخدمـة. وفى الحالـة المستقبلة الغير المقيدة بحدود البشرية الخاطئة فى الخدمة يوجد اعظم فرح واسمى تربية لنا ــ الشهادة ، وطالما نحن نشهد نتعلم من جديد « غنى مجد هذا السر فى الامم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد » (كولوسي ١ : ٢٧)
« لم يظهر بعد ماذا سنكون. ولكن نعلم انه اذا أظهر نكون مثله لاننا سنراه كما هو » (١ يوحنا ٣ : ٢).

وحينئذ فسيرى المسيح فى نتائج عمله مجازاته. ففي ذلك الجمهور العظيم الذي لم يستطع احـد ان يعـده ، والذي سيحضر « امام مجده بلا عيب فى الابتهاج » (يهوذا ٢٤) ، فذاك الذي قد افتدانا بدمه وعلمنا بحياته : « من تعب نفسه يرى ويشبع » (اشعياء ٥٣ : ١١)

الفهرس العـام

دار الشرق الأوسط للطبع والنشر